

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY



نصوص ودراسات عربية وافريقية

في اللغة والتاريخ والأدب

الدكتور إبراهيم السامرائي

خبر
المجلة المركزية
للسنة ١٩٨٤

سلسلة الكتب الحديثة

٣٦

وزارة الاعلام
مديرية الثقافة العامة

نصوص ودراسات عربية وافريقية

في اللغة والتاريخ والادب

الدكتور ابراهيم السامرائي

956
Ir 27
36

La. p 86
47

p. 171-186

200 200 200

المُقَدِّمَةُ

أيها القارئ الكريم

هذه فصول أدبية وتاريخية تتصل بالثقافة المعاصرة والثقافة
القديمة للشعبي الأفريقي والاندلسي . آثرت أن أسلكها في هذا
المجموع لتيسر منها الفائدة وتسهل مراجعتها ، والله الموفق للصواب .

من الأدب الفرنسي

اللون التقليدي المحافظ

تعد حجب الاستعمار الغربي التمدني الأفريقي عن مسائر بلدان الشرق العربي وقد يدل أحد هذه القطيعة ، فلم ينح المصارع على وجه العموم أن يتصلوا بأخوانهم عرب الشرق إلا بعد أن تنضج أحوب الغربة عنهم طامم المستعمر وظلمه . ولم ينح لنا - نحن المشارقة - أحد أن نعرف عنهم إلا ما ذكره كتب الثقافة الغربية عنهم وفي هذا ما فيه من جور على الحقيقة وانحد عن الواقع وحلم للثقافة الحرة .

والأدب العربي في تونس بسبب هذا الاستعمار الخبيث لم يبق له أن يبعث ويصل متأثرا بالأساليب القديمة . والأدب قد انحد هو ازديوني . وأقصه بالزيتوني الذي تلقى العلم والأدب في المعهد التونسي الكبير الخاتم الأعظم جمع أربونة الشهير . وقد كان هذا المعهد أعظم مدرا للمعلم وخدم للعربية والحضارة الإسلامية ، وواقع في وجه هذه الثقافة المدخلة التي جاء بها الاستعمار الإسباني أريد منها أن - صور في هذه البلاد المسلمة وأن يبقى فيها أدرا واسحة . ولن ينسئ . ذلك لا يقتضه على الحرية ما وسعهم العمل .

وهذا حب الاستعماري الذي أراد السيطرة على ثقافة الأمة سحق حضارته وإبعادها عن أصولها العريقة ، بحث في الأمة العربية أوتية الكبرى في الحفاد على العربية وآدابها ، وهذا الحفاد أو قل هذه الحماسة هي التي حملت أهل الأدب على أن يحتفظوا بها ورنوه من ثقافة ومنهج في فهم هذه الثقافة .

فإذا تمها للمباحث أن يدرس هذا الأدب التونسي فلا بد أن ينهج في ذلك منهجاً علمياً فينقضي اللون الخليلي المحفوظ الذي يروج عليه الأدباء التونسيون في مطلع هذا القرن ، حتى إذا امتح لشر منهم أن يتصلوا بالنهضة التي بدأت أنوارها تسطع في الشرف العربي من الذخيرة الثقافية ، أخذ هؤلاء بشيء من المنهج الجديد الذي سنعرض له في هذه الدراسة .

أقول : إن هذا الأدب التونسي لم يكن شيئاً غير الذي وجدناه في ديار الشرف إن لم يكن صورة تقليدية له . غير أن هؤلاء الفقهاء قد شعروا بأنهم في العلم يفصله عن الشرف أكثر من فاصل واحد ، وقدما كان الضرورة بشعرون هذا الشعور ، فقد كان فقههم الأدبي والاعلام والشاعر والمحدث والفيلسوف وغير هؤلاء من أصحاب الاختصاص . أما الحال في عصرنا الحديث فلم تكن شيئاً يختلف عما كانت عليه في العصر الخلفاء ، فالتونسيون وغيرهم من الضرورة يشعرون هذه الانتمية الأدبية ، وآية ذات أنهم فلدوا لشرفه في بعض مع الشعراء عندهم سمو أمير شعراء الخضراء . ويبدو من ذلك أن الإجماع لم يحصل علىبيعة شوقي من شعراء الشرف ، وهم في ذلك يريدون أن يقولوا لشرفه : إن ملككم أو خير منكم ، أو كأنهم أرادوا أن يقولوا مقالة اسلف : ما أمير ومنكم أمير . . .

وهذا التونسي الذي يبيع على أمانة الشعر هو محمد الشاذلي خزندار^(١) من البارزين بين الشعراء التونسيين في مطلع هذا القرن .

(١) محمد الشاذلي خزندار من شعراء تونس ، ولد سنة ١٢٩٩ بهجرة وقد نشأ في البلاط التونسي وترعرع في الشرف والتعظيم غير أن هذه النشأة لم تنسبه التسعيب التونسي فظل يتحسس الآلام ويبيد ببطولته ومفاخره . ومن أجل هذا فقد أبعد عن أي منصب من مناصب الدولة العالية .

وانظر في شعره لا يؤيد هذا المذهب الخطير الذي يروج فيه ،
 فهو رسف بالقوافي ليس غير ، وما أكثر رسف القوافي في كل عصر
 من الأمصار ، ولكنه برسفيها بشكل جعلت محبة القافز الخيرواني
 يظنه ، بهزار الخضراء ،^(١) والخضراء نوسن كما هو مشهور
 معروف ، وإن - هذا الهزار ، تفاخر به الخضراء ، أرض الكوفة ،
 في يوم الزمان ، - إذن فمسألة مسألة سبق وزمان ، وإذا كان من
 سبق ولا بد من نصب يحرره السابق وقص السابق عرش الأدب .
 ويرجع إلى شيء من شعر أمير الشعراء خزنده دار فسمعه يقول
 في - بحر -

أجر من لا سكن مرهف	لعلك حصلت منم ويحاشمني
وإدخ الخدم والحيه ولا تفل	• إن أيسلا موكال بالطق
فلى • سجدتي وحلفت بين	شك بعد نصد لمصدق
بش من الخنوع غاشم	• تلك إلا تبعة النمام
أولى وأخرى أن بيت على قدام	من قبل من ده الهباءه • بشي
فيم أحسن وأكوارث جمه	ممن يراك بنفوسه • مشهور
سئم • ونسي • حزين تطولا	• ما كاث في الهوى • تحلل

إلى آخر هذه الأبيات التي لم تنفع أن تكون لها من حامل لها كره
 في أدبنا فضلا عن أنها شاعر ، بل أمير الشعراء ، فهذه الأبيات
 أعلق بالنظم وأعسق بالرسف ، فلا تقرب من مادة الحقن التي تنعسي
 أدب - وآلات لا يملكها السيد الخزنده دار ، وليس في هذه الأبيات

(٢) بعد بايع الشاعر التونسي مع آخرين الشاعر خزنده دار بإدارة
 الشعر قائلا له :

أمير القوافي وحارسها	وبليل تونس شيخ البيان
قالت الهزار بخضرائنا	تفاخر مصر بيوم الرهان

الأجسام من مختلف متباعد أفرغ أعظم كلاً منها في بيت من عدة
 هذه الأبحاث بطريقة تقريرية حكائية لا تعد كثيراً عما يخوض الناس
 فيه من شؤونهم اليومية . فالتأثير إذا رجعت إلى هذه المقطوعة وجدنا
 أجراً متصلة لا يوحى أن صاحبها قد نظر لموضوعه ، البحر ، لفترة
 القليل الذي يريد أن يصنع الصورة التوحية للبحر في عام يسمى
 فيه . وأين هذه الصورة التي نريدها من أبياتة الأخيرة التي انصرفت
 على التسمية والحقيقة .

ومن المظهر التقليدي في شعر الشعر أنه عارض الشعر
 الأوسى . ومن المظهر أنه عارض بالة أبي نواس الخمرية المشهورة
 التي مطلعها :

حامل الهوى نعب يستخفه الطرب

وكذلك فعل شوقي فعرضه دلاً :

حباً كأسه الحب فهي قطره ذهب

أما صاحب التونس أمير تمراء الخضراء فقد قال :

راحة انهمى نظري هاتها فسلاً غيب

المدان مرقعه واخضرور تسكب

والكووس جاريه ملأ فوفه الحب

نت كسرمه جليل نعم ذلك الحب

رجبوا بأسفه زفتها لب الحب

وهكذا ينسج في وصف الخمر ومجلده وآنها وما يصحب
 هذا المخلص من انس وقصص ولهو وغناء . والمعارضة باب من أبواب
 التقليد وأصحاب المعارضة يترسون التقديم وقد باتوا بالتقدير في
 تحرير طفيف . والأغلب في المعارضة أن تعاني مستعارة من الشعر

التقديم إلا ما أملت في الوافع الجديد .

ويجوز على هذا النمط التقليدي شعر أبي الحسن بن
نعمان^(١) من الشعراء التونسيين في مطلع قصيدته الحديثة والتونسيون
يروونه الشعر الكبير ولكن النظر في شعره لا يخوننا تصديق هذا
الرغم فلنسمع لأبي الحسن في رثاء الشاعر الأمير (محمد الصالح بن)
يعزى فيها السيد الشاذلي حرته دار أمير الشعراء فيقول :

أمير الشعر قد عظم المصائب وحل بدار ندوتنا الخراب
وفجأ الرمال بفقه حديد تغاث في مجننه المسحاب

الى أن يقول :

وكانت فيه أمل كبير فاسدل دونها عنا الحجب
نغيب عن مجنا اضطرابا فساء جميعنا هذا الميول
واقلم عنه ذا اسدي ومدن عن الانتفاء المسافد عذاب
وكنت امثال الانراب عنه دوام كلم عمر افتراب
وأرجو أن نطيب له حبه وأرجو أن نوازن به رحيب
فقدوا انه أمسى غلبا فأرق منهجي هذا الجيوب
وفوا بن في خطر عظيم فمن مكن القلب اضطراب
وفأوا مات من ألم فصح عبوني مثله مسح السحاب

والذا عدت الى هذه الأبيات لنقفها فرادى وجدتها تشكو ضعف
البناء ، فإذا نظرت الى البيت الثاني وجدت الشاعر يقول : تغاثت في

(٢) أبو الحسن بن شعيبان من مشاهير الشعراء التونسيين . ولد
سنة ١٨٩٧ في أسرة عرفت بالنيل والزهد والتفوق . ومن أجل
ذلك فقد نسب على ثقافته دسمة . ثم دخل الجامع الأعظم وتخرج
منه . الزيتونة . القاهرة .

محبته المحبوب . فستعمل فعل الثاني الاستعمال المألوف فكأنه يربط
به «اعتمد» . والصحيح في دلالته الفعل «تدني» أن يحصل الماء كما
تضي جماعه جماعة أخرى كما في قول الشاعر القديم :

تداركنا عيسا ونزيال بعدنا
تدنوا ودنوا بينهم عطر متم

ثم إنك تشعر أن الشاعر يقصد بكلمات سلم له عدة من
الآيات على فقه واحدة وهو في ذلك بسلط كل مسئلة وعمر . ودا
قرأت البيتين الآتين :

وأظلم عنه ذا الهدي وحسنت
وكنت أسأل الأرباب عنه
دوام كلك عبر السرا

سيت ضمت الأرباب في . وأظلم عنه ذا الهدي . وفي قوله
«كلمة عز الأرباب» . ولا أريد أن أعلق على «الأرباب» الذين
جعلهم رسلا لمذكر . واللمة لم يرد اسمها إلا في مؤنث كما
في قوله تعالى : «عز الأرباب» . وإن قيل إنه يصلح لمذكر .

ثم يوجه الشاعر إلى «أمير الشعر» فذكره يوم ولدته ثماني
وكيف جدوا به وواروه الأرباب بأسلوب لا يختلف عما رأته في
الآيات التي أبتاه . والمقصود في حملها عبر جسيمة . وصاحبة
منطوقة يبدو منه ميل الشاعر إلى النهج القديم . وهي آيات في رثاء
قطب من أقطاب الصوفية . والمنطوقة يومئذ قد فقدوا الحظوة لدى
أهله ذلك أنهم ساءوا المستعمر الغربي . وأنت تقرأ هذه الآيات
فلا ترى فيها مدح شعري بل هي ألفاظ جرب فيها صاحبها منجعة
النظم التي تقتدر إلى عناصر الفن الأصل . يقول الشاعر في رثاء
صاحبه :

قد عاش طول حياته منعبدا
في خلوة وتبوا المحجرا

يتلو كتب الله وهو أعز ما يتلوهم من قبل لازم الآداب
فإنه جليل جلالة قد خصه بمزية يعلو بها الإطبا

ومأخذ أن هذه الأبيات من مادة الشعر ، ولكن النقاد التونسي
يعود فخطب على هذه الأبيات بآيات أخرى تصور عواطفه نحو ذلك
« الخطيب » يقول :

قد كنت أمل أن أعود زورده نسيانكم وأقبل الألف
وأنت من ذلك أحب ضربه تحبني فؤادنا بهجوى قد ذاب
أكرم بها من زورده أو علف مرجعت منها قد ملأت وطأ
قد كنت أربها بلوعة ممره وأريد أن أنفي بها أوساد
حس أنت ألباء موتك معه فبنت بعدك لا أبيع شعرا
من ذا الذي مر به موتك برنجي كتب يسوق لنا الأله سراد
أد من يقول أني أبلد عسره أن أظلمت فيها أسون مصاد

غير أن هذه الأبيات فلا تثير في نفسك شئ . فليس هي العواطف
الحرارة ؟ وأن هي الأنفانة الفنية الشاعر ؟ ولكنك من غير
واجد في هذه الأبيات طريق الشاعر وخرجته ومما ياله نصيب ألباء
فؤاده خنبا أنه عده هذه الأبيات التي لم تصف ارتاء .

وسعر أبي الحسن بن شعبان لا يمكن أن يتخذ مدد للمحكم .
بشيء . فهو نعم لا يصح أن يكون شعرا . من ذات قصيدته أبي
أسماء « التودد التونسي » وهي موشحة موبله اشتملت على عواف
عده ، وتسمعه في شيء منها :

أيا تونس الأنس ماذا ألقى بهجت من موجعات الخمر
وكم لك من عاشق دى احتراق يراود القطنى وجفاه السمر

تقد أودع الله فيك جمالا به قد تفردت بين الناس
وأجرت بك الله عذرا زلالا بهم أرى وبظون أوه
وأكتب فيك الهواء اعتلالا فكان عليلا يداوي الفسقا

وهذا الغلم لا يفتضح عن الغبة خفية عذبه حشيق براد الخشي
وجفرا افتاد . الله يشير إلى عذبه مسجود في اعتداد هذه المنة المنطية
التي يحوزها شيء من نظف الصنعة وبراعة الأداء .

وقد قد اشاعر نفسه في هذه الأبيات فحمل الأعراب على
قافية والأشرب على قوافي أخرى وفي هذا السجع - حين الألف بكامل
لها جهد ونشيت فيه بكل وسيلة فهو يقول :

أنا كنت ذا موثقي في رواي وفيك الهب وإمر ممدد
وجودك لي كان أكرم - أو به ارتوى النفس بعد الأوام
ويختم هذا الجسد بقوله :

لتصبح تونس ذات الغناي من توى اليوم تحت أرجاء
وإذا كان يكف دمع المأني وإذا كان تحب حياء الكرام
وما أفتن هذا الضعيف يخشى على الممداد .

ويستقبل الشاعر سنة ١٣٣٥ هـ من سبي الحرب الكبرى فيقول :

أهلا بطلعه بدر لاح في الأفق يزيل ما في نفوس الناس من قلق
قد تجلت لنا أنوار ظلمته والجو يحل في برد من اشفق
ومد بدا والاسى في القلب مبعث وانحسم في تمب من شدة الارق
اني لأمل أن يسودو بطلعه للناس سلم به يرتاح ذو قلبي
سلم بعم بلاد الله فاطمينة به يزول الذي قد كان من حلق

وأن نروى الحروب التي ظهرت بالأرض حتى يسيراكون في ندين
ويستولوا على مدخل من كدري كما صفت من فتون الزور نفس شي
وتتزع الأرض أبواب الجدد لكي تدو اليه بتوب أبيض بقو

وعلى هذا النحو من أبيه اتركك بنظم ابو الحسن بن شعبد
فصيده في استقبال سنة ١٣٣٥ هـ وليس بي حجة الى أن أدل القاري
على مواطن الخطب ذلك أنه يعرف أن هذه الأبيات تبعد كل ابيد
عن الحق الأصيل .

ويستقبل سنة ١٩٣٦ من سبي الحرب الكوبية الأولى بتصيد
كصاحبها من حيث البناء الذي لا نرعه مدة عامه فهي انعطاف دون
سبعين بشيء من الوزن . والوزن ليس ككل شيء في الشعر ،
فهو يقول :

هل لاح بدرك بأسره مشرقا أم أنت مثل أخيل تنذر بأشقا
يسدري الفنى من مر من أباه وسواء في الأذهان من ينحرفا
وادمع فيه عجائب مكوته كم جر من جيش الحوادث قبلها
أي أرى الأبياء تعبت بأفنى ونيله ما لا يكون إلا وفقا
وعليم الأمان ما يهيمه بقدر لما لافى (غدا) مشهود
ونحل عن أعضائه منحبرا في ذلك الأمر الذي لا يعنى
الى أن يقول :

عام مضى فاني سواه وهكذا يجري الزمان إذ كراكب أبلما
خلف خطاك أي زمان وسر على مهل وكن بالمتعطى مترفقا

وبعد قد أظني قد جانب الصواب في حكمي على الشاعر ،
فصاحب هذه النقطوعات لا يمكن أن يكون في زمرة شعراء ، فهو

نظام والنظم غير الشعر . وما أنشأ بعضي صورة صحيحة عن أدب قوم إذا استقرت نسجته في نظم لا يرفى إلى الشعر الرفيع .

ولا بد أن يختم هذا الفصل فنأني على أبيات تكلم فيها الشعر على « الخلافة العثمانية والكسائيين » والفصيدة لا تخرج عن المستوى الذي أشرت إليه فهو يقول :

تلتهم بفضل الدين أعظم عزة	وأردتمو أعظمه دلا
وأبسمو الأمر الذي قد ررب	من هولاء أقطارنا زللا
وتكبتمو الأسلام عن عهد وفه	كنتم عليه مع الزمان دلا
أترحموا ذاك الخطيئة من ما	ذل عزة وأدسموه دلا
ورفتمو إيماءه عن موسى	قضت به آتوه أجلا
يا مصطفي أعظم من مصطفى	وأضمت مجدا نكته دلا

ربما أبقت ممي أن هذه الأبيات لا تملك من الشعر إلا هذه الموسيقى . أما معيها فكلام مما يسرده عوام الناس .

ومن التونسيين الذين لم يكن شعرهم إلا نضجا خلا من الكثير من أدوات الفن المنقضة السيد حسين الجزيري^(٤) .

والتظر في مخازن هذا الأديب يدل على أنه لم يرزق التريجة الخطيبة ولم يكن له في هذه المعادة إلا التقرير . وغرأ فصيدته . سائلوني ، لتعرف صدق هذا القول :

(٤) حسين الجزيري من الشعراء التونسيين الذين الصمدوا للصحافة وكان صاحب « القديم » وهي صحيفة أدبية فكاهية أصدرها عام ١٩٢١ .

سألتوني ان رأيتم كدري
أنا مهموم حير الطرف ما
سألتوني ما الذي وقت الصباح
طائر أودى به فرط النواح
فلت مهلاً ما الذي تشكو ؟ فصاح
كيف يسلوان وجد مفصوم من الجراح
يا تسرى مقتضي كيف اسباح
كنت أشد في عدو ورواح
فلت وبلى ! هذا جد أم مزاح
ضائر من خسر في ضجر
سألتوني ان رأيتم كدري
أنا مهموم حير الطرف ما

الى أن يقول :

عجيب لا ينتهي ما أرى
أمة قد حلق المص في
حق لا جفان أن تسقى الترى
فهي والله أهاجت فكري
من نفوس في الملاهي مازحه
وهي للمهو يجد جانحه
وعجيب للنفور المازحه
وأطالت يا تقومي سهرى

وأظن أن هذه الأبيات لم ترتفع عن النظم الذي نيس له من
الشعر إلا هذه القوافي وهذه الموسيقى : موضوع الأبيات التكملي ،
والتكملي من الموضوعات المصنوعة التي لو نهاها لها صاحب الفن
الموهوب نجاء بالخروج المؤلم في توب قد انسق لحافظاته الحزاز .

أما السيد الجزيري فهو على شكواه ابردة اني نفقتر للدفء
فقد جاء يسأؤد ضعيفا يتشبث بالوزن بكل زحاف معيب . فلا أرى
تدعرا سلمت له القدرة الشعرية وهو يقول مثل هذا :

قلت ويل ! هذا جد أم مزاج . . .

ومثل هذا لا يقوله إلا الحسية البندون ممن يلوكون الشعر
فلا يأتون عليه إلا بعد سنين من معالجة النظم .

وبدخل الشاعر السجى جزاء ما قدم وحده الحبيب من جليل
العمل فبضيق ذرعا بهذه البيئة البغيضة ويشكو به ويطلق عواصفه
حزبه كئيبه فيقول :

أي القلوب يرى مفد عرى كبدي	ولا يذوب ما يلقى من سجد
لم يبق للمدمر سهم في كفه	سهامه كلها آت الى جسدي
أمنت بالله كم يلقى الرجال عنا	وكم يقدسون من صر ومن نذر
وكم تقطع أسباب بهم وناسم	يعدو عليهم من الأرزاء بلا عد
هو الخجلد لو لا الحبر لا يفت	نار بأفئدة من ياتلن النجم
تبلى بدا زمن لا زال يرهند	بما يسير جهد الشيب بوحده
وأمنت الضيم من كل التوائب	بنوب من ينغي الإصلاح بالبد
يسعى لترويه الاوطان مجهدا	يفتدى قائلا عذا جنه بسعدي
فالويل يطلبه والسجى بخطبه	يعدو رهينا عديم الخلل والسند

وعلى هذا النحو يطلق الشاعر عواطفه ، وليس من تلك ان
هذه الأبيات لا ترتفع كثيرا عما أبتناه في المقطوعة الاولى .

ويخاطب الشاعر المصنوع على نحو ما يفعل الشعراء فيشكو

فيه مما يعني من آلام فيقول :

غشاؤك بذكي هيا يصدري	وما هو إلا نواح الأسير
لقد كنت مثلك إذا طأ أسري	ومثلك كنت أود أظير
وكنت إذا ما نظمت فريضا	يقولون عني أسير طرير
وشعري يفيض من القلب بعد	وما أشعر إلا دموع القلوب
أراك يريثا وقد كنت أيضا	أسيرا يريثا عديم المديون
فصبرت إذا ما سمعت أذري	تشجوك معنى بهيج الضعير

فأرأى هذه القطوعة ولا نحس حرارة العجوى ولا يدع لآلم
وإذا شعر الشعر لمعني الوجداني إلى الحرارة فماذا عسى أن
يكون !

لو يختم هذه القطوعة بقوله :

يدكر لنفسك نفسي مصيد	بذكراد تذكر بر الحبيب
فلسي ببلت أسحى نعيد	وهج بحزبك حزني المدم
لك الله أي أراك حبيبا	بعظمي واني السبق الحميم
إذا ما أهدجت يا فخير شعري	فشعرك أدكي فؤادي الكسير

وحمله هذه الأبيات لفخر بعد عدا ذلك إلى الله السليم ،
وهي أبعد ما تكون عن معنى المديحة وهي شعر أن مسجحه كان
قد غنى كثيرا في جمع ثلثه على هذا النحو الذي لا يدعو إلى
مدحه . ثم أنه لا يمدح مدحه المقبولة على إرجعه الصحيح . ألا تراه قد
استعمل ، أحاج ، ربيع مزيدا وكان عليه أن يستعمل الثلاثي في
هذا المعنى ، لأن الرباعي لا يؤدي معنى ، هج ، فقد قالوا : أهدجت
الربيع ثبت أي أيسسه . وهذا الاستعمال من المدارج المشهور في
الخطبة العامة حملا على ، أثر ، مما هو في مذهبه .

ويحب الشاعر وطنه فيشرح هذا الحب بأسلوب هو أسلوب
الغزل فيقول :

يرى الحب جسمي فكيف العمل	وهل للآسي من حميم تسقى
يمسكني القلب ميت الأمل	فينجي من الغرق جفتي الخريف
أنا القلب لكن غرامي عجيب	أحب المراحم في ذا الخمرام
وأهوى الذي بات يهوى الحبيب	ويحرم مني نذير الشام
فأمزج حزني ودمعي الحبيب	بحزن ودمع له في انسجام
فقلب ينار الخمرام اشتعل	بصري أراه لقلبي شفيق

قلت: انه يحب وطنه ولكنه لم يكن له أن يجعل هذا الحب في
لون أبيض جميل . ويرى الشاعر أن الخمر أم السر وأصل البلاد.
فيقول في هذا المعنى :

أفكارنا تعطرب	من نراهم كلبوا
فالجرم أضحي بها	أنواعه ترتكب
والخمر هو السبب	

ان البلاد كسرت	والأشقياء انشرفت
كم من رموس كسرت	من يد قوم شربوا
والخمر هو السبب	

هنا قيل مرسى	فد عام إيلا في الدم
فتن عن المحترم	واحت نجهه بشرب
والخمر هو السبب	

ما دام في الناس الخمر	شيئا مباحا كالغطور
والأمن قد طار بخور	لا تنهي ذي النوب
والخمر هو السبب	

تقرأ هذه الآيات فلا نرى حجة الى صوح هذه المعاني بهذا
 القالب الشعري وما أغنانا عن سماع هذه الأفكار التي لا يمكن أن
 نسمى شعرا ، والتي جاءت أقرب الى اللون العامي منها الى الفصح .
 ألا ترى أن الوزن لا يستقيم إلا بشديد ، أو أو ، في ، هو ، على
 الأسلوب العامي ، ولكن ما حصل فقد حل افتقر الشاعر الى الشعر .
 والشاعر لا يخلو عن هذا المستوى فكأنه ينقل بكلام مغرب ما
 يتحدث عنه الناس إذا اضطربوا محبة يومهم . ومن هذا الباب
 قوله في وصف حفلة :

لبنة فالوا حوت كل سرور	واشراح
بنات الخبت ريت الفجور	في اربح
وأنا كنت كنور بفسور	لمصباح
دارت اخمرة ، بين المرجا	والأواس
وإذا الفوء نولاهم خيال	أو مجانس
قلت ويللي اني وسط جمال	بأمراتس
وبنات الندار يفترون الحجب	ياشيبات
حاسدات ربه الحلي الذهب	والعنايك
قل لرب الدار ذا داء الكلب	لد أميك

أقول هذا كلام عامي وإن جاء به سيء من الأعراب الفصح وهو من
 غير شك نظم برز ضعيف لا يرقى مدته الى مستوى الكلام المقبول .
 وله قصيدة سرح فيها ، عجائب الحجن ، بأسلوب قصصي ، والذي
 نلاحظه في هذه القصيدة أن الشاعر قد استعمل فيها الانمط التي يستعملها
 السجدة في مطلع هذا القرن في تونس . وهذه الانمط فرسيه أكتبها
 الاستعمال المحلي لونا خاص فاندست في العربية الدارجة التونسية .

هو السجن ان اسعدت يوما يزوره
عجائبه ما جاء عصر يستلهم
ثلاثة أعواد فطمت بحورها
الى ان يقول :

ولا خادم مني وظل مفتد
وناولني من عند تلك سرور
فقلت اذا لمقطع يستملونه
وسلني ذلك (القريب) نحرس
جيوبه وه فيها الى احجر سائر
حديدا لها حد حكمة ابوان
نوامر قوم عند قوم خناجر
تبع خطاه نعرني انهوا من

والسرقة تعني قطعه معدنية محفور عليها رقم يخص به الجاني عند
حمله وجسمه بوامر لأنه عريت على هذا النحو من الأسفل . والقريب
هو الملقب بالفرنسية Griffon يملئها سحبا على الكتاب .

ثم يقول :

فمنعنا « الكبرياء » مني وعصا
فأخرجت مني وقلت من معي
بومي يستبدل به وهو صاحب
مداد قوم عند قوم سحابة

وفي هذين البيتين مرأ « الكبرياء » . وما أمس القاري يستطيع رد
هذه الكلمة الى أصلها سر ولكن الخطر فيها يهدى الى انها لفظ
أجنبي هي Caprice وتعني ضاحك أسجن . وفي البيت الثاني مني
من الاستعمال المحلي الذي لا نعرفه نحن لوثرافة ، فاستجاب جميع سحابة
وهي لا تنصرف للمعروف من معناه المصيح وانما تعني الفصح وانما
تعني ما نطلق عليه « شمسية » وهي الآداة التي تستعملها نوحيا من الشمس
والمطر .

ويصف الشاعر في هذه القصيدة كيف أخذ جماعة من كذب السجين

في تحرير الرسائل لمسجده كما يصف طرف من حياتهم فيقول :

وقد وزعوا الأفلام جميعا عليهم	عدا واحداً لمحي برى وهو حاتم
وكنه قد بدا به خط ريشه	بمعرفة جاءت براع - بالام
فقلت وذلك الخط حبر افد ارتوى	معارف قوم عند قوم بالام
وقد كان بين القوم - بمطربش	أقوم الى أن حكنه التجرد
رأى ذات يوم أن عريوشه اتوى	وأعوزم التحديد والأمر واجب
فأدخل من جراه ذاك فميلة	عريوشه كما تسوى الجواب
فقلت وفلبي ضاحك أسد	• فوامل • قوم عند قوم فواب

فهو يصف كيف يهين الكبة بحبر الرسائل لمسجده ، فالكتاب
يشد ريشه ، بخط ، والريشه معروفة وهي الآلة التي يكتب بها والريشه
هدد به شدي ، بمعرفة ، والمعرفة كلمة افرنجية تعني ما نطلق عليه الملعنة ،
وهي من الآلات المعروفة عند الأكل ، ثم ان هدد ، الريشه ، مدون
براعاً ، وهذه ، المعارف ، ، بالام ، ، وما أفن ان القادي يهتدي يسر
الى مدون هذه الكلمة الأعجبية ، ومسورتها تشير الى أنها جمع غير
مدر ، وهي جمع ، ملومه ، على نحو ما يطلق بها التونسيون وهي تعريب
Porte-Merc • افرنجية •

وعرض الشعر في منظومته هذه شيء آخر فيقول : انه كان بين
اعوام باب مطربش وان عريوشه قد رثت من طول العهد ، وأعوزم
• الحديد • ، بالحديد كلمة عمية تونسية وتعني ، الكي • الذي تعالج به
الخلايش سحي • مرنية أليفة • ، والكبي يتم بالآلة الحديدية المعروفة ، اما
اصطلاحهم ، الحديد • فهو ترجمة للكلمة الفرنسية فلأكوات التي تعالج
به الخلايش تسمى بالفرنسية "Fers" وهي تعني أيضا مادة الحديد •
وعرض الشعر لهذه الطريقة فيذكر ان ، التحديد • قد تم بوضع الطربوش
في ، فميلة • وهذه أخرى لا نستطيع أن نردها الى اصلها يسر وهي تعريب

للكلمة الفرنسية Gammel وهي انه يحمل فيه الماء وقد تم تعريفها
فجاءت أيضا مجموعة على ، قواميل ، .

ومثل هذا استعماله ، بوانت ، جمع ، بونته ، وهي عقب ، السكارة .
وهي كلمة اعجمية فهو يقول .

فتخطتها الأيدي سراعاً وهكذا . بوانت ، قوم عند قوم سكار
ومن الشعراء النوايسين في هذا العصر الشيخ صالح النيفر^(٥) ولا بد
أن نعرض لشيء من شعره فنرى قصيدته ، اردنا السلام ، التي يقول فيها :

مضى الهلال وفاني لحبط	على عزمته من الشاهدين
أردت السلام وراموا الحسام	فكنا على مله قادرين
ولنا الفيم خادس	وسيل الدماء برينا ايدين
ورمنا اعتدلاً وراموا التيطان	وكننا على حقنا مذبذبين
وأعظم بجرم مدبهم	غريم أجدادنا مطالبين
فكم جبنوا من طعمه اوحوش	وكم من جبن لهم باذنين
وأكر بعض الحسائل الربوع	وبعض نولى مع الهارين

واجترى بهذا المذمر من قصيدة عندها عشرون بيتاً تسرب على هذه
النبرة الباردة التي لا تجد فيها عذبة ، شكل ، كما لا تلمس في آياتها
عمقاً في الأفكار ، وهي حليو من حصاص الاثر الفني ، ولا اشك ان
القارئ ، الخافد لا يحسن ان صاحب الآيات مجهد متعب يفتش عن مادته
المفغية ولا يفتقر منها بشيء ذي بال ، وهو من بعد هذا يلم هذا الشئ
الشاعر الذي يفتقر أحياً حتى الى المشهور المعروف من معاني الالفاظ

(٥) الشيخ صالح النيفر من علماء الزيتونة المشهورين ، وهو من
شعراء الجدة فقد هم بدويان عنقرة ، وشعره الحماسي جزل الالفاظ
متين العبارة .

وسوره ، ويبلغ به الجهد أن يتجاوز على الشهور من قواعد النحو
والصرف ، والألفاظ تحك على منادى لا يعرف القبي مذهب الى - الغلبه ،
وهي منه لا وجود لها في مضمون اللغة .

ولا أريد أن أترك هذه الآيات دون أن أقف على قومه :

ويولا لغوات نبيح الحفوق لما كان الغوي الأمين

تدرك هذا الخطب الواضح الذي لا يهين ، الشعريه مسجبه .
ويختر الشاعر الشعر في قصيدة عواطف ، الصدر أو الغير ، أثير بها
الى اطلاق السبع عند مزير التعدي رغبة الحركه المدسوره في نوس في
رمضان من سنة سبع وثلاثين ولف لمهجرة هجول :

حمد ، سرى في سبع صبح بصر	وسمى الغاني واسم - له الغر
ومث السافل خضع الشهب الذي	نحاول وليس مع بنا نرتجى الدمر
لأبنا جميل وخاراً مكلل	لهم منه كل بر له ذكر
هم غرمت فاولوا الشهب دونها	وهل غرمت يوهي واه البير الغر
فلا والذي تجرى السجوم بأمره	سنبث لو ان نزل البير واليهر

ربما من حقه ان يفخر ومن حقه أيضاً ان يشيد بمآثر قومه فيزهي
بها ويثبه على ألا تجوز على المن سبب من هذا الفخر الذي لا يخرج
عن دائرة النظم . وربما نهياً لكثير من النظمين شيء يفوق هذه الآيات .
ويحب الشاعر وطنه وينجلي هذا الحب في شعره كثيراً ، ولكن هذا
الحب لا يفتلج في نفس الشاعر فتأجج حماساً ينساب في قصيدة عامره ،
ولكنه لا يفرق أسلوبه ومنهجه . وإذا كان أسلوب الشاعر مرآة تظهر
فيها نفس الشاعر مرآة تظهر فيها نفس الشاعر متجلية بارزة ، فليس غريباً
ان ترى ضالة القدر الغني في قصيدة النيفر ، وطني ، التي يقول فيها :

ومني ايك فن كل حياتي وقف عليك ون أمت فروعتي
 اني بلوت الدهر في جريته فوجدت كل القور في العزم
 ووجدت نيس الحق جنب نهجه بل ما بدا من جانب القور
 قالوا التمدن سرعة بوه اني تقصى ينسج تجير السات
 وتآلف الظل المديدة بالاح وانسمي لمحمود لا للمد

وفي مثل هذا الموضوع يقول الشاعر في «بت شكواه» : وبنت الشكوى
 ونداء الوطن من الموضوعات العاطفية التي تيج لمشاعر أو يجيد فيها وأن
 يقس من الفن ليست و أنه ريف الشعريه الأصلية ، غير ان صاحبنا اليه
 لم يخرج عن طريقة الطبع ولم يخرج عن نطاق التقليد والحفاظ على
 القديم وه هو يقول :

سي منكى فأنه سما مضاك غفير
 فأنك نوس م أوى بو أنها الذكرى نير
 فلکم أ فمائل أين الفرح بدا النير
 وأخف ان نبي تنور بو الجلاء فلا تنور
 أقمين الأجسام ر ماتت مشعره تنور

الى أن يقول :

أفليس في حمرانا شهم على الصنى غبور
 أو مسن أبي أروع بعلاج كيونها حير
 أو من هماء صدد به حب وطسه يغور

وهكذا لم يوفق الشاعر في بت شكواه فجاءت برودة جافة مبعثرة في
 مباه ومناه .

ومن الشعراء التونسيين في مطلع هذا القرن الشاعر محمد الخازن (٦)
من شعراء القيروان وهو كسائر الشعراء التونسيين في هذه الفترة لم
يخرج عن القديم في أفكاره ومعارفه ، ولكنه تميز عن غيره من شعراء تونس
في تصرفه بحوزة شعر مبدعاً من الموشحات .

وأخذ من ابتكره السوريون والمليانيون المهاجرون في الدنيا الجديدة .
له ذلك إذا قرأت شعر الشعر وجدت فيه شوب العطفة ، وفي ذلك وفي
كثيراً من أقرانه من حيث صدق العاطفة ، والأصالة في التعبير عنها وإليك
شيء من شعرائه . :

يا ربناض المرجس في الربيع المفسر
ففسى في مجلتي واقفي من خاطري

نفحات الزهر

نرات والحد

غداد

وسط ذلك المجل

وكؤوس السراج فسي كف ذلك الأغصان
مفرحت من أمني عباء عن كبد

وغدت في نظري

واهران حلال

سعدت

عن حباب الفصل

(٦) الشيخ محمد الخازن شاعر تونسي ولد في مدينة القيروان سنة
١٩٠٢ م عاصمة أفريقيا ضد المنيح الإسلامي إلى سنة ١٩٠٢ - نشأ فيها
وهذا في كنفها بها ثم حل في العاصمة التونسية ودخل الجامع الأعظم سنة
١٩٢١ وبعد تخرجه اشتغل بالتعليم .

يا قوام البيان قم غن بلحن الشجي
وانل هتيلك النغم لا تخف من حرج

فبتن الفكر

خضرات موجبات

باجيدة

منل عهد اموصلي

ومنل هذا المصداق الذي يدكر بانكرات شعراء المهجر فمبدينا
• حلفي قلب ابي بكون فيه •

حال جفني كيا في سهرتي	وسمحي
لا مضي قد في كندرتي	حور لاسر
وانل في وحي سطور حبري	عز كفاحي
حالي ابي حدودي امر	في شديتي
اسمي ان حب ربح حب	دلمدود
حلمو نيكبي حيد انجيد	من حدود
اعلى الزمعة بان التمس له	في هاه
انري تدفع حلفي ان ام	انكس
كم ندمي من خطوب وام	في شفته

لم اذا سمعت فمبديته • على فيرتي • تبين صدق العاطفة الذي يشيع
في شعراء في خلفه رقيق ومعنى قريب منهم :

فك على فيرتي اذا حلفني	اهل وني ونولوا زمرا
واسفه من حبيب الدمع كد	كز دمي سيقا منهمرا
واسر ازهر حوايه وفد	هكد كك تحب الزهرا
ونحن عندك واشك له	عادي الدهر اذا ما استكرا

وإذا أعوزك العسر فم
 أني أهواك في رمي قلا
 وإذا هزلت الشمس إلى
 راز الودق تغني كمت
 وخذ العنق كغيت وعل
 ها هنا غصن وزادي هصر
 وترقب زودتي عند الكرى
 تخش سلواني بديك الثرى
 حذر دسجدها أن تغبرا
 كنت من قبل أغني الشعرا
 ها هنا غصن وزادي هصر

كما يظهر هذا المون أمثلي في شعر الخاطر وهو يحسن - يعانیه
 وط الحبيب فيقول في - سوت نوس -

أنصبو بعد ما العسر - الحبيب
 ونطرب والاسي وفك علينا
 فسر وانفت يوما فليلا
 ربوع العلم ويحب دارسا
 جشا الأيا في حلق الزوار
 فما لك خاذر الأعصاب يوما
 ندد عرف النجاة كل شمس
 مزقت الشعوب على يديها
 نهب بنا فهل من مسبق
 ونعربك أنوهد والكعب
 ونحن على العصب لا نذب
 أني ما كذ سلمه الخراب
 وربيع المنور بضحك السحاب
 وهذا الشرا عارقه العيوب
 ونحوك قد سطوت الربوب
 وهب كأنه سد غضاب
 فبوء الأسر والرفع الخاب
 وحوى سوت نوس (يعجب

ويبدو الثقل في الأدب النونسي في مطلع هذا المون فيرمه سر من
 اشعراء النونسين خلفي الشارقه بهذا الهدي المذني^(٧) الذي اعجب به جميل
 صدفي الزهاوي فعاد يحكيه في طريقه انعم السهلة وفي طريقته في تسخير
 انظمه من حذ في الحية من أفكار وما ابدع من وسائل - كان يحدث
 عن الكهنة وسره ومسانة اجذب والمدفع فيقول في قصيدته - حواسر -
 انما هذه الحياة خيال سوف يبدو حقيقة بعد حين

(٧) الشيخ الجادى المذني عن الشعراء النونسين - ولد مسنة
 ١٢١٨ هـ وتخرج في جامع الزيتونة سنة ١٢٤٠ هـ -

اجمع الكهنة في هذه المدة حين مستمع بجنين
 لم تكن كهنة بهذا معنى وان كان اصله من طين
 وأرى في ذه اشرايين فكراً - - - - -
 خلف هذا الوجود تلقى قوى تبدو عكس ابحاثه استبين
 ان يبدو في بساطة تأثيراً حقيقياً وفقد بدا حسوني
 وارى المدفع قلعه احسن المدفع اذا اُصلح قوة السكين
 ليس لمشي شيء حسب أي نفسي وأهوى أراد مل يفتن

هذه الآيات ذات قيمة في توضيح مذهب الشاعر الفطري ، فأتى بحسن
 أن مدحها قد أخذ من شعر الزهادي مثلاً بخنده فهو يمرض لا فائدة
 ولما تخرج به من نصرات كثيرة في مسألة المدفع وان قوة المدفع هي الفائدة
 لا كد قلوب بالجدد ، وهذا ليس اجبرته ان هذه الآيات هي للموهبي
 المذنبى لمطقت من غير شك بسننها الى الزهادي فهي زهدية مبنى ومبنى .
 ثم لا شك هذه المصيدة دون ان تعرض للمفطورة الأخيرة بها اسي
 بحث في مشكلة المراء ، ومشكلة المراء من الزهادية ، أيضاً ، فالمراد
 ان الشاعر الزهادي كان من المراء المراء ، وله في ذلك شعر كثير ، وفصده
 اسمه المذنبى هذه ، زهدية ، في الشكوى والقصود ، أقول : ، في المثال .
 لأنه لا شعر بوجود البناء والسجدة البناء مع التوسل الشعرية ، وتسمع
 المذنبى في هذه الآيات :

وارى لمساء موتاً يبدو - - - - -
 علموهن علموهن ان المراء اليوم ذات رأي متبين
 انظروا النساء في الغرب كيف اليوم أصبحن في قرار مكين
 علموا المراء العلوم نروها - - - - -
 بعد حين كم كبحن حصين
 فتوها الأواب تبت لكم خير شبيب يزهر بفكر متين
 فتوها مجد الجدود نروا ابتها كالأسوء عند العرين

أفهموه ان انباهي بالغة لا يلافرانه في التحسين
 نوزوا غفلها والا فأنتم لا تزاون في ضلال مبین
 ان من شل عضوه عمداً حلق عليه سوط العذاب الهون

ولابد ان تتعقب هذه الطريقة الزهاوية في شعر السيد المدني ، وهي
 واضحة في أكثر قصائده . والطريقة الزهاوية تعتمد على تقرير أشياء
 معهومة بأسلوب حكائي يفتقر الى الفن الأسيل . وهناك قصيدة شاعرها
 النواصي التي أسميها . أنرى . :

أنرى يعود المجد مجد بلادي	ام هكذا بقي على استجاد
أنرى نهب شل حق ضائع	ام هكذا بقي كقتل جماد
أنرى بني اخضراء تنهض لمعلا	ام هكذا نعى كقتل جماد
أنرى بني اخضراء تنهض لمعلا	فبعد بعض اروح للاجساد
وتبيل تونس مؤذناً ومكانة	وتربل أرجلها من الأصغاد
وتبيل فحراً احكمت نياته	ابدي ابد فدة امجد
ام هكذا برضى حياة مده	جلت مخازيها عن النضاد

هذه الابيات ليس فيها من الشعر غير هذا الوزن النوسيني . فلم يأت
 صاحبها الا بالانتماء اليه وسلمت بعضها فاجتازت موزونة تفتقر الى عناصر
 هذه تكون شعراً . أنظر السمعان الشاعر اللاسار ، هكذا ، في غير حاجة
 الى ذلك . فقد أتى بها كما يأتي الرجل ينوكاً عليه ، وهي شبه قول
 الزهاوي في تحية العلم :

عش هكذا في علو ايها العلم فاننا بك بعد الله نعصم

وهذا اللون الأدبي يفتقر الى الكثير من عناصر الشعر الحي ، وهو
 فقير ليس غير .

ونستطيع ان نلمح شيئاً من طريقة الرصافي الشاعر العراقي في الأدب

التونسي وذلك في شعر الشاعر محمد المكي بن الحسين^(٨) وذلك في النذر
الاجتماعي كان يقول في : مكارم الاخلاق ، أو يتحدث عن المفضلة بآية
رائية ، وقد تميز الحال في تونس وما آلت اليه من زوال مجدها القديم
وحضارتها المشرقة .

نسمع الى محمد المكي بن الحسين يقول في : مكارم الاخلاق . .

تبغى العلاء ونعدي الغفل والأدب حبس انتهى ورفضت المداة والنريما
فكرت بفساد هل تمت التمه على دور كرم تحرى البر مصطلحا
ان المعاني اذا ضلت معها ومع المفضلة سوضح للمعاني
أثبت على حبها الأبد من صغر فقد كرم حلتها المدا والمهيا
لا تفرق المعنى والظن في سود الطبع وما أوجه قد صا
وان تر اعلم زين المرء فانخلق ابراهيم بوزن النفس والعلم والتسما
والى آخر هذه القصيدة التي لا تعد كثيرا في أفقدها عما أسلفه
وهو ما يدخل في الحديث عن الاخلاق الحميدة وحصل العلم والأدب .
فلت اتا تلح في شعر محمد المكي بن الحسين نسبة من منح شاعرنا
الرماني ، وان والى تلك حين تقرأ هذه الأبيات نستذكر الكثير من شعر
الرماني في هذا الباب وربما لم يفتك ان تذكر قصيدته :

هي الاخلاق نبت كالنبت اذا سلس بسبب المكرمات

ولابد من انوار شاعرنا التونسي نقرأ قصيدته ، دعة على المفضلة ، :
فما نبت من شجور يش به الصدر ورجل في صخر ذاب به الصخر
شجور نبت ترمي السواد بانها توعا وما أبلى مظلها عصر
خطوب بها امسى الحشا جميع الامى ومحمر دمي لا ينهيه الزجر

(٨) ولد الشيخ محمد المكي بن الحسين سنة ١٣٠١ في مدينة نفطة
من مدن الجنوب التونسي المواجهة لصحراء الجزائر وقد نشأ في زاوية
أبيه ثم دخل الزيتونة ، وقد هاجر مع أسرته الى دمشق سنة ١٣٣١
وأشتغل بالمدرس في المدارس الاهلية ، ثم رجع الى تونس سنة ١٣٣٨ .

ولست على غير الفضيلة باكياً اتوج لها وقد عدم العصر
أقول على رسم لها غير باخل بدمع به يخضل من وبله العصر
يجسد تذكرى لها كلب بدا تحني رسم او دهى مسمي نكر

في هذه الأبيات شيء من الديباجة صافية تستند على الأدب القديم .
ومثل هذا كثير في شعر الرسافي الذي تشيع فيه أوابد الأبيات القديمة يأتي
بها على سبيل الافتتاح الملقب لا التضمين الواضح .

ومثل هذه الديباجة الصافية تلحظها في شعر السيد علي الخيفر^(٦)
من شعراء توس في مطلع هذا القرن . غير أن صفاء دوبيجته شيئاً من
الأدب القديم ، فإذا قرأت شعراء حيل اليك أنك تقرأ لشاعر من شعراء
العصر الحالي .

ومن أمثلة هذا التأثير بالقديم التزامه بالمعارضة على عادة الشعراء
المحافظين ومن ذلك قصيدته ، في الليل ، التي عرض فيها ، الحصري
المرزاني ، :

الجفن هواء بهته	من سماء او بنجده
والقلب نخوف واحده	شبح بالنفس تودده
والجسم يدوب عليك جوى	ونينا بي الليلة مرقده
يا بدر دجى في غصن ثفا	يسبي الرائي تاوده
الله تسدتك في كلف	ذنب ملته عموده

وفي هذه الأبيات يبدو الشاعر في منهجه التقليدي في هذا القول
المصطنع ، ثم تقرأ قصيدته ، دع ملامي ، فطالما شيء من الديباجة البحرية
الصافية فيقول :

(٦) وقد ولد الشيخ علي الخيفر سنة ١٢١٨ ونشأ في أسرة
اشتهرت بالفضل والعلم وقد التحق بالجامع الأعظم وقد تخرج فيه بعد
ست سنوات واشغل بالتعليم .

دع ملامي على الهوى فهو دأبي ليس أمر العذون فيه مطاعا
أنت لم تدرك ما الهوى قدع الملو م إلى أن ترجع عنه القدعا
خلني اذكر القلبي الخوالي وارجى لا تسهر ارتجاسا

ومثل ذلك قوله في قصيدته : صوت من وراء حجاب :

بنفسي صوت قد غدوت به مسب أصبح له في السامع والقلبا
له موقع في السمع موقع عارض لدى ظامي . اهتدى خلفه سرا
إذا بلبل يندو على فروع البكة برنج عطفي من يصح به عجبا
بلى صوت من الهوى على غير موعد فلا أدري ذرا سقطه رطبا

وفي مثل هذا شمع القليدي نقرأ لمسيد مصطفى آغە (١٠) من شعراء
تونس البارزين في مطلع هذا القرن ولكنه يعد إلى سمعت اشعر القصصي
الذي عرفه لدى ارساني الشاعر العراقي في قصائده : ايم في ايم ،
و . ايم ، و . المظنة ، وغيرها . وعلى هذا النحو نقرأ لمسيد مصطفى
آغە قصيدته : حيد ايمى :

حدثت عن لقوب معصر آتت جنتها للمعمر
قلن : ريد ، يا ، رباب ، مانها من حليل طليق ذاك حمر
بل بمى احزوت منزلة عطلت عند اعظم الموسر
أكبروها منذ رأوها فمرا برزت في حله من صفر

في مثل هذا الحوار الذي يقوم على السؤال والجواب والتحديث
والاعراب ، يشمر الشاعر في عرض حكاية فذة نصبت بها الجبال لجي .

(١٠) ولد مصطفى آغە في مدينة الكرم ، وهي مدينة صغيرة
بالقرب من حاضرة تونس وعمر حفيد مصطفى آغە الكبير مؤسس العائلة
الشهر بطولته ووزير الحرية المسلكة التونسية في عهد الحسينيين
سنة ١٢٩٤ هـ . وهو من أصل مملوكي .

بها من عناف ونهر إلى حياة الرذيلة والمعهر .

وهذا النمط الحكائي كثير في شعر مصطفى آغا ، وحديثه يدخل في باب الأدب الأجنبي . ومن ذلك قصيدته « البرى » المخططة . وقصيدته « الزواج » التي يعالج فيها اغراء الغدبة ومشكلة المهر الذي لا يطيقه طب الزوج وفيها يقول :

سئل من زمت منهج النورى احداً	عما نقي من غدرة عشاقها
كأن أحرقت كبراً بدر منبأه	قد حذر في سرع الهوى احرامها
واقت نواظرها سهام كذبه	بين النوى وقد ابرى نواظرها
كسرت صفاته سونها لكما	راحل بحس ظهر اسوالها
فمن الخداع حباؤه وغاؤه	اعراؤه ونفاقه اندامها
ان القلوب اذا هونت كلب	زانت حقوق زادهما اخذها

وأنت من غير شك واحد في هذه الأبيات الغدرة أو اسحة في الغدرة
بأنك لا تطيقه زوى هذا العصر ، وهي من مخلفات الماضي القريب .

الجديد في الأدب التونسي

أبو القاسم الشابي

يس أبو القاسم الشابي مشكله من المشكلات . فقد رزق أبو القاسم الشهرة ، شاع صباه . وكثير على امرئ أن يرزق الشهرة ولم يسمع من العصر في هذه الدنيا الغنية إلا أربع قرون . إذن لابد أن يكون لهذا الفتي مكان هنا في هذه الشهرة الفاتكة وذلك بحيث الذائع .

سحبنا السيد أبو القاسم شاعر تونسي . وفي تونس شعراء كثيرون وإن لم نعرف . نحن استألفه . الكثير منهم . ولكن هذا الفتي الناجح قد بدأ جمهوره هؤلاء ، فلم يعرف في حيز هذه الخضراء التونسية حسب ، بل سبغ اسمه إلى أفق عدة ورثه أو سمع به قوم لا يعرفون من حانه إلا الشيء البسيط . وأنا لا أشك في أن كثيراً من هؤلاء لا يعرفون الشابي . من أعمال الجنوبي التونسي . ولكنه سمع الشاعر الشابي في صوت حدي مغيت هذا العصر مرددة : إذا الشعب يوماً أراد الحياة . . . ولا أراد أن أموت أني أن هذه القصيدة كانت سبباً في هذه الشهرة التي أصابها الشاعر ، ذلك أن الشاعر قد أوتي هذه النعمة قبل أن تلبس لهذا الفقيه النغم المطرب .

وقد قلت أن في تونس شعراء كثيرين ، ومن عجب أنهم لم يصيبوا ما أصاب السيد الشابي من ذبوح الاسم في تونس نفسها أحياء أو أمواتاً . قد تقول أن هذا الشابي قد سعى نفسه ودعا لها وأنه قد مل ما كان الخوم يضربون فيه من مادة الأدب فقبض له أن يعرف جدعة . ابولو ، في مصر فوجد فيهم شيئاً يطرب له ويصير إليه ، فشد شعره على صفحات مجلثهم المروقة منذ نحو ثلاثين سنة . وكانت هذه الزمرة من . الأبوليين ، حاملة

رأية التجديد في الأدب ، وداعية الى الجديد ، فكان لهذه الدعوة انصار
يؤيدون وبعضون ، وآخرون وجدوا فيها معمول هدم لهذا التراث العتيق
الذي تفخر به العربية بين اللغات .

ولعل تونس دون سائر انشالي الافريقي ، كانت على صلة بهذا
العمعان الفكري . والتونسيون انفسهم كانوا بين ناصر للقديم داع للمحافظ
عليه ، وآخر يرمي بالاساليب العتيقة التي درج عليها المتأديون بخاصه وأهل
العلم بعامة ، فجامع الزيتونة معهد تونس الاكبر يؤمه أفواج كثيرة من
طلاب العلم التونسيين وأطرافه آخرين . وهو من مفاخرهم وعنوان مجدهم ،
وكان له أن حفظ للعربية مكانها في تونس التي أجهز عليها المستعمر الاجنبي
بخيله ورجله وعلمائه . ولكن شيوخ الزيتونة لم ينفوا حولا عما ألفوه من
أساليب الدرس العتيقة ، وان الجديد في رأيهم لون من التخليط والعبث .

وهكذا برمت النشائط التونسية يومئذ بالأدب التونسي بحدوده
العتيقة ومفاهيمه التي تأتي أي لون من ألوان الجديد . وقد بدأت تفتح
لهؤلاء الشبان ألوان جديدة من الأدب ومن الفهم الثقافي عامة ، فانحدوا
من هذه التوجهة البحرية بابا ينفرج عن العالم الحديث ، او قل عن فرنسا
التي بهر ادبها المقول والقلوب ، فاما الذين يملكون مفتاح هذا الباب ،
وهو الفهم الصحيح لكمة الفرنسية فقد انصرفوا الى هذا المين الاوربي
الجديد متخذين منه ماعا مليا للعقل والنفس ، وأما من لم تنهيا نه معرفة
بالفرنسية . وجل هؤلاء من الزيتونيين ، فقد بقي في حدوده ضجرا برما
بما يقدم اليه من زاد فكري . وكان الشابي من هذا الفريق الثاني المبرم
ولكن برمه ببلغ أبلغ الحدود ، وربما سرى به الى الثغرة من الأدب العربي
عامة ، كأن الذي لا يست الى العربية بسبب . فقد غلا واستبد وبلغ به غرام
الاشباب وطيشه ان يجرد العرب من الأدب والفن الرفيعين فقد عاب عليهم
ضيق خيالهم وانصرافهم للمادة دون العاطفة وان . خيالهم لا يطير

بجناحين . وأن يشتم القافية الجافية لا يمكن أن تمنح أهلها السمو في
التصوير والتلوين ، ومن أجل ذلك لم يدعوا في مادة . الأساطير . ابداع
الأغريق والرومان وقدماء المصريين^(١١) . وهذه فورة من فورات الشباب
العالم النائر ، وأن هذا الذي كبه الشامي عن العرب وأديهم لم يكتبه
واحد من الغلاة ، ولم يخطر على بال أحد من الشعوبية الأولين . ولكن
هذا الفنى نائر ، ونورته قد يكون من أسبابها عدم التثبت ، وعدم الأحرار
على الكفاية من مواد البحث . وقد قيل : أن المرء عدو لما يجهل .

وقد تعجب أشد العجب إذا قلت لك : أن هذا الفنى الشاعر لم يحرز
على ثقافة أوروبية ، ولم ينهض أن يعرف الفرنسية لغة وثقافة . إذن فأين
درس الأدب الحديث في أنماطه الأوروبية فصار يتخذ منه مادة للموازنة
والمقارنة ، أو قل فصار بسبب من ذلك ينمى على الأدب العربي جموده
وجفافه وانعدام الصور الحية فيه وافقارده الى الجانب الانساني ؟

والجواب عن ذلك أنه كان يقرأ ما يترجم من نماذج ادبية اوروبية
وبخاصة في الشرق العربي ، في مصر . فقد كانت مجلة الرسالة ومجلة
الرواية . وقبل ذلك بقليل كانت مجلة . ابولو . ، وهذه المجلات قد
عرفت القراء بشيء من نماذج الأدب العالمي . وإذا اتسع لمسيد الشامي أن
يعرف . لأمريتين . من الشعراء الرومانتيكيين الفرنسيين ، فأنما ذلك قد تم
له فيما قرأ من ترجمة احمد حسن الزيات لقصته . وفأيل . فصار
ينحدر عن بحيرة لأمريتين .

وفي الحق أن هذه الرامات لا تمكن صاحبها من التزود بالتزاد الكافي من
هذا الأدب الأوروبي بحيث ينصدر مثل ما تنصدر له الشاعر الشامي الذي
اتخذ من هذا الزاد الفت معلول هدم سلطه على الأدب العربي ، وهذا من
^(١١) انظر الخيال الشعري عند العرب لابن القاسم الشامي (تونس
الشركة القومية للنشر والتوزيع)

نر الثقافة الناقصة يعطدها طيش من شيا ب مندفع .

لقد قلت ان الشابي لم يجد في تونس شئ من ادب لترجع اليه
نفسه ، ولكنه وجد في أدب اللبنانيين المهاجرين في الدنيسا الجديدة شئاً
يستهو به فاتخذ منه مادة وغذاء ، ثم وجد في أدب المجددين في المشرق وهم
جماعة ابولو شيا من ذلك . وهكذا تم لتسيد الشابي ان يفاجئ المقاري .
التونسي بمادة جديدة لم تنبت في . خضرائه التونسية . فهو مجدد ابدا اذا
فيس بادباء عصره التونسيين الذين لم ينهياً لهم أن يقطعوا عن الحفاظ على
القديم في أشكاله ومبادئه . والموازنة أو المقارنة بين أدب الشابي وأدب
الجمهرة الكبيرة من شعراء تونس في تلك الفترة تؤيد هذا الذي تذهب
اليه . وقد ظل السيد الشابي من المجددين مع غيره من الادباء المشارقة في
تلك الفترة .

وقد تقول : انه زيتوني ونهج الزيتونة معروف في الحفاظ على القديم
من الثقافة والتسك بالتراث الاسلامي ، وطبيعي ان يكون هذا الحفاظ سري الى
الذاتية الادبية فالادباء الزيتونيون في تلك الحقبة نفر لم يستقبل الجديد بعين
الرضا ، وان أساليب المجددين الواقعة عليهم ان هي الاقوال عقيمة لا تخدم
الادب العربي في شيء . وطبيعي ايضا ان تبقى هذه المدرسة العقيمة آثارا
في أدب السيد الشابي ، والاستقراء يدل على شيء من هذا . والنظر في
. أغانيه . يطلعنا على نماذج قليلة نعين فيها القدر الذي تأثر به مما أمله
عليه نشأته الاولى ، فاذا قرأت هذه . اللقطات ، وجدت فيها بين . أغانيه . فلم
تليس لبوسها ، ولم تتحل بحليتها . وهي مادة تبع الى ذهك ابيات المتنبى
في ارساله الحكمة السائرة ، وفرائد المعري في ثقافته الى سر من اسرار
الحياة ، شامخة بوقارها وبهائها . أنظر مقطوعته التي أسماها
. المجد (١٢) . :

(١٢) أغاني الحياة ص ٥٢

يود الفتي لو خاض عاصفة الردى ومعد الخميس المجر والأسد الورد
ليدرك أمجاد الحروب ولو درى حقيقتها ما رام من بينها مجدا
فما المجد في أن تسكر الأرض بالدماء وتركب في هيجائها فرساً نهدا
ولكنه في أن تصد بهمة عن العالم المرزوء فيض الأسى صدا

ومن غير شك أنك تحصي في هذه الأبيات مادة لغوية هي ليست من
آلات السيد الشابي في ديوانه ، وربما عاد إلى ذهنك شيء من شعر المتنبى
في وصف معارك سيف الدولة ، فخوض عاصفة الردى ، و ، معد الخميس
المجر ، و ، الأسد الورد ، ادوات لم تألفها في شعر هذا الفتي الحزين
الناحل الذي يقني الحياة وبكيتها ، وما أظنك غير ذاك قول المتنبى :
ولا تحسبن المجد زقا وفينة فما المجد إلا السيف والفنكة البكر
وتضرب اعناق الملوك وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر

ومثل هذا كثير في شعر المتنبى .

ونعود إلى هذه ، اللفظات ، فنقرأ قوله ، سر مع الدهر ، ١١٣١ .
سر مع الدهر لا تصدنك الأهوال ، أو تفرعنك الأحداث
سر مع الدهر كيفما شئت الدنيا ولا يخدعنك التفات
فإنني يرهب الحياة شفي سخرت من مصيره الأحداث

وهذا نمط آخر من إرسال التفكير على نحو ما عرفناه في شعر المتنبى
واضرا به ممن أرسلت الحكمة في شعرهم إرسال الأمثال كآبي تمام والعمري .
وانتزام ، الدهر ، شيء ، واضح في الأدب القديم ، والأمثلة كثيرة في مختلف
العصور الأدبية .

ولم يستطع الشاعر الشابي أن يفلت من الوزن ، فلم يتصرف بالموسيقى
الشعرية تصرف شعراء المذهب الجديد من انصار جماعة ، أبولو ، مثلا .

(١٢) أغاني الحياة ص ٥٢

وربما كان يرى في الحفاظ على الموسيقى الشعرية إبقاء على أهم ما يتصف به الشعر العربي . وقد تبلغ به المحافظة على الوزن أنه يعمد الى لون من اللون المعارضة فأتت حين تقرأ قصيدته ، صفحة من كتاب الدموع ،^(١٤) ومطلعها :

غمام الأسى وأطربه وشجاء اليوم فما غده
لا بد أن تعود الى ذاكرتك قصيدة الشاعر الحصري القديم المشهورة
التي مطلعها :

يا ليل الصب متى غده أقيم الساعة موعده
ومن عجيب ان هذا الوزن اوسيفي من بحر المتدارك قد شغف به
الشعراء . والاعجب من ذلك أنهم لم يكلفوا به الا بعد قصيدة الحصري
المروفة ، فكان الحصري قد به الاسماع الى هذا النظم الرافض . وما اظن
أن قصيدة الحصري على رقتها وأناقتها قد لغت الشعراء اليها لبلوغها مرافق
الفن الاصيل ، والذي أراه ان خفة الوزن وأطرابه قد يسرا لهذه القصيدة
أن تظل عاتقة في اذهان الناس من قديم الزمان الى يومنا هذا وقد شاعت
معارضتها وذلك معروف . يأتي السيد السامي فيدلي دلو في الدلاء
ويعارضه ولكنه لم يكن مقلدا بل جاء مخلصا لفنه وأدبه باكساء قصيدته
هذا الثوب الجديد الذي يتسع في شعر شاعرنا الشامي ، ولكنك لا تعلم
أن تقرأ في هذه الجودة المتمعة نثا من أدب قديم فانظر اليه كيف يتحدث
عن الايام فيقول :

يا للأيام فكم سرت قلباً في الناس لتكده
هي مثل العاهر ، عاتقها تسفيه الخمر وتطرده
يعطيك اليوم حلاوتها كالشهد ليلها غده
فأتت اذا قرأت هذه الايات وكان لك بصر بالأدب القديم عرفت أن

(١٤) المصدر السابق ص ١٠٦

السيد الشريف الرضي قد قال في رثاء أمه شيئا في قصيدته الياكية التي
مطلعها :

أبكيت لو نفع الغليل بكائي وأقول لو نفع المقال بدائي

• • • • •

وخلائق الدنيا خلائق مومن للمنع آونة وللإعطاء
ملورا تبادلك الصفاء وتارة تلقاك تنكرها من اليفضاء

وقد اسلفت ان الشاعر قد شغف بشعراء المهجر ، ولابد أن يكون
هذا الشغف قد أثر في أدبه ، ومن غير شك أن الانصراف الى الطبيعة
والركون اليها على النحو الذي عثر به شعر الشابي كان نتيجة هذا التأثير
الجديد ، وعلى هذا فليس لمؤرخ الأدب الحديث إلا أن يضع السيد الشابي
مع هذه الزمرة الجديدة من مهجريين وآخرين كجماعة «ابولو» ، واستفراء
«أغاني الحياة» يدل على هذا المنحى الذي يجمع بين الشابي واضراجه من
دعاة الجديد.

وأنت لا تقرأ «أغاني الحياة» إلا عادت اليك صور من ميخائيل نعيمة
وجبران وإبي ماضي وغيرهم من شعراء المهجر ، فإذا قرأت ممي قصيدته
«جدول الحب بين الأمس واليوم» التي يقول فيها :

بالأمس قد كانت حياتي كالسهماء الباسمة

واليوم قد أمت كأعماق الكسوف الواجمة

ويستمر في هذا النغم الباكي المنع على طريقته . أقول تقرأ هذا
وتعود الى «النهر المتجمد» لميخائيل نعيمة فنحس أن شيئا متقاربا يجمع
بين صاحبنا التونسي وشعر ميخائيل الذي قال في «النهر المتجمد» قصيدته
باللغة الروسية ثم ترجمها الى العربية قائلا :

يا نهر هل نضبت مياهك فأنقطعت عن الخروب

أم هل هربت وخار عزمك فانتقطعت عن المسير

ولكن النعم يندفق كموسيقى وترية عندما يسيل النهر في فصل
الربيع كما يقول جورج صيدح^(١٥) ، ثم يقارن بين النهر وبين قلبه الذي
ينتظر الربيع عبثاً :

يا نهر ذا قلبي أراد كما أراك مكبلاً
والغرف أنك سوف تشط من عقانك وهولاً

هذا مثل من كثير من الأمثلة التي زخر بها شعر السيد الشابي والتي
نعيد إلى سمع القاريء سوراً متهجئة يستدل منهجاً إلى أن بين الشاعر
الشابي وشعراء المهجر صلة الفن الذي يجنح في طريق واحد .

وبعد فلشابي من شعراء العربية الكبار الذين رزقوا الشهرة لما قدموا
من روائع الأدب ولما انصرفوا إليه من اجادة الفن والخلوص إليه ، والفناء
فيه ، والنظر في ديوانه « أغاني الحياة » يصف على تأكيد هذا القول ،
والأفضاذا هناك أن تقول وأنت تسمع الشابي في « سلواته في هيكـل
أحد »^(١٦) فائلاً :

عبدية أنت كالطفونة كالأحلام كاللحن كالصباح الجديد
كالسماء الضحولة كالليلة القمر كالورد كالبنام الوليد
يا لها من وداعة وجمال وشباب منعم المبود
يا إني النور أنني أنا وحسدي من رأى فيك روعة المبود
فدعيني أعيش في ظلك المذب وفي قرب حنك المشهود
عينة للجمال ، والفن والألهام والطهر والسنا والسجود
عينة التأسك البنول يتاجي الرب في تشوة القهول الشديد

(١٥) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ص ٢٤٧

(١٦) أغاني الحياة ص ١٢١

لاشك انك تقرأ لشاعر اوتي الشاعرية فأصاب من ذلك بسهام عدة
وان كنا نأخذ عليه انه استعار عادة لا تمت الى بيته الاسلامية ، الا ترى ان
الهيكل من مصطلحات العساة في الكنيسة النصرانية . وما ادى ذلك الا من
تأثره بهذا النمط المهجري الذي اسلفنا الكلام عليه . ولا أدري كيف جمع
بين . التأسك الذي يتاجي الرب . و . التبول . ذلك ان . التبول . المرأة
التي انقطعت عن الأزواج او التي انقطعت لله تعبدا وتنسكا فهي المدراء التي
أخلصت لله فهي صفة لمؤنة . ومثل هذا التجاوز اللغوي كثير في شعر
السيد الشابي ، الا تراه في القصيدة نفسها يقول :

خطوات سكرانة بالانثيد وصوت كرجع نائم ببسند
فاستماله . سكرانة . مأخوذ من السمعيل المألوف غير الفصح ذلك
ان الوجه فيه (سكرى) ، وما اظن ان الشاعر استعمل الكلمة جريا على
لغة بني أسد في اجازتهم تأتيث . أقفل . على . فملانة .
وعلى هذا النحو من التجاوز جاء قوله في قصيدته « الغاب » (١٧) :
والى انثيد الرعاة مرفقة في الغاب ، شادية كسرب يمام
فقد التجأ الى « مرفقة » مريدا بذلك « رافقة » واستعمال الرباعي من هذا
العمل غير وارد ، والتلاني هو المعروف المألوف ، اما التجاوز للرباعي فلم
يكن الا مراعاة للوزن وهذه الهات لا تضير بناء السيد الشابي الا ببق المنسجم ،
ونماذج الادب الجميل في شعره كثيرة اجترأت منها بهذا القدر اليسير في
هذه الالامة الموجزة التي لم أرد منها ان تكون دراسة مسببة وافية علما مني
أن مادتي لا تعين على ذلك فينبغي أن يكون من ادواتي شيء آخر افقر اليه
في هذه الالامة القصيرة ورحم الله الشابي .

ومن آثار المجديد في الادب ما نلصحه في شعر السيد سعيد ابو بكر (١٨)

(١٧) اغاني الحياة ص ١١٨

(١٨) ولد سعيد ابو بكر في مدينة « المكنين » على الساحل الشرقي
التونسي سنة ١٨٩٩ ولم يتها له ان يتتقف ثقافة عالية ولكنه زود
نفسه بالمعارف التي حصل عليها بدورته وجدته .

من انشعراء التونسيين في هذه الفترة •

اقول : الجديد في الادب التونسي ولا اريد بالجديد الشيء الذي
ابتكر في الادب التونسي ولكني أقصد بالجديد ما فصدته في الكلام على
شعر ابي القاسم الشابي ذلك ان صاحبنا أبو بكر قد أحب اللون الجديد في
الادب المهجري وتأثر به كما حصل لصاحبنا الشابي •

ويبدو هذا التأثير في موشحات أبي بكر التي خرجت عن المألوف
المحافظ من الادب التونسي في هذه الفترة ولنستمع الى قصيدة الشاعر
• ايها الليل • :

فوق هذا التل عن هذي الرمال	في انفرادي
ها انا ما بين فرسان الخيل	عن جوادي
ارمق الليل بعين الاندھال	وهو هادي
انت يا ليل جبي وانا	في ارتياحي
ان لي فيك سويحات هنا	وانشراح
ولذا أبدو اذا كنت هنا	غير صاح
	انت تدري
هكذا ارنو بعيني للسا	نحو بدري
فانسمع مني حديثاً عندما	ضاق صدري

وفي هذا النغمات تأثر واضح بالاسلوب المهجري في نجوى الليل مع
الالتزام بهذه الغاية في النظام •

ايه يا افق الرزايا والنقم	لا تخن عهدي
ههنا وحدي اناجيك نعم	ههنا وحدي
أنت شوك ناعم في لسه	طبب الاوجاع
انت يوم مطرب في حبه	شفت الاسماع
انت موت مخرج من رسمه	ميتاً قد ضاع

ان يكن فيك اتقالي للعدم والها يصدي
ههنا وحدي اناجيك نعم ههنا وحدي
ثم اذا قرأت قصيدته « الغصن المجرد » بدا لك هذا التأثر بالأسلوب
المهجري :

يا غصن كم غنت عليك بلايل الروض الجميل
من نغمة فيها ارتياح للمتبهم والمليل
يا غصن كم لمب النسيم بما لديك من الورق
فلبست مثله بالمقول تمتاً ويدون حق
الا ترى انك ذاكر قصيدة ميخائيل نعيمة في « النهر المنجمد » التي
يقول فيها :

يا نهر هل نصبت مياهاك فانقطعت عن الخريف
ام قد هرمت وخار عزمك فانتبت عن المسير

وبعد فهذا جهدي في استقراء ما زال مفتقرا الى انشاء كثيرة ، والكمال
معوز ولكني ماض في هذا السيل املا في المزيد من البحث والاستقصاء في
استجلاء الادب في هذا الجزء من المغرب العربي .

ويبدو هذا التأثر في ملاحظات امي بكر التي خرجت على المؤلف
ربما انصرف ذهن الفاري الى اني سأتكلم على اللغة العامية الدارجة
في تونس ولكني لم اصد الى هذا ، وان كانت هذه الانوان العامية حرة
بالدرس والبحث عملا بالمنهج العلمي في درس اللغات دراسة تاريخية تعين
على فهم شيء من تاريخ فصيح العربية .

وقد تهيأ لي ان اقضي في تونس ما يقرب من سنة كاملة ، فكان لي
ان المست بشي . يتصل بأدب القوم وطرف آخر من معارفهم وأسلوبهم في
الكتابة ولم اقتصر على النظر في هذه الامور فقد استوفيت لغة الصحافة
اليومية بما فيها من خبر سياسي ، وآخر يتعلق بما يجري بين الناس فسي

معاملاتهم وشؤونهم الخاصة وما يعرض من أمور • ولم أقصر كذلك على النظر في هذه الأبواب في هذه الفترة التي تباشرها من تاريخنا المعاصر بل تخطيتها إلى النظر في الصحف والمجلات التي ظهرت في عهد ما قبل الاستقلال •

وهذه الفترة الأخيرة مفيدة لنا نحن المشارقة الذين ضرب المستعمر بيننا وبين اخواننا في الشمال الأفريقي • وقد قلت اني وقفت على أشياء كثيرة تنصل بلغة التونسيين فرأيت ان اسجلها واتير إليها خدمة لتاريخ اللغوي • ولم ارد ان اسلك في هذا البحث مسلك التخطئة فأدل على مكان التجاوز للفصح في هذه الاستعمالات التونسية ، ذلك ان هذه الاستعمالات التونسية نصيحة وان عرض لها شيء بعدها عن الفصح المشهور فقد اتصفت بلون من الأقلية أو قل المحلية • ولهذا أسباب سأعرض لها عند الكلام على هذه الاستعمالات • ولا اريد ان انهي هذه المقدمة القصيرة دون ان اشير الى ان هذه العربية اتونسية قد حفلت بشيء من الفصح القديم السدي ندر استعماله في بلاد المشرق •

يشع في هذه اللفة صيغ عربية لم تجر على نحو ما نعت عليه كتب اللفة أو على نحو ما جرى الاستعمال به في غير هذه الديار فمن ذلك :
• الفعل حجر • فالمعروف ان استعماله ان يجيي • ثلاثيا مجردا وانقاعدة اللغوية تجر على انه اذا سمع المجرد فلا يلجأ الى المزيد الألفائدة مقنضة • ولكن التونسيون يعملون هذا الفعل بصيغة التضميف فيقولون مثلا •
• حجرت • الحكومة الافطار الوطني في خلال شهر الصوم • •

أو انك تقرأ على لافتة في الطريق • وقوف السيارات محجر هنا •
ومنى هذا ان صيغة المضط من هذا الفعل هو الفصح الجاري عندهم فهم يستعملونه كما يستعملون سائر الصيغ التي تأتي منه كاسم المفعول مثلا •
هذا هو الاستعمال التونسي اما الفصح المشهور فان الفعل • حجر •

الثلاثي المجرد يعني « منع » الحجر هو المنع وفي لغة التزيل : « وقولون حجرا محجورا » أي حراما محرما فقد استعمل الثلاثي المجرد في صيغة اسم الفعل ومنه قولهم « حجر القاضي يحجر حجرا » إذا منعه من التصرف في ماله . وفي حديث عائشة وابن الزبير : « لقد همت أن أحجر عليها » هو من الحجر المنع ، ومنه حجر القاضي على الصغير والسفيه إذا منعها في التصرف بهما .

وينبني من هذا الفعل وزن « تفعل » فيقال تحجر على ما وسعه الله . أي حرمه وضيقه وفي الحديث « لقد تحجرت واسعا » أي ضيقت ما وسعه الله وخصصت به نفسك دون غيرك وقد حجروه وحجروه .

وينصرف المصنف من هذا الفعل إلى معان أخرى فيقال : حجر القمر إذا استدار بخط دقيق من غير أن يفلط ، وكذلك إذا صارت حوله دائرة في النيم . والتحجير أيضا أن تسم حوله عين البحر بميسم مستدير ومن هذه الاستعمالات التوسية الفعل « تحصل » على وزن تفعل وهي تدخل في الباب المتقدم الذكر . يستعمل التونسيون هذه الصيغة ولا يفتنون إلى أن المجرد ينفي عنه ويسد مسده ، وليس من ضرورة استدعي اللجوء إلى هذه الصيغة فهم يقولون مثلا « حصلت الحكومة على النتائج الباهرة في مقاومة التخلف الاقتصادي » فيمدون الفعل بـ « على » كما تمدى الفعل المجرد حصل بهذا الحرف نفسه . وهذه الصيغة غير مروفة على هذا النحو في الفصح المشهور ذلك أنهم يقولون « تحصل الشيء » بمعنى تجمع ونبت وهذه الزيادة في هذا الفعل قد نقلت الفعل إلى معنى آخر . ومن هذه الأنصال التي ترد في الاستعمال التونسي على نحو خاص الفعل « وقع » . ولا بد من النظر في هذا الفعل فقد كثر استعماله بشكل يدعو إلى التأمل كان يقال « المسألة التي وقع بحثها » ولا يقال المسألة التي بحثت . ويقولون : (الشكل الذي وقع النقاش فيه) وانت واجد مثل هذا الاستعمال

في الصحف والمجلات والكتب العلمية وهو من الكثرة بحيث يجب الوقوف عليه . وأظن ان هذا الاستعمال قد حصل في العربية التونسية بسبب التأثر بالاستعمالات الفرنسية واللفظة الفرنسية ذات اثر في الاستعمال التونسي كما ستبين .

ومن هذه الأفعال ايضاً الفعل « اطرده » وانتونيون لا يستعملون المجرد الفصح المشهور الذي يعني عن هذه الصيغة المزيدة فيقولون مثلاً : « اطرده العامل من عمله » وفي الفصح المشهور الطرد الأبعاد والرجل مطرود وطريد اما الفعل « أطرده » فله استعمال خاص فيقال « أطردت الأبل » أي امرت بطردها ، وفلان أطرده السلطان اذا امر باخراجه عن بلده قال ابن السكيت : « أطرده اذا صيرته طريدا وطردته اذا نفقته عنك » وفلت له : اذهب عنا . وابن شميل يقول اطردت الرجل أي جعلته طريدا لا يأمن . فأنت ترى ان صيغة « اطرده » نفيد فائدة وهي تؤدي خصوصية معنوية لاثاني من المجرد « اطرده » ومن هذه الاستعمالات التونسية قولهم « أقبل » ضخامة الرئيس الموفد التجاري على الساعة العاشرة صباحا . وفي هذه الجملة نجد الفعل (اقبل) فيبر استغرابنا « ذلك اننا لم نأنف هذه الزيادة في الفعل (قبل) والمراد منها (استقبل) المشهور الشائع وفي كتب اللغة : (اقبل) امره اذا استأنفه فالاستعمال التونسي استعمال خاص لم تذكره معجمات العربية وكتب اللغة الأخرى .

ثم انك تلمح في هذه الجملة شيئا آخر ذلك هو استعمال حرف الجر « على » للدلالة على الطريقة ، والمشهور المعروف ان الحرف « في » هو الذي يؤدي هذه الظروف الزمانية وليس لنا ان نلجأ الى التأويل فنقول ان الحرف « على » تضمن معنى « في » فنقول بالتضمن الذي يتبع في حروف الجر ذلك ان الخروج التضمني لم يؤيده السماع .

ومن هذه الأفعال التي يتجاوزون في استعمالها الفصح المشهور العمل

• أبهر • ويريدون به الثلاثي • يهر • فيقولون متلا • ابهرت • بما شاهدته
في التقدم العلمي • وكان الأصوب والارشق أن يقال بهرت • •

وزيادة الهمزة في هذا الفعل تنقل الفعل الى معان أخرى كما تنص على
ذلك كتب اللغة ، فالفعل • أبهر • استغنى بعد فقر ، وأبهر تزوج سيده وهي
البهيرة ، وأبهر الرجل اذا تلون في اخلاقه دماثة مرة وخينا أخرى •

وقد نقرأ في الصحف التونسية ولا سيما ما ظهر منها قبل الاستقلال
قولهم : • ذكرت الرحيفة الثريا خبر استقالة الوزارة • وفي هذه الجملة
بنوا من الفعل • رصف • الى • فصلة • للدلالة على ما نتعمل في عربتنا
السائرة في ايامنا لقفلة • الزميلة • وهو استعمال خاص بهم لا يدرك الا
بهذا التوسع في دلالة الفعل • رصف • •

ومن الفاضلهم الاصطلاحية كلمة • التصبير • وهي كلمة تدل على الوان من
الوان الصناعة الحديثة وهو اصطلاح لا نعرفه في الشرق وانما نستعمل
(التعليب) ومعناه تخزين الفواكه واللحوم والمخضر في الصفيائح المعدنية
واستخدامهم هذا الاصطلاح لا يخلو من اساس لغوي معروف فاصل الصبر
الحبس وكل من حبس شيا فقد صبره ومنه الحديث : نهى عن المصبورة •
ونهى عن صبر ذي الروح والمصبورة التي نهى عنها هي المحبوسة على
الموت • وفي حديث آخر في رجل امسك رجلا وقتله آخر : اقتلوا القاتل
واصبروا الصابر أي احبسوا الذي حبسه للموت حتى يموت كفضله به •
قال عنترة :

فصبرت عارقة لذلك حرة ترسمو اذا نفس الجبان تطلع

فأنت ترى انهم بنوا مصطلحهم من فكرة الحبس الذي يؤدي بالفعل
• صبر • كما ان (التعليب) في استعمال المشاركة جاء من (علب) والعلبة
في اللغة قدح ضخم من جلود الابل • وقيل العلبة من خشب كالقدح
الضخم يحلب فيها • ومازال العراقيون يستعملون العلبة للأناء الذي

يضمون فيه اللبن الحاضر ، وهي من خشب .

وانت تقرأ في كتبهم الفقهية مثلاً : يجوز لتسويحي اراضي الدولة ان يسموا بالقوائد التي تضمنها فصول القانون ، والمتسوخ من مصطلحاتهم القانونية فهو المتأجر ويبدو ان هذا الاستعمال قديم في لغتهم .

و « الفصول » عندهم تقابل « المواد » القانونية في اصطلاحنا .

وتأخذ الصحيفة اليومية فتقرأ في الصفحة الاولى : « خطاب الممثل القار للجمهورية التونسية في ندوة الأمم المتحدة » . وتמיד قراءة هذه الفقرة فتقف على كلمة « القار » فتلمح فيها شيئاً لم تألفه ، ثم تعرف ان التونسيين يريدون بالقار كلمة « الدائم » أي المثل الدائم . فقد بنوا من الفعل « قر » على وزن فاعل للتعبير عن هذا المعنى وما أظن ان هذا الاستعمال يوصلهم الى ما يريدون بيسر . وهذا لون من الزان التوسع في الاستعمال .

وربما يدفعك حب التطلع فتقرأ الاخبار الفضائية فتقرأ فيها : « الفرار المخدوش فيه » ويريدون بالخدش على سبيل المجاز لظن كما في استعمالنا « اقرار المطعون فيه » .

وللقوم اساليب خاصة في التعبير عن شؤونهم وما يضطربون فيه وهذه التعبيرات وان كانت عربية فهي موسومة بافليمية محلية فانت تقرأ في الصحيفة التونسية « ازدان فراش السيد فلان وعفيلته بمولود ذكر اسمياه محمداً » فهذا اللون من التعبير لا نجده الا في الصحف التونسية .

وقد نجد في هذه العربية التونسية شيئاً آخر هو ان المادة العربية الفصحى استعملت في دلالة جديدة لا تمت الى الاصل بسبب او قل ان المادة الفصيحة قد احوالها الاستعمال الى مادة عامية دارجة . ومن ذلك مادة (شبح) فينون منها الفعل (شاح) واسم الفاعل (شايح) كذلك عمل على الجفاف واليبس فاذا قالوا : لحم شايح فيريدون به (جاف) وشاحت الفاكهة جفت وبيست .

وإذا رجعنا إلى كتب اللغة نجد مادة « تسح » ودلالاتها على الحذر
والجد وإشائج والمتسح والتسح هو الحذر الجاد ولا نعلم وجها للتقريب
بين الفصح والمستعمل الدارج .

وقد تقرأ من استعمالاتهم ما ينبي على أصول قديمة ولكنهم
استخدموه بشيء من التوسع لأغراض جديدة ومن ذلك ما نجد أحيانا في
الصحف من استعمالاتهم (الوسق) بمعنى التصدير بلصائح . والوسق
بالفتح للوادر وكسرها هو حمل البعير ، وهو متون صاعا ، والوسق وقر
النخلة ، ووسقت النسي . أسقه وسقا إذا حملته . وفي لغتنا التجارية التصدير
للبيضة ويقابله الأسيراد ، ولكن التونسيين يعدلون عن الأسيراد إلى
التوريد . قال ابن سيده نوره واستورده كورده .

وتقرأ في هذا الباب قولهم . وردت الحكومة البضائع إلى لبنت
سلوحيتها . (للاستهلاك) ويريدون بالصلوحيّة المصالح ، والمصدر من
(سلح) سلاح وسلوح وليس من حاجة إلى المصدر الصناعي . سلوحيّة .
لأن هذا المصدر أكثر ما يلجأ إليه في المصطلح الفني .

وهناك المندجات مدلولات تونسية اصطلاحية غير معروفة عند
المشاركة مثلا ومنها : « التريص » ويراد به ما يراد بالكلمة الفرنسية stage
وما يصطلح عليه . بالمدرسة التدريبية لاكتساب الخبرة والتجربة في من
الفنون . وليس من سبيل إلى استمارة . التريص . في هذا المعنى إلا بالتوسع
التيهيد . ومثل هذا المصطلح : « المناقرة » بمعنى الاختبار والامتحان للحصول
على السابق في النتيجة وفي هذا مجاوزة وإبتعاد عن الامتحان والاختبار اللذين
يراد بهما التجاح ليس غير . على أن في أخبار الأدب القديم ما يشبه استعمال
التونسيين لهذه الكلمة كالمناظرة بين الكمائي وسيويه مثلا .

وتقرأ في الصحف التونسية « السلم العالية » و « استتب السلم » وهو
خلاف المشهور من تذكير السلم في لغة المشاركة وكتب اللغة تشير إلى جواز

هذا الاستعمال فقد جاء في لسان العرب المسلم يفتح السين وكسرها : الصلح يذكر ويؤث . وقد وردت هذه الكلمة في لغة التزييل فجاءت بكسر السين في سورة البقرة كما جاءت بفتح السين في سورة الانفال . وان جنحوا لنسلم فاجتبع لها . وقد جاء ضمير الغيبة الذي يعود للمسلم مؤثنا في هذه الآية . كما جاءت بفتح السين واللام في اربع لغات اخرى في سور مختلفة . وترى التونسيون يستعملون انعاما لا نجد في استعمالنا المتصرفي ولكنها نصيحة تشبها بمعجمات العربية فاننا نقرأ في صحيفة مسن مصحفهم : ان التاجر الفلاني يزق البشرى الى (حرفائه) والحرفاء جمع حريف وحريف الرجل معاملة في حرفة . والحريف يقابل الزبون في لغة الشرفه وجمعت على زياتن كما هو الدارج المتألف واستعاره الزبون لهذا المعنى شي . مولد ، وكتب اللفظ لا تثبت هذه الدلالة للناقة الزبون وهي التي تدفع جانبها . والفصح القديم كثير في اللفظ التونسية فهم يطلقون (الشارع) على الطريق الضيق الواسع (والنهج) على الطريق الذي دونه و (الزنقة) على الطريق الضيق الذي لا سدد (Impasse) واكبر اطلق ان هذه الكلمة الأخيرة قبل الزقاق في استعمالنا وهي عربية منها في الاستفاد . والزقاق يضم ارامي السكة يذكر ويؤث وقبل ارفاق الطريق الضيق دون السكة على ان (الزنقة) قد وردت في فصح العربية وهي ميل في جدار في سكة او عرقوب واد ، والزنقة السكة الضيقة وفي حديث عثمان من ينسري هذه الزنقة فزبد في المسجد .

ويستعملون (الأحواز) جمع حوز للدلالة على الجهات القريبة من المدينة الكبيرة كما نعمل (الضواحي) او (الأرباض) او ما شابه ذلك فيقولون مثلا (تونس والأحواز) يريدون العاصمة وما جاورها . والحووز في كتب اللفظ ما انضم الى الدار من المرافق ، والمنافع وفي الحديث : فحسى (حوزة الاسلام) أي حدوده ونواحيه . وهكذا

استعملت الكلمة التونسية بشي من التوسع للاستفادة منها في هذه الدلالة الجديدة . وفي التنظيمات الادارية تجد ان المدينة الكبيرة يطلق عليها . اولاية . وصاحب الولاية . هو الوالي . والولاية والوالي من الكلمات التي استعملت قديما وظلنا مستعملين الى العهد القرية الماخية وكان على الولاية قبل فترة الاستقلال . القائد . ويأتي بعد الولاية في التنظيم الاداري (المندمية) وهي اصغر من الولاية ومعنى ذلك ان الولاية بنمها (مندريات) عدة ، وصاحب المندمية هو (المند) وهذا من المصطلح الجديد الذي لا نراه في غير تونس وكان على هذه الشبة من التنظيمات الادارية في عهد الحماية التونسية (الكاهية) ثم تأتي (الشيخة) لمقبة الصغيرة وصاحبها هو الشيخ . وقد تسم في تونس وغيرها من الشالي الاغربي الفاظا في هذا الباب لا نعرفها اصلا ومن ذلك : . اندشرة ، المجمعة الصغيرة المسوطة في مكان معين وهي لا تدخل في التنظيم الاداري الرسمي ومنها . اندشرة ، في المعنى نفسه للمجتمعات الصغيرة . ومن المناسب ان نعرض للاختلاف المتعلق (بالوضع الحكومي) ونقول الوظيفي الحكومي وليس الوظائف الحكومية كما هو المسموع عادة . وفي هذا الباب مادة كبيرة لم نعرفها في غير أقطار الشالي الاغربي بصورة خاصة ولابد ان نأتي على هذا الجانب من هذه المادة المعقوبة وهو :

١ - مدير التراسيم رئيس الجمهورية هو الموظف الكبير الذي يكلف امورا معينة كاستقبال ضيف كبير او . شبه ذلك وهي تقابل عددا مدير التشریفات أو شيئا يشبه ذلك .

٢ - كاتب الدولة وهو منصب معروف في تونس و (كاتب الدولة) عندهم هو (الوزير) عنده . كأنهم عدلوا عن الوزير وهو كلمة واحدة الى هذا التركيب الاضافي تقييدا وترجمة للكلمة الفرنسية في هذا الباب (Secrétaire d'Etat) وعلى هذا الاساس ايضا لم تكن لفظة الوزارة

في جسدول مناصبهم الرسمية فهي (كتابة الدولة للتربية القومية) •
وأود أن أبه إلى أن الوصف بكلمة (القومية) أو (القومي) ورد
كثيراً في أسماء الإدارات الرسمية وتبه الرسمية نحو (الصندوق
القومي للمضمان الاجتماعي) • و (الجامعة القومية لاتحاد النقابات)
وهذا التوسيع لا يرمز إلى شيء من معناه المتعارف عندنا من الديكارت
الشرقية فهو مقابل للكلمة الفرنسية (National)

٣ - كتابة الدولة للفلاحة ، والفلاحة عندهم هي (الزراعة) في الميادين
الرسمية وفي اللغة العامة ، و (الفلاح) عند التونسيين هو غدير
العامل في الأرض كما هي الحال عندنا ، فهو المالك للأرض والمنفعة
منها والمستمر لها فلا يقولون : (زارع) أو (زرايع) أو كما نقول
في استعمالنا الشائع اليوم (مزارع) وهكذا جاءت (الفلاحة) في
كثير من مصادرهم التاريخية القديمة وقد استعمل ابن خلدون في
المقدمة (الفلاحة) ولم يستعمل (الزراعة) مثلاً •

٤ - (مصلحة الاستخلاص) نجد لفظه (الاستخلاص) مستعملة كثيراً
لفرض فني فالمراد بها (الاستحصال) للرسوم والضرائب مثلاً ، كان
نقرأ (استخلاص الأدوات القارة) وقد نقرأ (قباضات الأدوات
القارة) و (القباضة) تعني المكان الذي تسلم فيه (الأدوات)
والأدوات هي (الضرائب) التي يجب ادائها ، أما (القارة) فقد
مرت بها واسلفنا الكلام عليها • وقد تكون ، القباضة ، الإدارة التي
يستلم منها الموظفون مرتباتهم الشهرية •

٥ - (المكتب الجهوي لجراحة التقاعد) والمسراد (بالمكتب الجهوي)
المكتب الذي ترجع إليه شؤون الجهات والأقاليم غير العاصمة وقد
يطلق على هذه (الجهات) (الأفاق) كما يقال : فلان من محامي
الأفاق أي مختلف الجهات ما خلا العاصمة •

(والجهوي) نسبة الى (جهة) . وهذه النسبة غير معروفة في الفصح المسموع فكانهم ردوا الى الكلمة المحذوفة وهو الواو ، والفصح فيها عدم رد المحذوف اذا كان المحذوف فاء لا لاما فانسبه الى (عدة) (عدي) ومثل هذا التجاوز ما ترى من النسبة الى (وحدة) في ايامنا هذه فيقولون : (فلان وحدوي) أي من انصار (الوحدة) للوحدة بين الدول العربية ، وزيادة الواو قبل ياء النسب ثم تجر على الوجه الصحيح ، والفصح هو (وحدي) أما (التجراية) فهي المصطلح الذي لم يتبع في عصرنا فهو النعت المرسوم من نقد او عين .

٦ - (القيم العام) وهو ما يقابله في الفرنسية Surveillant general وهو مسؤول في المدارس الثانوية عن النظام وعن أمور أخرى وهو يساعد تاطر المدرسة في ذلك .

٧ - (المفقد) هو ما يقابل عددا (المفقس) وعندهم مفقود للمعلم التوتوي ومثله للمعلم الابتدائي وغير ذلك مما يمس دائرة التفتيش في مجالات عدة .

٨ - (الحجارة التجارية للحاضرة) وقد عدلوا عن (العرق) التي يستعملها اهل المشرق في هذا الأمر . وما افقهم ارادوا المميز بين الحجارة والعرق من حيث الاصطلاح اللغوي . (والحاضرة) عندهم هي مدينة تونس دون سائر المدن الأخرى لذاذا اطلقت فهم المراد من لفظة (الحاضرة) ولم يختلط الأمر بالحواضر الأخرى .

٩ - (الرائد الرسمي) وهي الجريدة الرسمية سميت بهذا الاسم تميزا لها من كونها تختلف عن الجرائد الأخرى .

١٠ - (الصبايحي) وهو من اعوان الوالي يقوم بشؤون الوالي نحو سجن الموقوفين او غير ذلك .

١١- (المطلب) ويقابل (العريضة أو الطلب) عند أهل الشرق وربما كان من الترجمات من الفرنسية فهو (Demande) وهم يقولون مثلا : (على المترشحين للمدارس الثانوية ان يعبروا بالمطالب الضرورية) واعط (التعبير) يقابل (التحرير) عندنا وهذا شيء لا تعرفه مسن معنى التعبير .

الالفاظ العسكرية

ما زالت هذه الالفاظ تحفل بمداخل الاجبي من تركي قديم الى فرنسي جاء به الحكم الاسعاري . ومن ذلك مثلا (الشاوش) و (الباشاوش) و (الامير الاي) . (والسيوزباشي) و (اقالم مقام) و (الكومبار) وغير ذلك .

مصطلحات الجامع الاعظم

(هو جامع اربونة) الشهير في التاريخ التونسي وهو مفتوح من الصفحات المشرفة . والمعهد الاول لتونس . ولهذا المعهد مصطلحاته وآله فمدهم :

١ - (الشيخ) ويطلق على حريج الجامع الاعظم وعلى من يباشر التدريس فيه .

٢ - (الاهلية) وهي شهادة الدراسة الابتدائية في المعهد .

٣ - (التحصيل) وهي شهادة الدراسة الثانوية وتقابل البكالوريا .

٤ - (العالية) وهي شهادة الدراسة العالية وتقابل الليسانس في الأنظمة الحديثة .

المصطلحات القضائية

للتونيين مصطلحات خاصة بهم في هذا الباب لابد من تسجيلها ومن ذلك :

١ - (محكمة العقوب) التي يطلق عليها في جهات عدة من الشرق
(محكمة التميز) او (محكمة انقضى والابرار) كما في مصر .

Le Tribunal correctionnel

٣ - (سابقية الاضرار) من الاغراض الاصطلاحية في القضاء التونسي
ويقاله (سبق الاسرار) في اللغة القضائية في الشرق العربي .

٤ - (تهمة التمس بالحق) ويراد بالتمس الاحتراف أي التمس بالحق
وفي سوغ هذا المصدر نوههم بأصالة التمس مع حذف الياء . وقد جازم
التمس من مصدر (معلن) ولا يعرف لهذا النوه وجها . وهم
يسعمل الآن في هذه المراتب القضائية التونسية ، وامرية في غنى
من القول في هذا المورد .

٥ - (انديس) وهذا من الاغراض التي نورد في الاحكام التونسية كأن
يقال : (حكم على فلان بجريمة (انديس) في الشهادة او
(الانديس) في الحساب مثلا ، والبراد بالانديس هما (التروير) الذي
يشيع في اللغة القضائية في الشرق واستعمل انديس فصيح قديم
في هذا الباب والذي نعرفه ان من كتب ابن حجر المستقاني النوفى
سنة ٨٥٢ هـ رسالة في (طبقات انديسين) المسمى تعريف اهل
النديس بمراتب النوسوفين بالنديس) .

٦ - ويقولون مثلا : (تركبت الهيئة العليا لمحاكمة من سنة أعضاء)
واستخدام التركيب في هذه الجملة مما سم تألفه نحن المشاركة
ذلك اننا نقول (تألفت الهيئة العليا) .

٧ - ومن هذه المادة ما نقرأه في الصحف من الاعلانات ، ومن ذلك
(يعلن السيد ... ان بنة كره مخزنين على ملك احد المعمرين
ستم يوم الجمعة ٢٠ ففري) . وفي هذه الفقرات نعرف ان
(منافسة) باصطلاحنا المشرفي لايجاز مخزنين ستمهي في التاريخ

المذكور ، ثم ان المخزنين (على ملك احد المعمرين) أي ان المالك
لهما احد المعمرين والمعمرين هم Les Colons في الفرنسية أي اعرابيون
الذين استوطنوا تونس فعمرروا لانفسهم المزارع الكبيرة والمتاجر
الضخمة .

الأسلوب المترجم في اللغة التونسية

تأثرت العربية التونسية الحديثة بالأساليب الفرنسية في التعبير ولم
تكن العربية التونسية بدعا في هذا التأثير ، ذلك ان العربية الحديثة بصورة
عامة قد اكتسبت نيتا سبجه هذا الأسلوب المترجم .

وهذه المترجمة تبدو بوضوح في لغة الخبر السياسي الذي نسمعه من
الندباغ وفي كثير من الأساليب الصحفية .

لذا أصغيت الى المذباغ التونسي وحين وقت اذاعة الاخبار سمعت
الندباغ يقول : والان نستمعون الى الجريدة الناطقة . ويريد بالجريدة
الناطقة (نشر الاخبار) والجريدة الناطقة نقل للتعبير الفرنسي .

ثم سمع في هذه الاخبار ان (الجند الفرنسي قد احدث على اتراب
التونسي) ويراد (اتراب) الارض التونسية أي ان الاعداء قد حدث في
الارض التونسية . واستعمل (اتراب) مقابل للتعبير الفرنسي Territoire
وفي هذه الاخبار ايضا : (ان الرئيس قد قام بسمي لقائدة السلم
الجزائر واستعمالهم) لقائدة السلم (يريدون به) (من أجل السلم) ومجيء
القائدة جاء من ترجمة للفرنسية

ثم سمع المذيع يقول : (اتصل الرئيس ببرقيات من طرف تعااضديات
للمتلاحين والصناعية .) واستعمل الفعل (اتصل) على هذا النحو شائع
في اللغة التونسية وربما كان مترجمة عن الفرنسية . ثم ان استعمالهم
(من طرف) ويريدون به (من لدن) او (من قبل) كان نقلا للتعبير
الفرنسي de la part . والتعااضديات استعمال تونسي مقابل لـ Coopération

وهي المتأونة في اصطلاحنا . اما الصائبة فهي جمع يريدون به الفتح
وهذا الجمع لم نسمعه في غير تونس من اقطار العربية .

ثم نسمع ايضا ان (اوزير قد قابل منافة من الاطارات الحزبية)
فتتقرب كلمة (الاطارات) وتراها جديدة على سمعتك ولم تدرك انها ترجمة
لتعبير الفرنسي cadres ونقطة Cadre تعني الاطار في معناه الحسي وهي
الاداة المعروفة . ولكن الفرنسيين يتبعون في دلالة فيقولوه مجازا الى معنى
آخر ويريدون به الافراد المتعلمين الذين يؤلفون العناصر الضرورية
في التنظيم الاجتماعية بصورة عامة وهكذا فان الفرنسي يتقرب اللفظة
الفرنسية فيجد اللفظة المقابلة لها في العربية في معناها الحسي . ولا ينبغي
بذلك بل يتوسع في هذه العربية على منطقتها انجاز كنوع الفرنسيون في
نفسهم وهذا شيء . لا نسيقه العربية كثيرا فلكل لغة مجازاتها ومنهجها
الخاصة في التعبير .

ومن هذا الأسلوب المترجم جاء في العربية قولهم (كونغولي) و
(ملونغولي) في السب إلى (الكونغو) وإلى (الطونغو) من الاطوار الأخرى .
واللام في هاتين الستين ليست جارية على قواعد السب العربية فهي زائدة ،
وهي غريبة ، وهي من الفرنسية . ومن هذه السب استعمالهم (الكرونيكية)
في قولهم (آلات الكرونيكية) فانكاف الثانية في الكلمة من Electronic
الفرنسية في والتصحيح ان تكون الكلمة في العربية من دون الكاف الأخيرة
التي جي بها في الفرنسية للوصف الذي هو مثل النسب في افادته للموسيقى
فيقال (آلات الكرونية) .

ومن هذا الأسلوب المترجم استعمالهم تلفظ (أين) في غير
الاستفهام مثلا (سيقام الاحتفال في بطحاء الحكومة أين يخطب الرئيس) .
والتصحيح ان يستعمل الطرف (حيث) ولكنهم تأثروا بالتلفظ المتقبل
في الفرنسية في مثل هذه الحال وهو ou

■ يتعلق بالزراعة والتبات من اللفاظ

نلمح في هذا المجال مادة لغوية خاصة جديرة بالتسجيل والنظر ، ذلك ان تونس بلد زراعي يعتمد على الزراعة الاعتماد الكلي . فمن هذه المادة اللغوية ما تعلق بالأرض المزروعة فالأرض الكبيرة المعدة للزرع يسمونها (هنير) ولا تعرف في مواد العربية شيئا من هذا . وربما كانت الكلمة من المخلقات اللغوية القديمة فقد حفل التاريخ التونسي بلفات عدة كالترومانية والفتيفية والمهجات البربرية . وقد حدثني العام الجليل السيد حسن حسني عبد الوهاب ان الكلمة كانت تطلق على المواقع التي هي مكان للعاديات والنفاس العتيقة ثم استعملت الاستعمال الأخير .

ويسمون الأرض المعدة للزراع والتي تسقى من بئر تنصب عليها واسطة (يسمون الماء) (الساية) وهذه الكلمة ذات أصل فصيح فأنساه في مصيحات اللغة العرب وأدائه . والساية الناضجة وهي السافة التي يستقي عليها . وفي مثل عبر السواني سمر لا ينقطع . وعن الليث : العاينة وجمعها السواني ما يسقى عليه الزرع ، والحيوان من بعير وغيره . وقد سب السانية نرسوا إذا استفت . وما نحن نرى ان الساية العرب وأدائه ثم توسع فيها في فصيح العربية فصارت تطلق على الحيوان الذي يستقي به ، ثم توسع التونسيون فيها فصاروا يطلقونها على الأرض التي تسقى بهذه الطريقة .

ومن هذه لفظة (الكرود) في العراق وهي مادة عبر عربية ومعناها الاداء التي تنصب على بئر أو حجرة يجتمع فيها الماء الذي مصدره النهر ثم يستعان بالحيوان على ادارة عجلة هذه الاداء فيرمى بالماء في أوعية مربوطة بالمعجلة . أقول توسع في مدلول هذه الكلمة فأطلق (الكرود) أو (الكرود) بصيغة الجمع على الأرض التي تسقى بهذه الطريقة ثم صار المشتغلون بهذه الأرض (كراة) على صيغة المباعدة .

ويزرع التونسيون (الزيتون) وقد اشتهرت تونس بزيتونها منذ أقدم العصور . وفي تونس من اصول الزيتون ما يرجع الى عدة قرون وهم يسمون ما يظهر منه من دون ان يشهده الانسان بالزروع (الجالي) والمدة عربية فصيحة ولكننا لا نعرف هذا الاستعمال في مدلولات الكلمة الفصيحة . ويسمون حاصل الزيتون (العساية) وربما كانت ما يصيبه الفساح من هذا الثمر انبارك .

واشتهرت تونس في كونها تسج الفواكه الحامضية كالميمون والبرتقال وغيره وهذه اسما تدعى (الحوامض) في الديار الشامية وخرافية ويدعوها المصريون (التوالج) أما التونسيون فيسمونها (الفوارض) وهي المصطلح العلمي والتجاري عندهم على ان يفتد (الفارض) يطلقونه على الميمون الحامض citron دون غيره . أما الميمون المحلو فيسمونه (الليم) .

ومن فاكهتهم (المويه) لما يدعى بالخرسية prunes على ان التونسيين فلما يستعملون غطف (الفاكهة) أو الفواكه وانما يدعون عنها ائي (الفله) أو (الفلال) بمعنى اجمع ، فإذا قيل عصير الفلال فالمراد به عصير الفواكه وانصرف (الفله) ائي هذا المعنى اسمعنا تونسي وتخصيص للكلمة بشيء دون غيره وحقيقة (الفله) في كتب اللغة : الدحل الذي يحصل من الزرع والتمر والمجن والأجاره والنتاج ونحو ذلك وجمعها (غلات) وفلان يعمل على عيانه أي يأنسهم بالفله) .

ومن الملاحظ ان (الفاكهة) عندهم قد تنصرف الى ما يجفف من أصناف الفاكهة . ومن أسماء (التين) عندهم (الكرמוש) أو (الشريجة) ولا نعرف لذلك وجها .

ومن أصناف الفاكهة ما يدعونه (بوساخ) لما يسميه الشاميون (ايكبي دنيا) و (ويني دنيا) .

أما الخضروات Legumes ففيها شيء آخر خاص بهم ومن ذلك « القناريه »

لما يدعى بالفرنسية Artichaut ولم يثبت P.J. Bellot هذه الكلمة في معجمه الصغير الفرنسي العربي واكتفوا بذكر (شوكي أو أرضي) ولا أدري من أين جاء بهذين الاسمين ولعله اخذهما مما هو مستعمل في لبنان وقد فاته ان الخفاجي في (شفاء الغليل) قد ذكره وعده من الدخيل ولم ينص على أصله الذي جاء منه . قال الشهاب الخفاجي : الفارسية هو بالمغرب نوع من الخس ومنه نوع يسمى (الخرشف) وخس الكلب والكنكر فان ابن المقتر : -

وقد بدت فيها تدور الكنكر كأنها جماجم من غير

على ان اتونسيين لا يلقونها بالفاق بل بالكاف التشديد على نحو ما ينطق المصريون بالجم .

ومن حضروا منهم (اسفارية) ويريدون بها الجرد ومنها (الجلبان)

بكر الخيم وهي ما يسمونه (بابزايا) أو ما يدعى بالفرنسية Petit Pois

والكلمة ذات أصل فصيح وان تغيرت صورتها فـ (جلبان) بضم الجيم واللام مع تشديد اللام نوع من الفطاني . قال أبو حنيفة : لم أسمعه من الأعراب إلا بالتشديد وما أكره . يخففه قال : وحل التخفيف لغة .

ويسمون القناء أو الخيار (نفوس) و (النفوس) من اسمائهم المنحلبة اشاعة في كثير من أقاليم الشمال الأفريقي .

أما (البامية) المروقة في الشرف فلها اسم غريب عند اتونسيين لا يعرفون غيره هو (القناوية) بتشديد النون .

ويطلق اتونسيون على بعض (الجوان) اسماء ثم اهتد الى اسمونه المقوية فأخروا في صغير يدعونه (علوش) بتشديد اللام وهم ينطقون بانواو كما ينطق الحرف اللاتيني

ومن ذلك (العروس) للمعزة و (السردوك) للمدريك و (الحلوف)

للمختزير .

الأقليمية والنقد الأدبي

حفزني الى الكتابة في هذا الموضوع تطبيق نشرته مجلة « الفكر »^(١) على مقالة نشرتها في مجلة « الأديب العراقي » عنوانها « امانة للشعر وأمير للشعراء » ، وأمير الشعراء في هذه المقالة هو الشاذلي خزنده دار من شعراء تونس الكبار . وقد عرضت في هذه المقالة لشعر الشاعر وقلت فيما قلت : انه لم يبلغ من روعة الشعر ومستوى الابداع ما يحوز به مبايعة أميراً للشعراء ، ولم يأت منه الاكثف القواني بعضها الى بعض وقد قلت ان اخوان التونسيين لا يؤمنون « بقول المشهور : « ما أمير ومنكم أمير » وكانهم يرون في أنفسهم الوجه البارز المعبر عن أفريقيا الشمالية ، وربما ارادوا ان يقولون بالشارقة : انا منكم أو خير منكم » .

وقد يبيع هذا الشاعر الأمير على هذه الامارة كما يبيع أخ له من قبل ، ذلكم هو أحمد شوقي أمير الشعراء الشارقة . أما صاحب الشاذلي خزنده دار فقد بايعة مواطنوه التونسيون وفيهم شاعر القيروان محمد الفاضل . ولا أدري كيف خلص الأستاذ رئيس تحرير « الفكر » الى قوله : امي أنهم التونسيين بالخروج والعصف والتظاهر بالسبق في كل المجالات . وأنا أريد أن ادفع هذه المهمة ، ومعاذ الله أن أرمي يوما بالذي جاء على صفحات المجلة أو اعمرهم بشيء لا يرضونه وقد لمست فيهم الخير والفضل ، وكف أنهمهم بمنال ذلك وقد خبرتهم فوجدت فيهم الصديق الكريم والسيد الوفي والعالم الجليل .

وقد أبي الملق الفاضل ان تسب مبايعة الفاضل القيرواني الى شيء من التملق والتزلف ، وفاء لروح الشاعر الصادق الرفيق محمد الفاضل الذي

(١) مجلة الفكر العدد الخامس ١٩٦٣

لم يعرف عنه انه كان ميلاداً للمطلق والتركيب .

أما أنا فسأعود الى شعر السيد خزنة دار يقف القاري . على قيمته الحية
وعلى قيمة مباحة شاعر الخيروان ايام بالأمانة .

ولابد من التوجه بالشكر للسيد رئيس تحرير «الفكر» الذي حفزته
مقالاتي فعلق عليها خدمة للتاريخ ، ووفاء للمثقف الأدبي ، وأشهد اني قد
افدت به فصاحت من وهم دعت اليه فسبت الشاعر الى رمرة الوزراء
ولم يكن له ان عرف هذا المنصب . ولكنه على أي حال من طبقة عليا
ومن أرومة عليا تصل به الى البيت الثالث وان لم يبعد مقام هذا البيت عن
الانتماء في صفوف المنصب .

وكان السيد المطلق لم نرضه الأحكام التي وردت في مقالتي في حق
أمير شعراء الخضراء فمضى يقول : « فيما رأي الاساتذة : الفاضل بن
عائود وزير العاهدين السنوسي والصادق مزيغ ومحمد الحليوي والهادي
عبيدي ومسطفي خريب والهادي ام مري وعثمان الكعك »

وانا أريد ان أشرك هذه الرمرة الفاضلة في الذي سأعرضه من شعر
الشاعر ونكبي اسني من هؤلاء السيد العامري الذي طلع علينا في العدد
السادس من مجلة الفكر بهذا العام بصفاته عوانها ، أمير شعراء الخضراء
الشاذلي خزنة دار ، استجابة لنداء المجلة في عدده السابق . وكأني به قد
أمسك بقلمه والغضب قد ملأ عليه كل شيء . على هذا النجبي والكذبي
الذي نحق بأمير شعراء الخضراء فلم يشأ الا ان يفسس هذا القلم في اجل
فيزعم اني كتبت ما كتبت عن قصد سيء ، ولا ادري كيف جوز لنفسه
هذا الزعم الباطل .

وقد سررت بادى ذي بدء ببدء المجلة في العدد السابق واستطلاعها
آراء السادة الأفاضل ، حتى اذا طلع العدد القابل ورايت السيد العامري
مستجيباً للنداء توقعت الخير وفلتنت انه سيصحح خطأ ويراأب صدعا وأن

نه من اصوله ومواده وأدواته ما يعين على بلوغ هذه الغاية فقرأت المقالة
 آملا أن أجد فيها نماذج تغير من رأيي في شعر الشاعر الذي بيته في المجلة
 العراقية ، ولكني لم أجد شيئا من ذلك وأنا آسف أشد الأسف ، وسأعرض
 لموضوع كله ذاكرا النماذج التي اعتمدتها أنا والتي اقتبسها من كتاب
 « الأدب التونسي في القرن الرابع عشر »^(٢) للسيد زين العابدين السنوسي
 أحد السادة الذين استطلعت « الفكر » رأيهم فيما قلت في شاعر الخضراء الأمير ،
 كما سأعرض لنماذج السيد العامري لأطلع هؤلاء السادة الأكرمين ، ولأطلع
 جمهور القراء الذين يعرفون الشعر فيقدرونه قدره ، على القيمة ، الفنية ،
 لأدب الشاعر الأمير . وأنا آسف أيضا ألا تكون مقالة السيد العامري قد
 خدمت النقد الأدبي بقدر ما أُرست هوى وعاطفة فدقت تجنبا لحق بالأدب
 التونسي كما توهم السيد العامري في مقالته الفاضلة .

وانت ايها القارئ ، ربما تعجب من عنوان مقالتي هذه فأقول لك : اننا
 معاصر العرب مشاركة ومقاربة ما ارتأنا نأتي هذه الاقليبة ، هي اقليبة
 نطعن على أحكامنا في سياسة والاجتماع والأدب ، وليس من غايتي ان
 اتكلم في السياسة والاجتماع فلم أتها لذلك ، ولكني أريد أن أشير الى هذه
 الاقليبة التي تسود النقد الأدبي فيما تصدر من أحكام ، فإذنا نلصق
 النعوت المجلجة والالقاب المدوية بشعرائنا فهذا شاعر العرب الكبير ، وهذا
 شاعر القطرين ، وهذا شاعر العراق الأكبر ، وهذا أمير الشعراء ، وهذا
 شاعر النيل . وانت تعرف ان هذه النعوت لم تخدم النقد في شيء ، وأن كثيرا
 من أدب هؤلاء لا يرقى عن مستوى الرسم الذي تقتضيه مناسبة عابرة ،
 يفنقر الى القيمة الفنية افتقارا أميلا كما يقول النحاة ، ولا يحتفظ الا بالفائدة
 التاريخية . وبعد أنيس هذا من دواعي هذه الاقليبة الضيقة . ولنعد الى

(٢) الادب التونسي في القرن الرابع عشر لمحمد زين العابدين السنوسي

تونس ١٩٤٦ .

أمير الشعراء وشعره لنقول فيه الكلمة الأخيرة معتمدين على مختارات السيد السنوسي والمختارات التي جاء بها السيد العامري .
أما مختارات السيد السنوسي فمنها قصيدة عنوانها «الحر»^(٣) فليسمه يقول :

الحر من لا يتكين لمرحق	فمليك خصلك بمم ويحك تقم
واصدح بحقك في الآباة ولا تقل	ان الهاء موكل بالطق
ولي م تنجدي وحفلك بين	ثلت به تبتد للمتصدق
بنا حين أتف الخنوع بفاسم	ما نلك إلا فيه المتعلق
أولى وأحرى أن يبت على ظما	من ظل من ماء المهانة يستفي
فيم أحمالك والكوارث جمة	من يرالد بنقرة المسموي
مم وعشي ساحرين تطاولا	ما كنا في الوري لم تحلق

وعلى هذا النحو يستمر الشاعر في هذا النظام الذي تموزه وحدة البناء والانساق بين انشائي بحبت تأتي وكأنها قد افرغت في وحدة مناسكة ، ولدى اشاعر بملك حيث من الأفكار العامة يوزعه على عدة هذه الأبيات فيلتزم طابع الموعظة واسلوب التصبحة ، وما أفن أن في ذلك شيئا يمس الفن الرفيع . وإرسال الفكرة على هذا النحو شيء يعرض للنظامين فضلا عن الشعراء المبدعين .

ثم انك اذا فحصت القصيدة بينا بينا وجدتها تقتدر الى غاية في البناء والا فهل لك أن تسبح بناء هذا البيت :

أولى وأحرى أن يبت على ظم
من ظل من ماء المهانة يستفي
وأنا أسائل هؤلاء السادة الذين استطلعت الفكر رأيهم بقولوا ان كانت هذه القصيدة من شعر أمير الشعراء ام من النظم الذي لا يرقى بصاحبه الا الى رتبة النظامين .

ثم تعال معي أيها القارىء . نستمع الى قصيدة الشاعر « نداء » التي

يقول فيها :

لادت بينهما الديار بالله أين العير
هنا علي بنفسار وذا علي بنفسير

⊙ :

التونسي بنني أضحي بحني بنادي
لكننا ذو الغسي وآء أعدي الأعدي
حيث اغدى في الحني يقول هذي بلادي
وحق هذا الأبي قامت بسبه الأنار

الى دويها تنسیر

⊙ :

من يرتضي بالدنيا لم يفكر بانفساني
عش سيداً في البرايا معزراً بالرجال
كم في الزوايا خبايا فنهض بها في الحال
وخص غمار الناي فما هي الأعشار
وهل لها تنسیر

كن مؤمناً بالله لا مؤمناً جفرا في
في يفضله وإتياء كاساده الأسافي
ما في ارتكاب المسامي كالسادة الأسافي
الا كبار الدواهي الا الدواهي الكبار

والاندحار الكبير

إدأب عليه وطائب به الخصوم الأنداء
لم تات - والله غائب - يا صاحب الحق إذا
لا سلب يبقى لسالب مهما طفي وتمسدي

كن بالعزبة جانب ما تنفيسه السديار
فأنت فيها الخير

تقرأ هذه القصيدة في افكارها الوطنية فلا تحس الحماس المتقد ، ولا
تستطلع زحمة الصور الشعرية التي تترجم هذا الحماس ، وانما ترى نقما
باردا ينداح على هذا النمط الحكائسي في سرد الأفكار التي تشغل بان
العامة ، والتي يتحدثون بها سحابة يومهم في زمن طفى فيه المستنصر أيضا
مغيا .

تقرأ هذه القصيدة فلا تنفس فيها ماء ولا رواء كما يقول النقاد
الافدمون وكيف لا نعدم أن نجد عناية في الرصف ، ألا ترى أن انحدور
قد بنيت على قواف منسقة كما بنيت الأعجاز على شيء من ذلك .
على أن في هذه العناية ما يذكر بأساليب المتأخرين من شعراء الفترة
المنظمة . انظر الى قوله :

هذا علي يماري وذا علي يغمر

تدرك هذه العناية المتفوضحة في « الغيرة » و « الاغارة » . وهذا
وانحس نس لم يحدث عن غير قصد .

وان هذه العناية على نحو ما جاء في شعر المتأخرين قوله :

ما في ارتكاب اسمي ما بسين يار وخفاف
الا كبر الدواهي الا الدواهي الكبار

فقوله « الا كبر الدواهي » ، لم اعدته العبارة نفسها في العجز بالاعراب
في المضاف والمضاف اليه المطلوب مردول مبتذل وهو من باب « رد العجز على
الصدر » ، ثم ان استعانه « المناهي » لا يؤدي « المنهي عنه » فهو جمع
« منهي » مثل « مسمى » والمراد هو زنة اسم المفعول ، وهو يبدأ اربعة

(٣) الاكبر لبرنسي ٢٤/١

الآيات هذه بقوله :

كن مؤمناً بالله لا مؤمناً جغرافياً

وهو يريد • بالمؤمن الجغرافى • كما نلت في البيت • المؤمن بالطبيعة
والمنكر لله • وما أرى أن استعماله • جغرافى • يسمفه في ترجمه
هذه الفكرة •

ولا أريد أن أترك هذه المقطعات قبل أن أشير الى ان الشاعر قد
نقل فيها شيئاً فيه محجة من العامية الدارجة • الأثرى في قوله : • ف هي
الاعمار وهل لها تأثير • شيئاً من هذا التأثير بالعامية في استعماله • وحل
لها تأثير • •

ثم انظر الى قوله :

إدابة عليه وطلاب به الخصوم الألداء
لم تأت - والله غالب - يا صاحب الحق إذا

فقوله • والله غالب • عبارة نلوكها السنة العامة كل يوم وان كانت
من مادة فصيحة وهذه العبارة يرميها التونسيون دون سواهم •
ولست أرى وجهاً لتجاوزة الشاعر • او قل أمير الشعراء للفصح
المشهور في قوله : (وطلاب به الخصوم الألداء) فالألد صفة المفرد وهو
الخصم • أما الخصوم فينبغي ان توصف بالجمع • فكان يلزم أن يقول
• الخصوم اللد • جرياً على قوله تعالى : • ونذر به يومئذ • فاللد بضم
اللام جمع الألد •

وماذا عسى السيد العامري أن يقول في هذه التجاوزات ! أهـي
هناك من حقها ألا تذكر أم هي مراعاة اقتضائها الوزن • وكيف لا يحاسب
بعد أمير الشعراء في ارتكاب شيء من ذلك • هون عليك ايها القارىء • -
ولا تضق ذرعاً فسأطيل عليك لاوطنك على هذا النظم • الخزنة دارى • •
يبكي الشاعر في قصيدة • ضحاًبا • المجاهد بين الأبرار فيقول :

نبكي لفراقهم وهم أحياء سبباً بكنهم نونس الخضراء
 ما كان في كفي الحسام وإنما من تحت فكي حبة رقطاء
 أرسلتها حصياً على مثالهم فتريه ماذا يفعل الثعراء
 ساهز من قومي الذين بلوتهم ما ترتضيه الهمة القمصاء
 عربية الاحساس في نخواتها لله تلك النخوة العرباء

* * *

دعهم يريقوا يزهقوا يستزفوا يتقوا يبدوا يفعلوا ما شاموا
 في هذه الأبيات يبكي ضحايا الوطن ، فال موضوع جليل ، وكان
 يستدعي من الشاعر قصيدة عامرة غير هذه الأبيات ، يستوفي فيها ما
 تقتضيه هذه المناسبة الكريمة . غير ان الشاعر ثم يستطع أن يخلص من
 طريقته في ارسال الأفكار بصورة لم يسبقها الفن تصويراً وخيالاً وعاطفة .
 نقرأ مطلع هذه المقطوعة فنجده مثقلاً يتجاوز بحوي فقد قال ، وهم
 أحياء . ثم جاء بالعدد على هيئة التذكير . سماء ، وليس لنا أن نقول ان
 . سبع . سبع . الضحايا ، عنوان القصيدة ، ذلك ان عود العدد على العدود
 القريب . نبكي لفراقهم وهم أحياء .

قد نقول : هذا شيء . حين ، وأنا أقول معك : انه حين نوهياً للشاعر
 ان يرفع في مقطوعته شيئاً من الأجاد الفية .

أقول : موضوع القصيدة جليل وخطير ، ولكن هذه المخطوطة نسـ
 تس الشاعر المحب بالانفاذ ، ألا ترى الى الجمع بين . كفي . و . فكي .
 في البيت الثاني مما يذكرك بصناعة التأخرين المتبدلة . ومنه هذا قوله :

عربية الاحساس في نخواتها لله تلك النخوة العرباء

وهذه أيضاً صناعة مبتدلة ، ألا ترى الى التكرار في عجز البيت فهو
 يكاد يكون إعادة للصدر وهذا ما أسموه بالمرصود من القوافي . ومادا
 يقال في شاعر يحرس على هذه الألاعيب البديعة !

ثم انظر الى آيت الاخير :

دعهم يرفقوا يرفقوا

ألا ترى ان « الارقاة » غير واقعة في حيز الطلب ، فلم تكن جواباً
لتفعل الامر « دع » وعلى هذا فليس من الحق ان تجزم كما توهم الشاعر .
وأعود اليك - ايها القارىء - لأخبرك ان صاحبنا الأمير ممن عانجوا
باب المعارضات وباب المعارضة تقليد محض ، فقد خلا له ان يعارض
ابا نواس في خمريته المشهورة :

حامل الهوى تمباً يستحقه الطرب

كما عارضه أحمد شوقي وغيره ، أما قصيدة حرته دار فهي :

راحة انتهى الطرب ههنا فلا عجب
الدنان مرعبه واضمور سكب
والكؤوس جارية توفى فوفها الحجب

الى آخر هذه القصيدة الطويلة التي لا نخرج عن اطار القديم في

مبناها .

ويصف الشعر واحدة من الأسباب من « بنات الخفاف » فيقول :

بين الشراخ واحتوى حفت بفردها نجول
سوراً على هذه المسحور وتارة بين المسحول
كالقلمي في فلوانه أغف السلق والزلزل

فرمت شبحي دنو القلمي بالطميرف الكحيل

نقرأ مطلع القصيدة فنجد استعمال « بفردها » وما اظنك مستلح
لهذا الاستعمال ، ويريد أن يقول « وحدها » وهذه أحسن وارثي ، ثم
نقرأ هذه القصيدة الطويلة ، فنرى الشاعر لم يخرج عن أسلوب التقدم
في التشبيهات وارسال المعاني ، وأنا أحيلك على هذه القصيدة في كتاب

السيد السنوسي ولكني لا اترك القصيدة دون أن أنير الى البيت الأخير فيها وهو :

فلنهنسأ الأزواج ما أف سترت بربات الحجول

وأظنه أراد « ربات الحجال » فالحججال جمع حجلة ، هي قبة تضرب للنساء لها أزرار تشد عليهن ، كما جسد في إحدى خطب أمير المؤمنين على بن أبي طالب : « يا أشباه الرجال ولا رجال ، حلوم الأطلال » وعقول ربات الحجل » . أما الحجول ، فهي غير هذا ، فهو جمع الحجل بكسر الحاء أو فتحها وهو الخلخال .

ويختتم السنوسي منتخباته بقصيدة في وصف « دقة » المدينة الرومانية المتينة ، والقصيدة من جيد شعر الشاعر لما اشتملت عليه وصف رائع فهو يقول :

اطلال دقة والرسوم خوائ ما للمباني الخساويات ومالي
عبث الزمان بهما كما عبت به فكلاهما في صدمة ونزال

الى آخر هذه القصيدة التي يأتي فيها على وصف مظهرها التاريخي في تأمل حائفة الفن . وأعود الآن للسيد العامري الذي أشكر له نصحه « بمراجعة بيان شعر أمير الشعراء الخضر » فأقول له متلفساً : ان النماذج الشعرية التي جاءت في مقاله لا تعين كثيراً على تغيير الحكم الذي أسلفته في شعر الشاعر .

ذكر السيد العامري^(٤) : أن شاعر الخضر « وأمير شعرائها قد عاش مرهقا مبعدا محروما من عطف اليايات ، فكان يمزل عنهم وهو القريب منهم » وغاية ما ناله على عهدهم (خطبة وظيف ضابط شرقي) بالرغم عنه . فلم يتمالك عن الابداع بالحقيقة فقال :

(٤) انظر مقالة السيد العامري عن أمير شعراء الخضر في مجلة الفكر العدد السادس ٣ ، و ١

ها اني بالرغم عني فاند ما بينهم لكن بدون عساكر
 ما لي بها الا الحسام علامة ونحية جبراً أجعل بالخاطر
 لو بت تسألني على أحوالها لشفيت قلبك بالجواب الحاضر
 قد كنت أحمل ذلّة لا خطية حتى تراني خاجلاً من ناظري
 تلك النجوم حقيقة في نفسها كبرى وتصغر في عيون الباصر

يسوق السيد العامري هذه الأبيات على أن الشاعر لم يله من جلال
 البيت المالك النعم المريضة ، وأنا أفر وأعترف له بذلك وأشكره على
 تصحيح شيء مما ذهبت إليه ، ولكنني أفيد من الأبيات فائدة أخرى وهي
 أنها ليست من شعر الشاعر النفيس ولا تقوم دليلاً على أن فائلها صاحب
 إمامة بين أقرانه على فائدتها التاريخية .

وهاتما ادلك على مواضع في هذه الأبيات ترى أنها تنكرو ضعفا في
 التأليف بقوله : « ونحية جبراً أجعل بالخاطر » من هذه المواضع الضعيفة
 في البناء ، الا ترى أن « الجبر » لا يكون « بالخاطر » بل « للمخاطر »
 ثم ما مقام حرف الجواب « أجعل » في هذا التركيب ، فهو تكسأة اعتمد
 عليها صاحبها لأقامة وزن ليس غير .

ثم يقول : « لو بت تسألني على أحوالها » وكأن الشاعر لا يعرف أن
 « السؤال عن أحوالها » لا « على أحوالها » وهذا من عمل شيطان الوزن
 أيضاً وفي قوله : « حتما تراني خاجلاً من ناظري » تجاوز للمألوف المعروف
 وهو « خجل » بفتح الأول وكسر الثاني ، ولم يسمع الوصف منه على
 « فاعل » وإن صحت قياسته وإذا ثبت السماع بطل القياس كما هو معلوم ،
 ألا ترى أنك لا تقول « فارح » من « فرح » ولا « حازن » من « حزن »
 بل تقول « فرح » و « حزين » .

وقد اضطر الى ان يذيل البيت بقوله (من ناظري) والفصح الملح
 ان يقول « من ناظر الي أو في » ذلك ان تسمية الفعل لا تصح الا بأحد

الحرفين وفي ذلك دفع نوحهم ربما وقع فيه من قرأه ناظريه .

ربما يقول السيد العامري - حفظه الله - : ان هذه هات ، وأنا أقوم
على هذا القول بأن هذه هات ، ولكني أقول : انها لا يتقاضى عنها في شعر
شاعر مغمور ، فضلاً عن أمير للشعراء .

ويمتدح السيد العامري على هذه الأبيات بأخرى في الموضوع نفسه
يبدى الشاعر فيها عزوفه عن هذه ، الخطأ ، التي لا تشرف ، والتزامه
بسمته ووفاءه وطيب معدنه ، وانصرافه عن هذه التوافه وتعلقه بوطنه
الحبيب ، وفي كل ذلك فوائد تاريخية .

قلت : سأعقب نماذج السيد العامري لنخلص منها الى فائدة فتنبت
حقاً ، وتدفع وهماً . ذكر السيد العامري فيما ذكره بل هو
أول شاعر نوسى نادى بترقية الثمور وارهاقه وتحريكه في الجواهر
. . . . وجاء لذلك بفصيدته التي سنشير اليها دليلاً . يقول الشاعر :

وحبك بالثمور اذا ترفى	وأجرى سلسيله في المجاري
فكم بعت الحبيب الى عوس	لأرجعها وكأت في احتضار
وفلدها تربط المز خيراً	بسات الثمان مرفوع المنار
وكم نفقت به الالباب سحراً	وكم أجرى ببحره من جوار
وكم رضعت ثباته من شحوب	سطار فارتقت به للكبير
وكم رفموا به للمحق سبوتا	فأسبح لأباً تاج الوفار
...	...

ودونك من دنائه كأس راح	تنوب لديك عن كأس العقار
وخصص من بسات العكر جوفاً	فمضاق الرواية في انتظار
وحافظ على كيانك في وجود	ولا تنظر له نظراً احتقار
وبادر في الرياض لتطف زهر	فان العود أصبح في اخضرار

يعقب السيد العامري على هذه الأبيات فيقول : . أوليس من القبح

القاحش أن يقال لشاعر الشعور أنه مطلق أو ناظم . . أما أنا فأشهد أنني
أنا أقل . مطلق . ولكني قلت أنه . ناظم . والآيات التي ساقها الكاتب
أفاضل كما هي مثبتة في هذه المثانة تميز على هذا الرأي فنقول إن صاحبها
نظام ، لا يمكن أن يرقى إلى طبقة أمراء الشعر . وأنا أريد أن أشهد
محبي الشعر والعارفين بنقده أن يقولوا ما يرون في هذه الآيات إن كانت
شعرا قد حاز على الخصائص الفنية من إبداع في التصوير وروعة في
الخيال واحتدام في الماطفة ، أم نظما جرى فيه صاحبه في إرسال الأفكار
إرسالا على نحو ما يفعل كثير ممن رزقوا القدرة على النظم .

فالشاعر في هذه الآيات يحكي فائدة الشعور وأثره في حياة الناس
في نمط تقريره والتقرير أبدا ما يكون عن أسلوب الشعر الذي يعتمد
اللمحة المظلمة والانتفاة الباردة . وفي هذا التقرير أسلوب يقرب من
العامة والأفكيت شعر بغير التعبير الدارج في قوله :
وقلدها شريط العز فخرا . نبات الشأن مرفوع النار
الشعور هو الذي . فله النفوس شريط العز ، على نحو ما يملكه
الملك فائدة المنصر وسام الشرف فيحلي بذلك صدره . فخرا ، ليكون
. الشأن مرفوع النار .

ثم قرأ قوله :

وخصص من نبات الفكر جوقا . فمناق الرواية في انتظار
فهو يتخذ من . نبات الفكر جوقا . ذلك أن شهود الرواية ، بس
عشاقها ، . في انتظار . لها واللجوء إلى عرض . نبات الفكر في هذا
الثوب الخلق اهانة للشعر وإبتذال لنبات الفكر .

ولن أدع هذه الآيات دون أن أشير إلى أن الشاعر في هذه الآيات
قد جاء بشيء تجاوز فيه الوزن ، ولم أرد أن أشير إلى هذا لولا أنني
علمت مما كتبه السيد زين العابدين المنوسي من أن للشاعر معرفة أكيدة

بالمعروض ، وعليه تخرج الكثيرون في هذا الفن . وها أنا مشير الى هذا التجاوز الذي لا يحمله الوزن ، ومن ذلك : قوله « وأجرى سليله في المجاري » ألا نرى أن ضمة الهاء في « سليله » زيادة على الوزن ، فاليست من الوافر والوزن يقتضي حذف الضمة وإسكان الهاء وتقطيع البيت على النحو الآتي : -

مجازي	سلف	واجرى
فصول	مفاعلتين	مفاعلتين

ومثل هذا التجاوز قوله • وكم أجرى بحره • من جوار • وقوله • وكم رخصت لبانه من شحوب • وقوله • ودونك من نانه كأس راح • ففي هذه الأبيات زيادة في الوزن اقتضتها حركة الهاء في • بحره • و • لبانه • و • نانه • .

واسم من ذلك أن يأتي قوله « وحافظ على كتابك في وجوه »
فهذا خروج واضح لا نظيفه موسيقى اليه .

وبعد فهل أثبت كذباً ، ولفقت بامطلا على « شاعر الشعور » .
 فيأتي السيد العامري بأبيات يفخر فيها أمير الشعراء بمقامه في
 الشعر و « منبر » في « الشاعر » وأنه « يجر وراءه من القوافي عسكراً »
 زهاء نصف قرن خدمة للحق واعلاء للموطن فيقول :

خدمته الخضراء، والحق والهدى ومنته عما بالفضيلة يزدي
رفعت به أيام لا صوت سوطه ونددت' بالتفريع عن كل منكر
نقرأ البيت الأول فنجور على النور في قوله ، ومنته ، ثم ترك هذا
البيت وتأتي للمذي وله فيبدو لك شيء من الألاعب المتأخرة في الجمع
بين ، صوت ، و ، سوط ، ، وبعد فماذا تقول في شاعر ، يجز هذه
الفواافي عسكرا ، غير إخلاصه للمقديم ، فطريقته قديمة وفيه للشعر
قديم ومادة بنائه قديمة أيضا .

والشاعر معجب بنعمه ، مزهو به وقديما قيل : كل فتاة بأبيها
معجبة ، ولكن اعجابه قد جاوز الحدود فهو يقول :

لو شاء ربك للكتاب زيادة لأضاف آياتي الى تنزيله
- رحمك الله - يا ايها الخزنة دار فقد جرت عن القصد ، وسلكت
غير الحق ، وأي خبر في ذلك والسراء يقوون مالا بطلون ، فقد جاء
من ذلك قول ابي الطيب المتبي :

وكل ما خلق الله وما لم يخلق محقر في هنيئ كسرة في مفرقي
ويختتم السيد العامري مقاله فبأنه بقصيدة للشاعر كان قد أهداها
اليه يهته فيها بولادة طفل ، والسيد العامري معجب بهذه القصيدة اعجابا
لا حد له ، ومن حقه ان يعجب وان يطرب ، وأن يحفظ للشاعر عاطفته
الكريمة ومنزلته العالية ، والقصيدة من : المقارب ، وهي : -

ولادة طفل وعام جديد وهذا نغمي قران سعيد
والعامري من الحزنمادي نهائي الودود بهذا الوليد
وكان الشاعر يثبت في الوزن عن قصد منه فما أراه يجهل هذا
الامر فهو يقول : -

شقيق ، عياض ، محمد وطالم يمن وعيش رغيد
و . هاديه ، للمخير والده له أمل في الصبي وطيد
ألا ترى ان في صدر هذين البيتين وفي عجز البيت الثاني شيئا
لا يتسجم مع الوزن ، ومثل هذا الخروج عن الوزن قد وقع في أبيات
عدة من القصيدة نفسها . ثم اقرأ قوله :

هو اليوم في الدوح خشف وديع وفي الغد ليث حصور عييد
لترى مقام مقام « الخشف » في نظم الشاعر « فليس » الدوح . مقاما
للخشف كما هو معروف . ويختتم الشاعر هذه القصيدة مؤرخا على نحو ما

شاع عند المتأخرين من باب التاريخ في منظومهم * والقصيدة على طسولها
 لا تخدم مكانة الشاعر القية فليرجع اليها القاري *
 وبعد فانا ادعو السيد العامري ان يعود الى ما كتب ، فيعيد النظر ،
 وينفي عني سوء القصد واصطناع الخبر وقلة الاستقراء *
 ولا اريد أن اختتم هذه المقالة قبل أن أعود الى مسألة بيعة شاعر
 القبروان محمد الفائر للشاعر خزنة دار فاذا ذكر القاري بهذه المسألة
 وبقية هذه البيعة ، بعد الذي عرضت من البحث في شعر الشاعر ليحكم
 في هذا الامر وليرده الى أصوله ودوافعه خدمة للحق ، ووفاء للتاريخ
 وعملا بقواعد النقد التي نأبى المحاباة بسبب من اقلية او خرابة أو أي
 صلة اخرى *

قطوف من تونس

لن أحدثك - صديقي القاري - عما ينزل بالتونسيين من خطوط في هذا
الأيام ، فقد جاءك نأ القوم في تلك الديار وعرفت عن المدينة الباسطة
المصاهرة ، وكيف نازلت جيش فرنسا البغيض ، ولكنني أود أن أنقل إليك
« قطوف » من تلك الأرض الطيبة ، وأخصك بها ، فما أغنى التونسي عن
هذا الذي سأسوقه إليك ، وأنا لا يضيرني أن يقول أصدقاؤني اتونسيون :
« هذه بضاعتنا ردت إلينا » كما قال أسلافنا من ذي قبل ، وهأنا أوترك بهذه
القطوف لتعرف شيئا عن تلك الديار التي انقطعت عنا أو قل انقطعت عنها ،
ومازال فينا نحن المصارفة حاجة أن نعرف عن أخواننا « المصارفة » .

والمصارفة هم أهل المشرق عند التونسيين والمصارفة عامة ، ولا ينصرف
المشرق إلا إلى الديار الواقعة إلى الشرقي من برقة وطرابلس الغرب من
عالمنا العربي ، وفديما كان أهل المغرب يقصدون هذه الديار في موسم
الحج ، حتى إذا انتهت مناسك الحج ، القوا عصاه الترحال فطاب لهم
المقام ينزودون من علم المشرق في بغداد أو دمشق أو في القاهرة
ثم يتصدون للتدريس ، فلما أن يقيموا إقامة دائمة ، ولما أن يفتلوا إلى
ديارهم .

ومن أجل هذا كثر بينهم الرحالون كالأدريسي الشهير وابن
جبير وابن بطوطة والتجاني وغيرهم .

ولا تعجل علي - حفظك الله - مسائلا أين هذه القطوف ، ولم
وصفت هذا الذي أقوله بالقطوف ، وما أنطكت بجهلت أن تونس قد وسمت
بالخضرة ، وأنها استحققت من أجل ذلك أن تسمى بالخضراء ، والخضرة

صفة واضحة المعالم في تونس التي احبها التونسيون فقال فائس منهم :
تونس دار الانس .

والذي سأنقله اليك هو الوان شتى من لغة وادب وتأريخ ، وقد
سميتها « قطوفا » لاني اقتطعتها من هذه الديار الابنية التي انتجت
بالخضرة ، وعقبت بالزهر ، وازدهت بالظلال . وما ادراك تجهل ان هذه
الديار بلد الزيتون الذي يوركت شجرته ، ولا ادري في حاجة ان اعيد
اليك قوله تعالى : الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح المصابيح في زجاجة الزجاجه كانها كوكب دري يوقد من شجرة
مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار . .
وانه خص بالشرف العظيم فكان من اشجار الجنة مع الخيل والاعصاب
والرمان في غير موضع من التنزيل ، ألا ترى ان الآية قد اقصمت بالنين
والزيتون ، وان التين قد سبق الزيتون في القسم الشريف لحاجة لفظة
يقتضيها نظام تأليف الجمل على هذا النسق المسجّم الموسيقي ، وما افطن
ذلك خافيا عليك . والزيتون في تونس خير وافر تكتسي به البقاع
السيحة ، ومن هنا جاءت الكلمة عندهم بصيغة الجمع فقاوا (زياتين) ولم
تألف نحن اهل المشرق جمع هذه الكلمة على هذه الصورة لانعدام الحاجة
الى هذه الصيغة ذلك ان هذه الشجرة غير معروفة عندنا بهذه الكثرة
العجيبة . والزيتون في تونس قديم جدا ترجع اسوه الى العصور التي
سبقت المصور القديمة ، فانت تجد بين اشجاره الجذوع النخسرة التي
تحدث الدهور وسخرت بالاحداث . وقد اهتم التونسيون بهذه الشجرة
المباركة التي افادوا منها الخير العظيم ، فاعتنوا بزراعتها واتقوا في ذلك
الكتب ، ومن ذلك كتاب « العهد الثمين في تأريخ غرسة الزياتين » لاحمد
الكواك . وتونس كما اسلفت بلد يزدهي بالخضرة ، واهله يستغلون
بالفلاحة ، وفنتني ان اسجل هنا أن كلمة « الفلاحة » هي الشائعة في هذه

الديار ، وهذا الاستعمال قديم فقد ذكرت الفلاحة في « مقدمة ابن
خلدون » عدة مرات وهو يريد بها ما يريد التونسيون اليوم ، وهي
تؤدي ما تؤدي عندنا كلمة الزراعة ، فوزارة الزراعة مثلا تكون عندهم
« كتابة الدولة للفلاحة »^(١) ، على ان التونسيين لم يفيدوا من هذه التجربة
المباركة على نحو ما أفاده اللبنانيون الحذاق من شجرة الارز ، فقد تفنن
هؤلاء اللبنانيون بالدعوة لهذه الشجرة المباركة عندهم ، والتي جاء ذكرها
في اسفار العهد القديم ، والتي تفتى بها الادب القديم في تلك الديار
الايقة ، ثم جاء الجيل الحاضر فأكبر هذه الشجرة وعظمها واحاطها بكل
رعاية وعناية ، وصارت اشجار الارز القليلة ، مكانا يقصده المصطافون
الا ترى ان العلم اللبناني يحمل صورة الارز الشامخة ، ولكن شيئا من
هذا قد حصل عند التونسيين ، فأتت تسم بالجامعة الزيتونية وهي في
جامع الزيتونة الكبير والذي سيأتي ذكره .

وقد اسلفت ان قطعة وقعت بين المغرب والمشرق ، وان هذه
القطعة كانت بعد زوال الدولة الاموية في الشام ومجيء العباسيين سنة
١٣٢ للهجرة ومنذ ذلك الحين اخذت الولاة في القيروان يمنحون بشيء من
الاستقلال ، بسبب بعد مركز الخلافة العباسية عن هذه الديار ، والانشغال
العباسيين بالشورات والفتن في الافاليم التابعة لهم ، ولان كثيرا من دعاة
الخلافة من ادراسة وهاشميين وأمويين قد جلسوا في القيروان ، فكثرت
الطامعون بالخلافة ومن اجل ذلك حاول احفاد عقبة بن نافع هذه المحاولة
كما حاول ذلك غيرهم .

ولكن هذه القطعة لم تغير نظر الناس الى ان المشرق دار العلم
والعزوة ، وان لابد لطالب العلم من التزود بهذا الزاد الاصيل على الرغم
من ان المغرب كان له علماء في مختلف العلوم والفنون ، وانهم كانوا
(١) : وتعني لفظة « كتابة الدولة » بالوزارة في الاصلاح الشرفي .
عند الاستعمال جاء عن ترجمة الكلمة الفرنسية .

يستقدمون المشاهير من علماء المشرق ، وأن جامع عقبة من مراكز العلم
المشهورة ، وأن النخبة كانوا يقصدونه من كل مكان ، وربما قصده
الاندلسيون من الاندلس في العصور المتأخرة .

وحلة الاندلس بالمغرب قائمة في مختلف العصور ، فلما انتهى
الحكم المغربي في الاندلس ، هاجر المسلمون الاندلسيون الى المغرب
واستقروا في هذه الديار ، وكان لهم في تونس مراكز خاصة بهم .
وقد اهتموا ، بالفلاحة ، ولا سيما الزيتون منها . وما زال في هذه
المراكز حتى يومنا هذا أسر اندلسية تحمل اسماءها الاولى مثل اسرة
(مروش) وهي من الاسبانية Morac أي اهل الاندلس الذين بقوا في
اسبانيا بعد سقوط غرناطة ومثل اسرة التاطي وهي منوبة الى
(شاملة) وقد حدث ابدال بين الباء والميم .

ولقد هاجر الاندلسيون الى تونس في فترات مختلفة ، فقد كان اول
تمهد بذلك في ايام مسهجة ، واشهر من هاجر منهم امية بن عبد العزيز
بن ابي الصلت الذي جاء بالموسيقى الاندلسية الى تونس ، والتي نحفظ
بها تونس حتى يومنا هذا تم كانت الهجرة الثانية على عهد الحفصيين ،
ولا سيما ما كان منها بعد سقوط اشبيلية ، وماقة ، وبطرنة ، فهاجر منهم
حازم القرطاجني صاحب (المناهج الادبية) وهو من اجيل كتب النقد
الادبي ، والذي اعتمد فيه على المناهج الاوربية في هذا الباب ، وهو صاحب
المقصورة التي شرحها الشريف القرناطي ، في مدح السلطان الحفصي
المستعبر بالله الذي بنى الحنايا الشهيرة لجلب الماء سنة ٦٤٠ هـ - ٦٥٠ ،
وقد جاءت ترجمته في فتح الطب مع ذكر شي من شعره ، وكما ذكره
ابن سعيد المغربي .

ثم هاجر الاندلسيون بعد سقوط غرناطة ، على ان المهم من هذه
الهجرة ما حدث منها حينما اجلى فيليب الثالث (الموريسكو) سنة ١٥١٧

للمهجرة والموريسكو هم المسلمون الذين بقوا في اسبانيا بعد زوال الحكم العربي ، وكان ذلك على عهد عثمان داي في تونس .

ولقد اسس الاندلسيون مراكز خاصة بهم كما اسلفنا ، وهي نهريه على شواطئ الانهار ، وجيلية في الجبل ، وسهلية في السهول .
وهكذا جاء الاندلسيون فكانوا عمل نشاط وجد في تكوين هذا البلد من عدة وجوه .

ويؤلف البربر طائفة كبيرة من التونسيين ، وقد استوطن البربر منذ اقدم الازمنة في ديار المغرب جميعها ، فحين تلافى البربر في كل عصر من اعصار المغرب ، والبربر من الشعوب الاسلانية التي عبرت دورا اساسيا في تاريخ الاسلام ، وحسبك ان تعرف ان طارق بن زياد قد فتح الاندلس بجيوش العرب والبربر ، وان عبد الرحمن النافعي الذي انطلق في فرنسا فاتحا كان يقود جموع بربريه ، وان دولا كثيرة قامت مصدرة على هذا الشعب الحريق الذي اسلم واحب الاسلام فأخرج العرب المزاج كلها حتى ان كثيرا من افراد وجماعته قد استعرب ، عبر ان البربر لم يعاملوا معاملة الموالي في المنصرف . ذلك انهم اهل هذه البلاد قبل ان يدخلها العرب فاتحين . وما زال قسم من هؤلاء محتفظا ببربريته على هذه الصفة بالاسلام والعرب . وربما وجدت فيهم من لا يعرف العربية ولا سيما اولئك الذين يسكنون في المغرب الأقصى وفي جهات من الجزائر العربية .

وقد اسلم هؤلاء منذ سنة ٢٧ للهجرة أي منذ فتح الحداثة اثر وقوعه سيطرته في الجنوب الغربي التونسي ، وتم اسلام جميع البربر في اواخر القرن الاول الامس قل منهم ، وحسن اسلامهم ، وصمدروا من كبر المتأخرين للاسلام والمسلمين ، قال ابن خلدون :

« وأما اقامة البربر مراسم الشريعة ، وأخذهم بأحكام الله ونصرهم لدين الله فقد تقل عنهم من اتخاذ المسلمين كتب الله نفسيهم والاستغناء في

القروض لأعيانهم ، وإيفاء الأئمة للصلوات في بواديهم وتدارس القرآن
بين أحيائهم ، وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم^(١) وقضاياهم . واصفائهم الى
اهل الخير والدين من اهل عصرهم التماسا للمبركة في آثارهم وسسؤالا
للدعاء من صالحهم

وهؤلاء البربر تفاليدهم وعاداتهم واسمايرهم وأديبهم ، كما ان لهم
لغتهم التي نستطيع ان تبين فيها نهجات متعددة وبقيت هذه اللغة بعد الاسلام
ولكنها سارت تكتب بالرسم العربي . وقد الف في هذه اللغة المصنفات التي
تناولت تعليم الاسلام دين البربر الجديد ، ولهم فيها مؤلفات تؤرخ الفنون
الادبية عامة من شعر ونثر وروايات واساطير . واعتنى اصحاب المجاميع
النبانية من الخافقي الى ابن الجزار الى ابن البطار بأيراد التسميات البربرية
للبسات اسمي وصفوها . ثم ان هذه اللغة كانت لغة الاسر المالكه ، البربرية
من صنهاجين وحفصيين ومرابطين وموحدين ، وقد استعملها عبدالله الشيعي
في دعونه للفاطميين بجبال القبائل ورواوه . كما كان المنز الفاطمي
استعملها في صلاته مع امراء صنهاجة ، كما تكلم بها المهدي بن تومرت في
دعوته بين المروسي والعناتر البربرية . ومن اجل ذلك كان التراث
البربري قد ابقي آثاره في المنطقة العربية في هذه الاقاليم . ثم انصح لغة
البربرية في العصر الحديث ان توجد لنفسها نحو اديا مكتوبا ، فألف
كتاب لنحو البربري وصنفت المعجمات البربرية ووضعت مجاميع النوادر
والقصص ، ودفع الفرنسيون البربر الى العدول عن الحروف العربية التي
كانوا يستعملونها الى الحروف اللاتينية هروبا بالبربر من العرب والعربية ،
على ان ذلك لم يتم لهم فخذت هذه المساعي .

غير ان شيوع العربية وانتشار التعليم قد ادى بالبربرية الى ان
(المازلة) من اللغات الاصطلاحية التونسية ، وما زالت مستعملة
حتى يومنا هذا ، وهي تعني ، الدعوة الحقوقية او الجزائية ، التي تنظر
فيها المحاكم .

تكش على نفسها وتصح لغة خيعة غزتها العربية من عدة نواح ، وقد حدث معظم ذلك ابان غزو الهلاليين من شبه الجزيرة في اواخر القرن العاشر للميلاد .

وكان لغة العربية والثقافة العربية الاسلامية ان كتب لها انفور . وفدر لهذه ان تأتي على ما كان من امر لغة البربر ومن بقايا لهجتها وثقفتها لولا نكية هذه الديار بالزواغ الفرنسيين ، وتشجيعهم للغة البربرية والثقافة البربرية ، ووقوفهم ضد تقدم العربية وتطويرها ، ثم انهم جعلوا الفرنسية اللغة المعتمدة في الادارة والمعاهد الثقافية ولغة الشؤون العامة ، . وكان من نتائج ذلك ان ضعفت العربية الفصحى ، وان المعارف لها قد قل عددهم ، وانها بقيت في لونها المارج الذي لا يصلح ان يكون وسيلة ناهة للتهوض ومسايرة ركب العام المتحضر . وريد كانت اشكله في تونس اقل منها خطرا في الجزائر والمغرب ، ذلك ان في تونس معاهد قد تسكت بالعربية ونصبت لها ولاومت المستعمر الذي يريد ان يمسح طابع الثقافة العربية في تونس . ومن هذه المعاهد المريقة الجامعة الزيتونية الزاهرة التي لبنت تجاء المستعمر وكانت عاملا مهما من عوامل ازدهار الثقافة العربية الاسلامية . وجمع الزيتونة معهد لتعليم العالي . وقد بناء عبدالله بن الحبيب سنة ١١٤ للهجرة تخليدا لذكرى انتصاراته في الديار المغربية . وأتم بناء على الشكل الحالي ابو العباس محمد بن الأغلب في عهد المصمم العباسي وسار معهد افريقية العلمي في عهد ابي زكريا الاول المالك الحفصي في اوائل القرن السابع . ونذب اليه الاساتذة من طرابلس مثل عبد الحميد بن ابي الدب ، ومن سغلة مثل آل اخفلي الأطباء ، ومن الأندلس مثل ابن عصفور النحوي وابن سعيد وابن الأبار المؤرخين ، وحزم الخراطيجي وابن ابي الحسين الأدبيين وابن انقصار البطرني الفقهين ، وحليل ان تعرف ان عبد الرحمن بن خلدون كان

قد درس في هذا المعهد العظيم وتصدى للتدريس فيه .

وهكذا أقمت الجامعة الزيتونية بدور فعال في نشر الثقافة العربية ،
ودام ذلك طوال الاحتلال الفرنسي ، حتى اذا جاء عهد الاستقلال الجديد
واخذ التونسيون عقائدهم الامور ، وجدوا ان لا فائدة في بقاء هذا النوع من
التعليم ولذلك عملوا على اتيانه واستبدال التعليم الحديث به . والتعليم
الحديث يستند على النظم الفرنسية وربما كان للغة الفرنسية فيه نصيب
كبير ، والتونسيون يشكون في اصلاح التعليم القديم ، وهم غير متحسين
الحساس الكافي الى زخرفة هذه الفرنسية عن الميدان ، واحلال العربية
محلها او قل تعريب التعليم كما يقولون هم ، ، فما زالت المسواد تدرس
بالفرنسية ، في المدارس الثانوية وربما استعين بالفرنسيين على القيام بهذا ،
وقد نجد شيئا عجيبا ، ذلك ان مادة التاريخ الاسلامي تدرس بالفرنسية ،
وربما كان مدرسي هذه المادة فرنسي لا يفهم العربية اقامة جيدة . وقد
قبض لي ان اناشئ نفرا كبيرا من التونسيين كان من بينهم من يظلمون
بالسوية في هذه الشكيلة الخطيرة . غير اني لم اجدهم متاعرين شعورا
كافيا بمظم خطورة الامر وعندهم ان لا خير على العربية على الثقافة العربية
في حال هذا النظام وان تعريب التعليم لابد ان يتم ولو كان ذلك في خطى
منخفضة ثقيلة . ولكن النسخة هو ان العربية قد خسرت وان حملة القلم
في هذه الربوع والمصدين لشؤون الادب يواجهون مشكلة التعبير الفني ،
ومن اجل ذلك حفلت اساليبهم بالانوار الاجبية المترجمة مما هو موجود
في الفرنسية ، وانقلب فيهم يترجم هذه الاساليب ويدرسها في عربية شعر
ام لم يشعر بذلك . على ان طائفة منهم كان في اساس متين في بناء عربي
قويم ولذلك سلم اسلوبها من هذه الرخايات ، وهؤلاء من الباقيين على العهد
القديم ، ومازال فيهم شوق للمكتب العربي ، والمكتب العربي هو المطبوع
في المشرق بصورة عامة ، وهم يقرءونه فيناثرون بذلك ويظهر ذلك فيما

يكتبون • ولكن طائفة أخرى قد استهوتها الثقافة الفرنسية بأدبها وفنها ،
وجرها ذلك الى المزج بين الثقافة العربية الاصلية وعندهم ان لا فائدة
مرجوة من الاتصال بالشرق نقدياً ما دام هذا المشرق متأخراً في ثقافته
معتمداً فيها على الاوربيين •

فعلى مؤرخ الادب التونسي الحديث بعد ذلك ان يتبين هذا الاختلاف
بين انصار الثقافة العربية ، والمدعين للثقافة الاوربية الحديثة او قل بين
انصار القديم وانصار الجديد على زعمهم •

وانصار الجديد من التونسيين لم يشعروا بخطورة الامر كما بينا ،
وهم يظنون انصححة ايومية ولا يضيرهم ان تكون مملوءة بأساليب غريبة
عربية ، كأن تقرأ ان فخمة الرئيس يخطب في الاطارات والنفاري ، الشرقي
يستغرب هذه الاستعمالات وربما استغفلت عليه ، ويريدون بالاطارات
مجموع المنظمات والمؤسسات التي تخص الحزب القائم • ونفط الاطارات
ترجمه لكلمة *factories* الفرنسية ونقل الكلمة في معناه غير الحقيقي
وهو المجازي هذه الدلالة ، غير ان الكلمة في العربية لا تنقل هذا
الانتقال المجازي •

وتقرأ ايضا مثل تونس القار في المنظمة العالية ، ونفط ، القار •
يعني في اصطلاحهم الدائم ، وكأنك لا تجد كلمة (زبائن) عندهم جمعا
لزبون ، فهم يستعملون بدلا منها (حرفاء) جمعا لحريف وهي من المصحح
القديم الذي زال استعماله •

وهناك الفاظ واستعمالات لا تقع عينك عليها الا عرفت ان صاحبها
تونسي او مغربي او جزائري ، فاحام الماضي او المنصرم كما نقول ، يكون
عندهم العام الفارط والصينية الفارطة للمصنف الماضي • وتقرأ كل يوم ان
هيئة من الهيئات تنظم تربصا لطلابها او لاتباعها ، وقد استغلق علي الامر
حين قرأت هذه العبارة لولا ان اسعفتني احدهم فأوضح لي المراد بالتربص

وهو التمرين والتدريب ، ولا اعلم من اين حمل (التربص) هذا المعنى ،
وكان نقرأ ان الاحتفال مقيم في موضع ما اين يخطب الرئيس في
الاضافات ، واستعمال الظرف (اين) مكان حيث غير صحيح ، وهو من
آثار الترجمة للأساليب الفرنسية وهو يقال Ou الفرنسية التي يراد
بها (حيث) •

هذا غيض من فيض أقدمه للمقارىء تعريفا بهذه الثقافة العربية المغربية •

علم اللغة بين علماء العربية وابن خلدون

الأهتمام باللغة امر تستدعيه ضرورة دالمة . ذات ان المشكلة اللغوية من المشكلات الخطيرة . ومن اجل ذلك شغلت اجماع اللغوية في الاقطار العربية في اعدل على حل هذه المشكلة الدالمة . وبرزت المشكلة في ان العرب في يوم هذا لا يتكلمون بالفتح من العربية . وحسبي الدارج هو التسهيل ، وامر العمي مشكلة من المشكلات ايضا ، فهذه لهجات مختلفة باختلاف البلاد ثم ان البلد الواحد منسل على لهجات وحرف في التعبير مختلفة ايضا . وربما سبب على العربي من تسلي العراى ان يفهم من فروي من سكة الغم الجنوبي من اعراف .

وابحث المعوي التاريخي في العربية سبب جدا . ومعموية أية من افتقار الباحث الى كثير من المواد الضرورية لهذا البحث ، ولدي نعرفه ان العربية وصلت اياها . صبحه كل النطق و لغة القرآن تشهد على المستوى العالي الذي بلغته العربية .

ومن اجل ذلك فلا نعرف كثيرا عن نشأة هذه اللغة وتطورها وفي مراحلها الاولى التي سبقت عصر القرآن ، ثم ارد ان اخص القرآن بالمثل الوحيد على هذا الترمي . ومن اجل ذلك ايضا استعملت مصطلح (عصر القرآن) لادخل في هذا الشأن . مع من اشعر اجهلي وسائر فنون القول المعروفة .

ولابد ان اخلص من هذه المقدمة التمهيدية الى الحديث عن علم اللغة عند الباحثين الاقدمين ثم كيف كانت نظرية العلامة الشهير ابن خلدون في هذا الموضوع .

ولقد كان لعلماء اللغة في القرون الرابع الهجري وقبل ذلك بكثير احوال في علم اللغة . غير ان هذه الاقوال لم تنته الى بحوث علمية واسعة ،

ويجدر بنا ان نعرض لراي ابي الحسين احمد بن فارس احد ائمة اللغة في القول الرابع الهجري ، فهو يعرض في كتابه الذي اسمه ، بالصاحبي ، الى رايه بقوله :

باب القول على لغة العرب بالتوقيف ام اصطلاح ؟

وهو يجيب عن هذا السؤال قائلا : أقول : ان لغة العرب توقيف ، ودليل ذلك قوله - جل ثلوه - ، وعلم آدم الاسماء كلها ، فكان ابن عباس يقول : علمه الاسماء كلها وهي هذه التي يعارفها الناس من ذبابة وارض وسهل وجبل وحمار واسماء ذلك من الاعم وغيره .

وقال ابن فارس بسط القول في هذا اراي مسك به احدا بالآية الكريمة التي اشرنا اليها . ولم يعلم ابو اسحق محمد بن جني من القول بهذا اراي فقد قال بالتوقيف في اصل اللغة ثم عساه الى القول بسيد الاصطلاح كما جاء ذلك في كتابه المشهور ، المختص .

وم يقتصر قول ابن فارس بالتوقيف على اللغة وانما قال بذلك في موضوع الخط فقد جاء في الصاحبي ما نصه ، والذي ثبوت به ان الخط توقيف ، وذلك لعدم ثبوت عز وجل : ، اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم . وقال تعالى ، وانعلم وما يسطرون .

ولم يكن المسلمون اول من قال بالتوقيف في هذا الموضوع معلمي على الآية الكريمة ، فقد جاء مثل ذلك في سفر التكوين من العهد القديم وفحوى ذلك ان الله علم آدم اسماء المخلوقات جميعها ، والنتيجة التي نستخلصها من قولهم بالتوقيف منسرين الآية كما يتأولون ، هي انهم جمدوا على العربية الفصيحة ولم يأخذوا ما سواها ، وانهم لم يتقيدوا بالاستعمال ، وتطور هذا الاستعمال في اللغة ، فقد رسموا لانفسهم صورة للغة لا يجيدون عنها ، وحملوا بذلك ما خالف هذا المرسوم المتفق عليه

على الخطأ واللحن ومجاورة الصحيح • وقصة عبادته بن أبي إسحق
الحضرمي مع الفرزدق دليل على هذا ، فقد قال الفرزدق في قصيدة له :
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من الناس إلا مسحنا أو مجلف
فقال النحوي : على أي شيء ترفع • مجلف • فقال الفرزدق : على
ما يروك • وليس الحضرمي يدع بين اللقيين ، فقد ذكر أبو حاتم
السنجستاني : سألت الأصمعي : انقول انتهديد (ابرق وارعد) قال :
لا ، لست أقول ذلك إلا أنني أرى البرق وأسمع الرعد ، قلت قال الشاعر
الكميت :

ابرق وارعد يا يزيد فما وعيدك لي بصائر
قال : الكميت جرمقاني من أهل الموصل ليس بحجة ، ولكن الحجة هو
الذي يقول :

إذا جاوزت من ذات عرى نيسة فقل لأبي فبوس ما شئت فارعد
وهو شاعر جاهلي ، وشاعرك هذا متأخر لا يؤخذ بقوله • قال أبو
حاتم فأتيت أبا زيد الأنصاري ، وقلت له : كيف تقول من البرق وارعد !
فقلت السماء ؟ قال رعدت ويرفت • قلت : فمن التهديد ؟ قال : رعد
وبرق وارعد وابرق ، فأجاز اللغتين ، ثم سألت أعرابيا فصيحا فأجاز
اللغتين ولم يجز الأصمعي إلا لغة واحدة •

وكان الأصمعي ينكر كلمة • زوجة • ويقول • زوج • ويخرج
بقوله تعالى • أمسك عليك زوجك • فبطل • له أن الشاعر ذو الرمة
يقول :

أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة أراك عسا في البصرة اليوم ثاوبا
فضل ذو الرمة ليس بحجة ، إذ طالما أكل البقل والمالغ في جوانيت
البقائين وقد عرف عن الأصمعي هذا التشدد والحرص ، فهو يابى كلمة
خالفت لغة التثنية ، وهو من أجل هذا لم يرض لنفسه أن يبحث في لغة

التزليل على نحو ما فعل أبو عبيدة وابن قتيبة مثلاً . ويقول ابن جني : كان الأصمعي ليس ممن ينشط للمقاييس وأنه معروف بقلة انبعاثه في النظر وتوفره على ما يرى ويحفظ .

وهكذا قل علم اللغة سائرا في هذه الطريق التقليدية ، في اعتبار كل تغيير في اللغة خروجاً عن سنن الفصاحة . وحبك أن تعرف أن اللهجات السائرة وهي النحية المستعملة قد اعتبرت عند هؤلاء العلماء الأقدمين من طرائق التعبير المذمومة . وما هو ابن فارس اللغوي الذي أشرنا إليه قد اعتبر هذه الانماط الكلامية من اللغات المذمومة . وهذا النظر في اللغة لم يفسد البحث اللغوي ذلك أن الحقيقة اللغوية قد ضاعت ، وإن نماذج من القول قد اعتبرت مما لا يستحق التسجيل ، وهذا ما لا يفر علم اللغة الحديث . فابحث العلمي الحديث ينظر إلى أن اللغة ذات مظهرين أساسيين متكاملين وهما : المظهر الجامد *Synchronique* والمظهر المتحرك *Diachronique* ومن هذين المظهرين تبين أن اللغة صورة وليست مادة كما يقول بذلك اللغوي السويسري *Caussure* على أنها لو نخطت أزمن وجاوزت القرن الرابع حتى نصل إلى عصر ابن خلدون نجد هكذا التفكير ينظر إلى اللغة نظراً للمال الاجتماعي فيقول بالتطور ، ويرد اللغة إلى أنها ظاهرة اجتماعية تتأثر سلباً وإيجاباً بالزمان والمكان . وهو من أجل ذلك لا يرتضى أحكام اللغويين والنحاة ونسبهم في هذا الأمر ، فيقول : « وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ، ولا تلتفتن في ذلك إلى خرشفة النحاة أهل صناعة الأعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت ، وإن اللسان العربي فسد اعتباراً بما وقع في أواخر الكلم من فساد الأعراب الذي يتدارسون قوائمه ، وهي مضافة دسها التشيع في طباعهم وانقاسها القصور في أفئدتهم ، والأفئدة تجد اليوم الكثير من الألفاظ لم تنزل في

موضوعاتها الأولى ، واتعير عن المقاصد ، والتعاون فيه بنفوت الابانة
موجود في كلامهم بهذا العهد ، واساليب الحسن وفنونه من النظم والنثر
موجودة في مخاطبتهم ، ولهم الخطيب في محفلهم ومجامعهم ، والتشاعر
المفلح على أساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك .
ولهم يفقد من احوال الحسن المندون الا حركات الاعراب في اواخر الكلم
فقط الذي لزم في لسان معبر فربقة واحدة ومنها مبروفا ، وهو
الاعراب وهو بعض من احكام اللسان .

ولابد من الاشارة الى استعمال كلمة خرشفة النحاة ، وهو
استعمال يريد به التكلف الشديد الذي أدى اليه البحث الحميم في مسائل
منطقية مجردة لا تمت الى حقيقة المفوية بسبب . ولابد من الاشارة ايضا
الى تقريره ان فقدان الاعراب في اواخر الكلم لا يفقد اللغة صفاتها الاخرى
التي تكون منها عنصرا حيا جميلا ، فالاعراب على حد قوله بعض من احكام
اللسان العربي . وابن خلدون يذهب الى أكثر من هذا وهو تقرير ان الاستفراء
الشامل الوافي في لغة عصره ربما يهدي البحث الى شوابط تعني عن فوائده
التجويد المفيد المعروف فهو يقول : واهلنا لم نعتبنا بهذا اللسان العربي . لهذا
العهد . واستقرينا احكامه تعاضد عن الحركات الاعرابية في دلالتها بامور
اخرى موجودة فيه تكون بها فوائده تخصها وعليها تكون في اواخره على غير
المنهاج الاول في لغة مصر وقد كان اللسان المصري مع اللسان
الحميري بهذه المثابة وتغير عند مصر كثير من اللسان من موضوعات اللسان
الحميري وتصاريق كلماته .

وهذا النص يدلنا على ان ابن خلدون العالم الاجتماعي يقول بتطور
اللغة وان لكل عصر لغة تتطور فتبتعد عن اصلها وعن لهجاتها . ويعقد
فصلا يبحث فيه ان لغة اهل الحضرة والامصار لغة قائمة بنفسها ، وهو في هذه
الفصل يعرض لموضوع ان لكل مصر من الامصار لغة تختلف عن الاخرى ،

وهو يؤكد استعمال كلمة (لغة) دون غيرها ، وهو يقول : وكل منهم من وصل
 بلغته إلى تادية مقصوده ، والإبانة عما في نفسه ، وهذا معنى اللسان والمعدة
 وفقدان الأعراب ليس بفنائر لهم . . . وفي هذه الأقوال الأخيرة يبدو نظير
 ابن خلدون اندمى إلى الحقيقة اللغوية فحين من ذلك أنه مخالف كل المخالف
 لأن تلك اللغويين الأقدمين الذين لم يؤمنوا بالتطور والاستعمال ولم يهتموا
 إلى حقيقة الكلمة ودلائلها وانتقال هذه الدلالة Semantique عبر الزمان
 والمكان .

إمارة الشعر وأمر الشعراء

لعلك لا تعرف غير شوقي أمير الشعراء ، وإمارة الشعر لم تكن بدعة هذا العصر الحديث ، فقد درج أصحاب الأصناف والمصنعات والحرف في مختلف العصور على هذا التقليد ، فكان لكل منهم رئيس أو أمير وربما تجاوز الأمر حد الرئاسة أو الإمارة إلى الملوكية ، فللنجار ملك يتروده ذكره في حكايت ألف ليلة وليلة مثلا . ومن الطريف أن تذكر أن أحد النحويين المتأخرين وهو الحسن بن صالح كان يدعى ملك النحاة . إذن فلم لا يكون للشعراء أمير يجمعون على بيئته لما يجدون فيه من أحكام الصنعة ، وإمارة الطبع . وهم صنف من اصناف المجتمع ؟ ولا أريد أن استعمل لفظة «العلم» فقد عدلت عنها إلى «الصنعة» لا تقل بين أرباب الصناعات فأجعل من هذه الزمرة التي اتخذت الشعر حرفة لها صنفا مستورا خاصا .

وربما غاب عن ذهنك أن هذا المقرب قد عرفه اسم أخرى غير العرب ، وأهل العرب قد أخذوه عن غيرهم من الأمم الأعجمية ، فما زال في فرنسا إلى عهد قريب أمير للشعراء لا ندري كيف حصل على هذا القرب العظيم ، ومن الغريب أن الطبقة المتشردين في فرنسا Clochards ملكوا يتمتع بهذه الملوكية الخريبة وما زالت أذكر منذ سنين خلت أن الصحف الفرنسية أشارت إلى وفاة هذا الملك الغريب ، ونوهت بذكره ، وبشخصه العظيم ، وأنه كان يحفظ بصداقات الشخصيات الكبيرة والملوك فكان من أصدقاء صاحب تاج الشرع بن ملكة هولندا وفيصل الأول ملك العراق .

وهكذا فليس شوقي غريبا بين العرب في احتفائه بلقب «الأمير» فله من مكانته وصنعه ما يستحق على الزعم بالإمارة المصطنعة ، أقول : المصطنعة ذلك أن شوقي من أصحاب الخطوة والجماء ، ومن أرباب الترف والتعظيم ،

وان مقدمه بين الملوك والامراء دفعه الى ان يطلب هذا المجد ، وربما اريد له
أن يكون ، الأمير ، فأنام فلان وفلان من معاصريه مهشين ، ولا أريد أن
أقصر على انتهية فالامارة تقضي اليعة ، وهكذا فقد جاء اليه حافل ابراهيم
من الشعراء النصريين . . . مباحاً . :

امير القوافي قد انت مباحاً . . . وهذه قوافي الشعر بايعت سي
وجاء اليه غير حافل من الشعراء من هنا وهناك مهشين ، مباحين ،
معرفين بسيفه في الاحتفاظ بهذه الامارة ، ويبدو ان اجماعاً لم يحصل
على هذه ، اليعة ، فلم تفر أقاليم العربية جميعها بهذه الامارة ذلك ان بين
العربية من لم يعرف بذلك ، ومن اولئك التونسيون الذين حلالهم ان
يعلم عرش الامارة تونسي يكون امير شعراء المغرب عامة ، فبأن
اخوانيين يرون في انفسهم الوجه البارز المعبر عن افريقيا العربية الشمالية ،
وهو في ذلك يريدون ان يفوزوا بالامارة انما متلكم او خير منكم ، وقد بدا
كانت المنافسة بين المغاربة والمشارقة ولكن المغاربة لم يأتوا بجديد من ادبيات
المعرفة ، فهي هذه المشرق اعيدت وشرحت ، وكان هؤلاء ارادوا ذلك حين
قالوا ، هذه بقايتا ردت اجنا . .

وهذا التونسي الذي بويح على امارة الشعر هو محمد الشاذلي
خزندار وجدير بنا أن نقف عند هذا العلم الذي نعرفه فهو محمد والمغاربة
عامة ذوو ولع بهذا الاسم عملاً بالثأر من الحديث ، خير الاسماء ما حمد
وعبد ، فانت تجد الكثرة العظيمة من الرجال قد سميت ، بمحمد ، ومن
تعلقهم بهذا الاسم انهم ينادون به غابر السيل الذي يجهلون اسمه ، فكان
هذه ، النكرة المقصودة ، هي ، محمد ، أو قل كأن هذا العلم يصح أن يطلق
على أي من المسلمين ممن يحملون اعلاماً مختلفة ، ذلك ان تنفع دليل
، الهاتف ، ولا أقول ، التلفون ، لان الهاتف هو الشائع المعروف لترى هذه
الكثرة من الرجال ممن اسمهم ، محمد ، بهذا الرسم ، ومن اسمهم

« محمد ، على الاستعمال الغامي الدارج » ، وكان « سي محمد » هو غير
 « سي محمد » ، « وسي » هذه مرخصة عن « سيد » على الطريقة العامية
 المحلية . ونعود إلى صاحبنا « الشاذلي » المصدر بالاسم « محمد » فنقول :
 ان الشاذلي من الأعلام المشهورة في شمال إفريقيا وربما جاء الاسم بهذه
 الكثرة أيضاً بالشيخ الشاذلي أحد المتصوفة ومن أصحاب الطرق ، والطريقة
 الشاذلية معروفة مشهورة ، وقد غير زمان كان فيه الشاذلي الإفريقي يعرج
 بالمتصوفة وأرباب الطرق وأهل الزوايا ، فقد عمل المنعم الفرنسي على
 تقوية هذه النزعات وقد وجد فيهم آلات طيبة تعمل على تمكينه وتقويته
 نفوذه . أما « خزنده دار » فهو لقب الشاعر الذي يشير إلى الرواية غير عربية
 ومن الطريف ان تشير إلى ان « شولفي » أمير الشعراء في المغرب ينسب إلى
 أصل غير عربي .

ولد صاحبنا محمد الشاذلي خزنده دار سنة ١٢٩٩ هـ في بيت نبيل ،
 ونسب على اتurf والتعظيم في ابلاد التونسي وتغلب في اهم المناصب الوزارية
 ما يقرب من نصف قرن إلى ان عزل الأمير محمد الخامس فاضطر خزنده دار
 إلى تقديم استقالته .

ولم تنه ابهه المناصب عن الانصراف في صفوف الشعب ، ولا أريد أن
 اعرض لترجمته إلا بمقدار ما يخص القاري . من ذلك ، وإنا أبت هذا
 التقدير من ترجمته حرصاً مني على تعريف هذا العلم لجمهور القراء الذي
 يجهلونه كل الجهل كما يجهلون العدد الضخم من معاصريه ممن يزخر
 بهم تاريخ الأدب التونسي الحديث فجمهور المشاركة لا يعرف من هؤلاء
 إلا صاحب الحفظ الذائع الصيت أبا القاسم الشابي ، ولا أريد أن ادخل في
 سر هذه الشهرة فربما كان اشهر التونسيين عامة .

أما صاحبنا الأمير فلا اراد بانقدر السدي يؤهله إلى الامارة كائنة
 ما كانت هذه الامارة . وسنعرض لشيء من شعره لبين القاري ، انه لم يكن

الشاعر الذي وهب العرق التابض ، ولا انصاع الماهر الذي يدلّك على احكام
 الصنعة ومهارة الاداء . ولكنه كان صاحب الجاه الكبير وامكاناته العالية
 وانه يمت نبيت الملوكي العامر . ونسب يوصله الى السدة العالية لا بد ان
 يفضي عليه نوب الشرف ووسام الامارة ، ثم انه لما كان يرأس القوافي
 بعضها الى بعض ، فلا بد ان يهيئه المتفقون المتلقون ويخروونه بعرش اماره
 الشعر فيقدرون الحفلات من اجل اعلان هذا اللقب الادبي ، كان يقول
 وكل منهم هو محمد الفاضل شاعر القيروان في بيعة صاحبنا خزنده دار بمناسبة
 ظهور الجزء الثاني من ديوانه :

أمير القوافي وحارسها	وبليل نولي شيخ اليان
تقبل ههنا بقدومه	دست الأمير قني القيروان
فهذا المصواء بكفك أخفى	يفضل الرعبه في كل أن
وأنت على اتخت تحدد القوافي	فأنتك طوعاً بدون امتنان
فأت الهزار بخصرائها	تساخر مصر يوم الزمان
أفي الحيف أخرجت للشعب روحاً	وعزته اليوم منك بستان
تقبلاً فله كل أدب	وشم العبير بذاك الجنان
وموفت جسد الفريض بعقد	تهيم العذارى به والقيان

ولا أدري ماذا افول تعقبا على هذه الأبيات التي . ثم ثأت طوعاً بدون
 امتنان فقد بدا عليها ان صاحبها يملق الأمير خزنده دار صاحب المنزلة العالية
 والرجل النبيل الذي يحله التونسيون ، فلم لا يجمع المجد من اطرافه
 فيكون صاحب الصانعين .

وقد عرفت عنه ان مقامه والبطقة التي ينتمي اليها لم يتباه عن التحمس
 بانقضايها العامه ، ولعل هذه النحية هي التي اكبرته وجعلت الجمهور ينظر
 فيه شاعره الكبير المتصل على نحر ما أقود شاعرنا الرماضي الكبير من
 مشاعره النونية ومواقفه الجريئة في قضايها عدة .

ولا بد أن تعرض لشعره فقد أشرت انه يرصف الفوافي ، وما أكثر
 رصاف الفوافي في كل مصر من الأمصار ، ولكن صاحبنا يرصفها بشكل
 جعلت « محمد القائل القيرواني » ينتمه « بهزار الخضراء » والخضراء تونس
 كما هو مشهور معروف وأن « هذا الهزار » تفاخر به الخضراء « ارض
 الكنانة » في « يوم الرهان » اذن فالسألة مسألة سبق ورهان ، واذا كان من
 سبق فلا بد من نصب يحرقه السابق والنصب عرش الامارة ، فكان أخواتنا
 التونسين لا يؤمنون بالقول المشهور : « منا أمير ومنكم أمير » .

وترجع الى شيء من أمير الشعراء خزنه دار قنسمة يقول في « المحر »
 قصيدة اسمها ذكرى الزعيم :

الحمر من لا يستكين لمرهق	فطيسك خصلك مم ويحك تنقي
وامدع بحق في الآباء ولا تقل	« ان السلام موكل بالمنطق »
فألم تستجدي وحفك بين	ثلث يد تمد للمتصدون
تألمن إلف الخنوع نفاهم	ما تلك الا شيمة المنطق
أولى وأحرى أن يبت على فلما	من ظل من ماء المهانة ينقي
فيم احتمالك والكوارث جمة	من براك بظفرة المنفوق
صم وعمي ساخرين تطولوا	منسا كنا في النوري لم تخلق
لا تشكهم ان اشكاة مذلة	والى مرافق العز وحدك فارتق
منضعف من بات يرقب منة	من أهله أو من عسود أخرق
اسلك لصالحك السيل بحكمة	وافتح بحزمك كل باب مغلق
وهما الطريقان السعادة والشقا	فكن السعيد اذا أردت أو الشقي
واحمل بفولاذ العزيمة وفرها	واسعد مع البازي النطل وحلق

ونقد أكثر عليك صديقي الفاري - ذلك اني افلك منعت ذرعا بهذه
 القطعة الطويلة التي لم تتوقع ان تكون لافلم خامل الذكر في ايامنا فضلا عن
 انها لشاعر ، بل أمير للشعراء ، فهذه الايات اعلق بالنظم والمصنوع بالرصف ،

فلا تقرب من مادة الفن التي تقتضي ادوات وآلات لا يملكها صاحبها
 كالنصوير والخيال والسير في الليل الذي يعطي طابع الوحدة والارتباط
 بين اجزاء انقطوعه ، اما السيد الشاذلي خزندار فلهذه جملة معان مختلفة
 متباينة يفرغ كلا منها في بيت من الابيات بطريقة تقريرية حكائية لا تبعد
 كثيرا عن حديث الناس وما يضررون فيه من أبواب • وقد حصل لشعراء
 كثيرين شيء كثير من ذلك فانت اذا رجعت الى هذه المقطوعة وجدتها
 اجزاء منفصلة لا توحي ان صاحبها قد نظر لموضوع • البحر • نظرة الفنان
 الذي يريد أن يصنع الصورة الموحية للحر في عالم يشقى فيه • • وأين هذه
 الصورة التي نريدها من ابانة الاخيرة التي يشغها بوسنه وتصبغته على
 نحو اوعاط • ويعرض الشاعر للموضوعات السوطية فيعمد الى طريقه
 الالفاظ التقريرية التي لا تلتزم الا بايصال الفكرة بأيسر السبل فيقول هي
 تصيدته اسي اسماها • تدا •

لادت بينهما الديار	باتت أين الصير
هنا علي يضار	وذا علي ينمير
اتسوني بني	أضحى بحفي ينادي
لكما ذو الغسي	رأه أعدي الأعادي
حيث اغدى في الحي	يقول هذي بلادي
وحقق هذا الأبي	لانت بسبه الأند

الى ذويها تميم

أني مني تشاكي	والغندي في انهمك
نعماً لمن يشاكي	نعماً الى التياكي
من يرتجي لي انفكاكا	لا يتمي لأخراكي
قل والذي سواكا	وانه الجيار

ما في البلاد غيور

ويشعر صاحبنا على هذا النحو في شعر الوطنية الذي يعرض للفضايا العامة ، وما أظنك الا ذاكرًا وأنت تقرأ هذه المقطوعة ، ، ابقاظ الرقود ،
للمصافي التي يقول فيها :

الى كم أنت تهتف بالتشديد وقد أعياك ابقاظ الرقود
فلست وإن شددت عرى التعيد بسجد في تشبك أو مفيد
لان القوم في غي بعيد
إذا أبقتهم زادوا رقابا وإن أنهضتهم قدوا وثابا
فسبحان الذي خلق المبادا كأن القوم قد خلقوا جمادا
وهل يخلو الجهاد من الجمود

على ان قصيدة المصافي هذه أوضح معنى وأسلم مبنى .
وقد أشرت الى ان صاحبنا من ذوي الحياء المريض ، ومن نعم
بالفصور بظرفها ونبيها وترفها وقالبها ، فلا بد ان يبدو شيء من ذلك في
شعره ، ومن ذلك قصيدته ، طرب ، التي يعارض فيها قول ابي نؤاب :

راححة النهى الطرب	هاتها فلا عتب
الدنان منزعة	والخمور تسكب
والكؤوس جارية	طاف فوقها الحبيب
بت كرامة جلبت	نعم ذلك النيب
رحبوا بأنسة	زفها لنا العنب
وابشروا بطلمتها	فهي للصفاء سب
عقبت بدسكرة	عانس ولا عجب
كلنا بها غزل	كلنا بها نخب

وهكذا يمتن في وصف الخمر ومجلسها وآلاتها وما يصحب هذا
المجلس من انس وقصص ولهو وغناء ، وكأن صاحبنا اراد في هذه القصيدة
ان يعارض ، شوقي ، او قل يناقشه ، قائمير شعراء المشرق مولع باب

المعارضات فقد عارض غير واحد من الشعراء الأقدمين فقد قال شوقي في
معارضة أبي نؤاس قصيدته المشهورة والتي مطلعها :

حَفَ كَأْسُهَا الْحَبِيبُ فَهَسِي فَضَّةٌ ذَهَبُ

وباب المعارضة تقليد محض قل أن يأتي فيه صاحب جديد يستلج •
والعجيب من هؤلاء التقليدين أنهم لا يفعلون بالموضوع نفسه فيذهبون
يرسمون نماذج مشهورة فيسرون على هديها •

وبعد فهذا محمد الشاذلي خزندار شاعر تونس أو قل أمير شعرائها
الذي ما كنا نعرفه كما لم نعرف سائر معاصريه من الأعلام الأفريقية ، فقد
قطع الاستعمار الفرنسي بين الشمال الأفريقي وسائر أقاليم العربية فأصبحنا
لا نعرف نحن المشاركة عما كان عليه أخواننا الأفريقيون من الناحية العلمية •
وقد اتع لي أن ألم بشيء من ذلك فأطلع عليه واسجل ما بدا لي من
نظرات في الأدب التونسي الحديث •

عرض في التعليم التونسي بين القديم والجديد

لم يتبها لنا - نحن المشارقة - الاطلاع على ما كتب في تاريخ التعليم التونسي بصفة خاصة ، والتشعالي الافريقي بصورة عامة ، الا ما كتبه ابن خلدون في « المقدمة » اذ عرض للموضوع في جملة فصول تكلم فيها على المواد العلمية مينا ضرورتها ومكائنها في التاريخ الحضاري ، ووجه الصواب في تعليم هذه المواد وطرق الافادة في ذلك وجملة هذه الفصول تؤلف مادة تربوية جديدة بالوقوف عندها ، والنظر فيها ، وتفهم ما تنطوي عليه من أفكار جديدة ربما لم يتبها فيها علماء التربية الا في عصورنا المتأخرة . ولم يقتصر ابن خلدون في هذه الفصول على الاموال العامة ، بل يتجاوز ذلك فيعرض لمائل تدخل في مسيم التربية المدرسية ، كما يعرض لآخرى هي من اختصاص الطرق الخاصة ، أو اصول التدريس في اصطلاحنا التربوي الحديث . فهو يتحدث في الفصل الثامن والعشرين عن « أن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل » فيقول : « اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غايته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم ونعدد طرفها ، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك ، وحيث يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها أو اكرها ، ومراعاة طرفها ، ولا يفي عمره بما كتب في ساعة واحدة اذا تجرد لها فيقع القصور... »^(١) فأتت نرى أنه قد عرض للموضوع بالنظر التربوي الناقد ، فقد تناول مشكلة هي من أخطر المشكلات ، وهي مشكلة الاصطلاح العلمي الذي تعددت الفاظه في زمنه بحيث أصبحت من الأمور التي تصر على المتعلم وتشغل فكره ،

(١) مقدمة ابن خلدون (مصر ١٩٣٠ المطبعة الأزهرية) ص ٤٧٠

ثم تناول كثرة التأليف فضرب مثلا « بالمدة »^(١) وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس واللخمي وابن بشير أو غيرها ، وكل ذلك مما يعيق المتعلم عن الوصول الى مادة العلم الصحيح في أمد غير طويل .

وفي الفصل التاسع والعشرين بين ان « كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم »^(٢) . فيقول : « ذهب كثير من التأخرين الى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم ، يشتمل على حصر مسائله وادائها باختصار في الألفاظ ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن ، وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسرا على الفهم ، وربما عمدوا الى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريرا للمحفظ ، كما فعله ابن الحاجب في الفقه واصول الفقه ، وابن مالك في المربة والخونجي في المنطق ، وامثالهم وهو فساد في التعليم ، وفيه اخلال بالتحصيل ، وذلك لان فيه تخطيطا على المبتدىء بالقاء النيات من العلم عليه ، وهو لم يستعد لقبولها بعد ، وهو من سوء التعليم كما سيأتي ، ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم يتبع الفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها ، لان الفاظ المختصرات صعبة عويصة ، فيقطع في فهمها حظ صالح من الوقت . . . »
ثم يؤكد ان النتيجة من التعليم في هذه المختصرات قاصرة .

ثم يدخل ابن خلدون الى موضوع من موضوعات اصول التدريس كما

(١) « المدة » من امهات كتب الفقه المالكي المطولة ، ومن اول ما ألف وجمع في هذا الباب ، وهي مجموعة ما روى وسمع عن الامام مالك والشرح على ذلك ، جمعها الامام ابراهيم بن عبد الله محمد بن ابي سعيد ساجنون ، واسمه عبدالسلام بن سعيد بن حبيب التنوخي ، مولده في القيروان سنة ٢٠٢ هـ وتوفي سنة ٢٤٠ هـ (انظر طبقات علماء افريقية ، الجزائر ، ١٣٥٢ هـ ص ١٢٩ .

نصطلح عليه في أيامنا ، فيتحدث في الفصل الثلاثين عن : وجه الصواب في تعليم المعلوم وطريق افادته ، فيقول : « اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدرج شيئا فشيئا ، وقليلًا قليلًا يلقي عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ، يقرب له في شرحها في وجه الاجمال ، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي الى آخر هذا الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم ، الا انها جزئية وضعيفة ، وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ، ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفقه في التلقين عن تلك الرتبة الى أعلى منها ، ويستوفي الشرح والبيان ، ويخرج عن الاجماع ، ويذكر له ما هنالك من المخلاف ووجهه ، الى أن ينتهي الى آخر الفن ، فتجود ملكته ، ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصا ولا مهما ولا مغلقا الا وضحاه وفتح له مغلقه فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته ، هذا وجه التعليم المفيد » ثم ينتقد ابن خلدون المعلمين في عهده فيقول : ان كثيرا منهم يجهلون طرق التعليم وافادته فيحضرون المتعلم في اول تعليمه المسائل المقفلة من المعلم ويطلبونه باحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مراعاة على التعليم . وصواب فيه ، ويكلفونه رعى ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها ، وقبل ان يستعد لفهمها ، فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا ، ويكون التعلم اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا في الأقل وعلى سبل التقريب والاجمال وبالمثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه ، والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة هي الاستعداد ، ثم في التحصيل فيحيط بمسائل الفن . . . (١)

فأنت ترى الى ابن خلدون في هذه الفصول ، معلم يجيد مهنة

التعليم ويعرف اسرارها ، وقد اكتشف بما كان له من اطلاع واسع ، وذهن
 ذكي ناقد ، الطرق التي ينبغي اتباعها في تعليم الطفل ، ثم يعرض في
 الفصل الثاني والثلاثين « تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية
 في طرقه » فيقول : فأما أهل المغرب (المقصود المغرب الأقصى)
 فمذهبهم في الولدان الاقتصاد على تعليم القرآن فقط ، وأخذهم أثناء الدراسة
 بالرسم ومثاله ، واختلاف حملة القرآن فيه ، لا يخلطون ذلك بسواه في
 شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ، ولا من شعر ، ولا من
 كلام العرب الى ان يحدق فيه او ينقطع مع دونه فيكون انقطاعه في الغالب
 انقطاعا عن العلم بالجملة ، وهذا مذهب أهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم
 من قرى البربر اسم المغرب في ونداءهم الى ان يجاوزوا حد البلوغ الى
 الشبية ، وكذا في الكبير اذا راجع مدارس القرآن بعد طائفة من عمره ،
 فهم لذلك افوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم وأما الاندلس
 فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الذي يراعونه في
 التعليم الا انه كان القرآن أصل ذلك وأنه ، ومنبع الدين والعلوم ، جعلوه
 أصلا في التعليم ، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط ، بل يخلطون في تعليمهم
 للولدان رواية الشعر في الغالب ، والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها
 وتجويد الخط والكتاب ، ولا تخصص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه ،
 بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ
 الى الشبية ، وقد ندنا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما ، وبرز
 في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة

وأما أهل إفريقية^(١) فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث
 في الغالب ومدارس فوائين العلوم وتلقين بعض مسائلها ، الا ان عنايتهم
 (١) المقصود بأهل إفريقية أهل تونس ، وربما كان تونس والجزائر
 دون سواهم .

بالقرآن واستظهار الوجدان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته أكثر مما سواه ، وعنايتهم بالخط تبع لذلك ، وبالجمله فطريقهم في تعليم القرآن اقرب الى طريقة أهل الاندلس ، لان سند طريقتهم متعل بمشيخة الاندلس (٢) وهكذا يستمر في عرضه لطرق التعليم في مختلف الامصار فيعدد امصار المغرب عامة بما فيها الاندلس ، وبجمل الكسلاط على المشرق بصورة عامة .

فابن خلدون في هذه الفصول يعرض للتعليم وطرقه دون ان يدخل في تفاصيل هذه الموضوعات . ونحن لا نملك من مادة هذا الموضوع الا هذه الفصول المجمله ولذا ينبغي ان نعرض لتاريخ التربية في انقطة التونسي منذ الفتح الاسلامي لنبين كيف سار التعليم وكيف تطور ، وكيف استحال في عصوره المتأخرة قبل الانتداب الفرنسي ، وطوال عهد الانتداب الذي دام قرابة ثمانين عاما ، ثم نعرض لما قامت به الحكومة التونسية في عهد الاستقلال منذ سنة ١٩٥٦ .

ولا بد ان نعرض للقيروان التي اختطها المسلمون عند الفتح الاسلامي ، فقد كانت مركز الثقافة العربية الاسلامية ، ذلك ان سفيان بن وهب دخل الى افريقية خلال عام ثمان وسبعين في خلافة عبد الملك بن مروان ، وكانت بها يومئذ كتائب وكان ذلك بعد تأسيس القيروان بربع قرن . حكى ابن ابي شييب قال : كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمر علينا ونحن غلطة بالقيروان فيسلم علينا في الكتاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه . (١)

وقد اشتمل عمر بن عبد العزيز اسماعيل بن ابي المهاجر الخزومي

(٢) المقدمة ص ٤٧٥ - ٤٧٦ .

(١) ابن الدباغ ، معالم الايمان ١/ ١٢٠ عن رسالة المعلمين لمحمد بن سحنون نشر حسن حسني عبدالوهاب تونس ١٣٤٨ .

مؤيد اولاد عبد الملك بن مروان ، على افريقية سنة ١٠٠ للهجرة^(٢) ، واختار
 عمر بن عبد العزيز لاسماعيل السدي كان مؤيداً لاولاد عبد الملك بن
 مروان ، امر له فيمة خاصة ، فقد ذكر ابن العذاري : « وما زال اسماعيل
 حريصاً على دعاه البربر الى الاسلام حتى اسلم بقية البربر بافريقية على
 يديه في دولة عمر بن عبد العزيز ، وهو الذي علم أهل افريقية الحلال
 والحرام ، وبث معه عمر عشرة من فقهاء التابعين منهم عبد الرحمن بن نافع
 وسعيد بن مسعود النجيب »^(٣) .

ولقد ذكر ابن خلدون ان الولدان كانوا يلقنون القرآن في هذه
 الكتابيب ، ويروى المقدسي ابو عبادة محمد بن ابناء البشاري لمازار البلاد
 الافريقية في حدود سنة ٣٧٠ هـ وجدها كلها لا تقرأ الا بقراءة نافع على
 طريقة أهل مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، قال : « وأما القراءات
 في جميع أقاليم المغرب فقراءة نافع حسب »^(٤) كما نقل القاضي عياض
 في ترجمة ابي العباس احمد بن طالب القيرواني صاحب محمد بن سحنون
 ما يأتي : « وذكر ابو عمرو الداني في كتابه : ان ابا طالب ايام قضائه أمر
 ابن رغوثة المقرئ . بجامع القيروان ألا يقرئ الناس الا بحرف نافع »^(٥) .
 وقد تحدثوا عن أمور التعليم فتناولوا مسائل كثيرة فقد ذكر
 الوشيري : « وسئل ابو طيب عبد المنعم بن خلفون الكندي (المتوفى في
 القيروان سنة ٤٢٩ هـ) هل يجلس المعلم من الصبح الى المغرب او عند
 طلوع الشمس الى عند الاسفار ، فأجاب : أما وقت جلوس المعلم وقيامه

(٢) ابن عساکر ، التاريخ ٢/ ٣٠٨ .

(٣) ابن العذاري . البيان المغرب طبعة لندن ١/ ٣٤ .

(٤) المقدسي . أحسن التقاسيم (لبن ١٨٧٧) ص ٢٣٨ .

(٥) القاضي عياض ، (ترتيب المدارك ١/ ٢٧٥) من مخطوطات العلامة

السيد حسن حسني عبدالوهاب .

فبحسب العرف ، وما تناهده أهل التعليم في بلد^(٦) .

وقد تحدثوا عن العلم وكيف يجب أن يكون وما يلزم أن ينصف به من صفات ، فقد قال الإمام القايسي : « ينبغي أن يكون المعلم مهيبا لا فسيح ، لا يكون عبوسا مقضا ، ولا مبسطا مرفقا بالعيان دون لين ، وينبغي أن يخلص أدب العيان لمنافعهم »^(٧) .

ومن الطريف أن تذكر في هذا الباب ما أوصى به عتبة بن أبي سفيان معلم أولاده حين سلمهم إليه ، قال عتبة - رضي الله عنه - : « يا عبد الحميد ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك ، فإن عيوبهم معقودة بمنك ، فالحسن عندهم ما سمعت ، والقيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ولا تسلمهم فيه فتركوه ، ولا تركهم فيه فيهجروه ، وروهم من الحديث أشرفه ، ومن الشر أعفه ولا تقلهم من علم إلى آخر حتى يحكموه ، فإن ازدحام الكلام في السمع منغلة في الفهم ، وعلمهم سير الحكماء وأخلاق الأدياء ، وهددهم في أدبهم دوي ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، واستزدني بزيادتك إياهم ، زدك في برى ، وأباك أن تتكل على عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك »^(٨) .

وفي هذه الكلمات الحكيمة فهم خاص دقيق لاصول التعليم ، وكيف يجب أن يباشرها المعلم ، وكيف يعلم الأولاد فينتقل في تعليمهم من مرحلة إلى أخرى ، وماذا يجب أن يهيئ لهم من المواد ، والطريقة التي ينبغي أن يقدم فيها تلك المواد ، كما أشار إلى العقوبة وكيفية استعمالها وألا يباشرها قبل التهديد بها (الأدب) . كما لم يوصوا بالمقاب البدني وشددوا النكير

(٦) الوثائق - المصاير ١٥٢/٨ . والإمام القايسي هو أبو الحسن بن خلف الطافري من كبار أئمة الحديث والسنة بالقيروان ، توفي سنة ٤٠٣ هـ .

(١) المصدر السابق ١٥٧/٨ عن كتاب آداب المعلمين .

(٢) الشريشي . شرح المقامات ٣٤٩/١ .

عليه . قال سخنون لعلم ابنه : « لا تؤدبه الا بالدح ونظف الكلام » فليس هو من يؤدب بالضرب والتعنيف ، (٦) .

وقد عقد ابن خلدون فصلا على هذا الموضوع فأنشأ الى أن انشده على المتعلمين مضره بهم ، قال : « ان اهداف الجسد في التعليم مضر بالتعليم سيما في أصغر الولد لانه من سوء الملكة ، ومن كان مرباه بانغف والقهر من المتعلمين او المالك او الخدم — طابه القهر ، وضيق على النفس انبساطها ، وذهب بشاغلها ، ودعاها الى الكل وحمل على الكذب والخبت وهو الظاهر بغير ما في ضميره ، خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعليه المكر والخديعة صارت له هذه عادة وخلفا ، وفقدت « ما ينبغي الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن ، وهي الحبة والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصار عيالا على غيره من ذلك ، بل وكسبت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانبغضت عن غايتها ، ومدى إنسانيتها ، فارتكس وعاد الى أسفل السافلين » .

ثم قال : « ينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده ألا يستبد عليهم في التأديب ، وقد قال : محمد ابن ابي زيد (وصوابه محمد بن سخنون صاحب رسالة المعلمين) في كتابه الذي الفه في حكم المعلمين والمتعلمين : لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة اسواط نيتا . » (٧) .

ونقل ابن خلدون عن مروج الذهب للمسعودي ما حكاه الأحمر النحوي عن نفسه ، قال : بعث الى الرشيد لتأديب ولده محمد الأمين فلما دخلت عليه التفت الي وقال : يا أحمر ان أمير المؤمنين دفع اليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فسير يدك عليه مسوطة ، وطاعتك عليه واجبة ، فكن

(٣) ابن الدباغ . معالم الايمان ٨/٢

(٦) ابن خلدون ، المقدمة ص ٤٧٧ - ٤٢٨

له بحيث وضعت أمير المؤمنين ، أقرته القرآن وعرقه الآثار ، وورد الأشعار ،
وعلمه السنن ، وبصره مواقع الكلام وبده ، وامنحه الضحك إلا في أوقاته ،
ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتم فيها قائدة تفيد أياها من غير أن تحزنه
فتمت ذهنه ، ولا تمن في ملامحه فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما
استطعت بالقرب والملاينة ، فان أبهمسا ، فملك بالشدة والغلظة وبالله
توقيكما . (٢) .

ولم ينب عنهم من أمور التعليم شيء فقد فطنوا إلى أن التعلم الصغير
لا بد أن يستعان على تعليمه بشيء من الراحة واللعب ، وذلك أنه يترك
وشائه في فرس معلومة ، يلهو ويلعب ثم يعود إلى الدرس ، فقد حكى
معتب بن أبي الأزهر ، من علماء القيروان في القرن الثالث الهجري قال :
قال لي أبو القاسم عبدالله بن محمد : وما حال صبيانكم في الكتاب ؟ فلت
له : ولعب كثير باللعب ، فقال : ان لم يكسبوا كذلك فملى عليهم
النائم . (٣) .

وهو يريد من ذلك أنه لا يتنى الولدان عن اللعب إلا المرض
والأمم الغزالي من فلاسفة المسلمين في المشرق الإسلامي قد تناول
هذه الناحية فقال : ينبغي أن يؤذن للصبي ، بعد الانصراف من الكتاب
أن يلعب لعبا جميلا يسترىح إليه من تعب المكتب بحيث لا ينصب في اللعب ،
فان منع الصبي من اللعب وارهقه في التعلم دائما يمت قلبه ، ويبطل ذكائه
وينقص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا . (١) .

ومن المفيد ان نعرض لكتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون

(٢) المسعودي ، مروج الذهب (مصر ١٣٠٣) ٢ / ١٩٥ .

(٣) الفاضل عياض (المدارك ترجمة معتب بن أبي الأزهر القيرواني)
مخطوط .

(١) الغزالي . احياء علوم الدين الجزء الثالث (فصل رياضة النفس
وتبذير الاخلاق) .

التوحي^(٢) ، وهو ما دونسه عن أبيه في شؤون التعليم في القيروان ، في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، والقيروان يومئذ دار السنة ، ومحطة طلاب العلوم الشرعية من سائر أنحاء المغرب والأندلس .

يعرض أبو عداة محمد بن سحنون لما جاء في تعليم القرآن^(٣) فيذكر الأحاديث التي ألزمت تعلم القرآن . ولا يفوته في ذلك الأسانيد على طريقة المتقدمين من علماء الحديث ، كقوله - صلى الله عليه وسلم - « أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » ، وكقوله « خيركم من تعلم القرآن » .

ثم يعرض لما جاء في العدل بين الصبيان فيذكر قوله - صلى الله عليه وسلم - : « أيضا مؤدب ولي ثلاثة صبيان من هذه الأمة فلم يعظمهم بالسوية ففبرهم مع غنيهم ، وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين » ، وقوله : « إذا قوطع المعلم على الأجرة فلم يعدل بينهم (يعني الصبيان) كتب من الظلمة »^(٤) .

يتحدث عن الأدب (والمراد به العقوبة) وما يجوز من ذلك وما لا يجوز .

قال : وحدثنا عن عبدالرحمن عن عبيد بن اسحاق عن يوسف بن محمد قال : كنت جالسا عند سعد الخفاف فجاء ابنه بكسي ، فقال : يا بني ما بك ؟ قال : ضربني المعلم ، قال : أما والله لأحدثنكم اليوم ، قال : حدثني عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « شرار أمي معلمو صبيانهم ، أقلهم رحمة لليتيم ، وأغلظهم على المكين » .

قال محمد بن سحنون : وإنما ذلك لأنه يضربهم إذا غضب ، وليس

(٢) كتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون نشر السيد حسن حسني

عبدالوهاب توتس ١٣٤٨ هـ .

(٣) كتاب آداب المعلمين ص ٤١ .

(٤) المستدر السابق ص ٤٢ .

على منافهم ولا بأس أن يضربهم على منافهم ، ولا يجاوز بالادب ثلاثاً ، والا
أن يأذن الأب في أكثر من ذلك ويؤديهم على اللعب والبطالة ، ولا يجاوز
بالادب عشرة ، وأما على قراءة القرآن فلا يجاوز أدبه ثلاثاً . قلت ولم
حدد عشرة في أكثر الأدب في غير القرآن ، وفي القرآن ثلاثة ؟ فقال :
لأن عشرة غاية الأدب ، وكذلك سمعت مالكا يقول : وقد قال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - : « لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة أسواط إلا في
حد » ^(١) وهكذا يأتي بآثار الأحاديث التي تقيد الأدب بحدوده ولا
تجاوزها .

ثم يتحدث عما جاء في النظم وما يجب في ذلك للمعلم ، كأن يهدي إليه
شيء مكافأة له واعترافاً . ويعرض في ذلك لما قيل في الموضوع ، وما حدث
فيه من أمور سابقة ، وما نص على ما جاز منه وما لا يجوز .

كما يعرض واجبات المعلم نحو الصبيان ، وما يجب أن يعلمهم ،
وكيف يشغل وقتهم في تعليمهم ، والمواد التي يحسن به أن يعلمهم زيادة على
القرآن والخط ، وما يتعلق بذلك من تجويد القراءة باتباع الأصول في
اللفظ ، كأن يصبرهم بالجيد من الشعر وأخبار الأدب . ويتحدث كذلك
عن واجبات الصبيان نحو معلمهم وكيف يجب أن يسلكوا .

وطريقة الكتاب أن محمد بن سحنون يعرض للأشئلة التي سئل عنها
أبوها فأجاب عن ذلك مما يصل بأمور التعليم في تلك الفترة ، وما سجله في
« المدونة » من هذا الموضوع وما حدث على عهد الإمام مالك ، فقال فيه :
قال .

ولم تبق القبروان وحدها مركزا للثقافة ، ومجتمعا لتعلماء والدارسين
في ديار المغرب ، فقد ظهرت تونس حاضرة البلاد المعروفة ، وظهر جامع
الزيتونة ، ويمثل جامع الزيتونة معهد التعليم العالي . بناء عبيد الله بن

(١) المصدر السابق ص ٤٣ .

الحيجاب سنة ١١٤ هـ تخليداً لذكرى انتصاراته في غزواته الكثيرة (١) .
 واتم بناءه على الشكل الحالي أبو العباس محمد بن الأغلب على عهد الخليفة
 العباسي المتصم بالله ، وصار معهداً أفريقية العلمي على عهد أبي زكريا الأول
 الملك الحفصي في أوائل القرن السابع . وجلب إليه الأساتذة من طرابلس
 مثل عبد الحميد بن أبي الدنيا ، ومن سقاية مثل آل الصقلي الأطباء ومن
 الأندلس مثل ابن عصفور النحوي ، وابن سعيد وابن الأبار المؤرخين
 وحازم القرطاجني وابن أبي الحسين الأديبين وابن القصار والبطرني
 الفقهيين . وقد تخرج من الزيتونة في هذا العصر الحفصي نخبة من
 العلماء منهم عبد الرحمن بن خلفون . وقد مر جامع الزيتونة بأزمة
 نشأت عن سقوط الحفصيين وإسبلاء الأسيان فصار العلماء يهاجرون إلى
 الشرق . ثم جاء الاخلال التركي فحاول الأتراك أن ينشروا المذهب
 الحنفي فتجمعوا على حساب المالكية ، وصارت التركية لغة التعليم بالزيتونة ،
 فلم يرض الناس بذلك ، فجاء عثمان داي فسلح التعليم بالجامع ، وجعل
 التعليم الحنفي مقصوراً على المدارس الحنفية ، وعادت الزيتونة إلى سابق
 مجدها ، وجيئ بمهاجرة الأندلس من الأساتذة ليدرسوا فيها . واعني
 الأمراء المراديون بإنشاء الجوامع وجعلوها على غرار الزيتونة ، فأسس
 عثمان داي جامعاً اتخذ منه مدرسة (١٠١٧ - ١١١٧) .

ثم جاء الطور الحسيني : ١١١٧ - ١٢٣٠ فانتقلت السلطة إلى حسين
 بن علي التركي . فصرف همه لإصلاح شؤون الدولة عامة وإلى إصلاح
 التعليم خاصة ، وتناول هذا الإصلاح التعليم الزيتوني ، على أنه مهما قيل
 في هذه الحركة الإصلاحية فقد هبط مستوى التعليم في هذا العصر التركي
 إلى مستوى واطي . بالقياس إلى ما كان عليه أيام الحفصيين من حيث عمق

(١) انظر محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب لعثمان الكعكاك
 (معهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية ١٩٥٨)

التعليم ، ومن حيث اختلاف المواد التي تدرس وتنوعها ، فقد كان التعليم يشمل العلوم العقلية والرياضية والطب والفلك ، بالإضافة الى العلوم الدينية والعربية . اما في عصر الحسين فلم يبق الا القليل من كل هذا . كما أن هؤلاء الحسين لم يصلوا بالتعليم الى المستوى الذي كان عليه في أيام المراديين ، فقد احتفظ هؤلاء بكثير من العلوم التي كانت تدرس على عهد الحفصيين ، وهذا راجع الى أنهم من كرسكا ، وأن ثقافتهم اوروبية ، كما ان للحجاية الاندلسية المهاجرة الى تونس الفضل في الاحتفاظ بهذا المستوى العلمي ارفع .

وهكذا ظلت الزيتونة المعهد التونسي الثاني خوال هذه الاحقاب المتعاقبة والتي شهدت فيها تونس عدة أسر حاكمة^(١) .

ونقد تمت الزوايا والربط بقسط آخر في التعليم الديني ولاسيما ما ينصل منه باعلم الصوفي . كما أن الكتيب طلت لعاسر الزيتونة ، وربما قدمت لمزيتونة الطلاب بعد تزويدهم بالقسط اليسر من التعليم كتعليم القرآن والخط وشي . يسير آخر يتعلق بتجويد النطق والتلفظ .

وظلت الزيتونة محافظه على مركزها الخافي خوال مدة الاحتلال الفرنسي ، وقد كانت عملا لحفظ تونس شخصيتها وقويتها ومجدها . ولولا هذه الزيتونة العامرة ذهبت اللغة العربية ، وصارت حال العربية في تونس حاليها اليوم في الجزائر وهكذا كانت الزيتونة مركزا بدكسي قلوب التونسيين حماسا وعيرة ، ويذكرهم بامجادهم ويثبت فيهم روح الذود عن الوطن وبخليصه من ربة الاستعمار الجيفس .

(١) انظر محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب لعماد الكعكالك (معهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية ١٩٥٨) من ١١١/٨٨ .

حال التعليم قبيل الاستقلال :

أما حال التعليم قبيل الاستقلال فهو ينحصر في أربعة أشكال من المؤسسات التعليمية هي : -

١ - مؤسسات قديمة جدا ، وهي تشمل جامع الزيتونة والزوايا والكتاتيب القرآنية .

٢ - مؤسسات أحدثت في القرن التاسع عشر ، وبصفة خاصة قبل الاحتلال الفرنسي ، وقد أحدثت هذه المؤسسات قصد مسايرة الزمن ، والاخذ بأسباب التقدم العلمي الذي بلته الحضارة الغربية في ذلك الحين ، وقد بقي من هذا النوع : المعهد الصادقي ، الذي أسسه الوزير المصلح خير الدين ليحجمل منه نواة نهضة علمية حديثة . أما بقية المصاهد الأخرى فقد قضى عليها الاستعمار .

٣ - مؤسسات حديثة حرة للتعليم الابتدائي والثانوي ، أحدثها المتقنون من الشباب التونسي ، احساسا منهم بخطور الاستعمار الثقافي ، فأندفعوا يقاومون هذا النوع من الاستعمار عن طريق نشر الثقافة الحديثة .

٤ - مؤسسات رسمية ، وهذه أحدثت بعد الاحتلال . ووضعت برامجها وأهدافها في خدمة الاستعمار وسياسة الثقافة الخاصة بتونس وسائر أقطار المغرب العربي .

أما الزوايا والكتاتيب فهي أتر من آثار الماضي القديم الذي لم يعد يصلح لهذا العصر ، ومهمة هذه المراكز تعليم القرآن ليس غير .

أما جامع الزيتونة فله مكانة خاصة ، وفضله لا يجحد ، وقد سبق الكلام على هذه الناحية ، غير أنه مهما قيل في هذا الموضوع فقد أثبتت جماعة كبيرة إلى القول والمناداة بإصلاح التعليم الزيتوني الذي لم يعد كافيا لحاجات العصر الحديث ، فكان هناك مجلس إصلاح التعليم الزيتوني ،

وقيل في هذا الباب ما قيل ، وتعددت الآراء ، واختلفت الطرق ، وبقيت هذه المشكلات قائمة حتى جاءت فترة الاستقلال الوطني سنة ١٩٥٦ فحاولت هذه المشكلة على نحو سمرضى له بعد قليل .

وأما المعهد الصادفي فهو معهد تنوي اريد له أن يكون مناضرا للتعليم الحديث في الأمم المتحضرة المتقدمة . على أن هذا المعهد وإن اتبع الأساليب الحديثة وأدخل العلوم المصرية . فقد امتدت إليه يد غابرة تخضع للإدارة العامة كما خضع غيره .

وأما النوع الثالث فهو التعليم الحر ، والذي أنشأه الواعون من الشباب المثقف التونسي الذي شعر بخطر الاستعمار الثقافي ، فعمد إلى هذا النوع من المعاهد الحرة ، غير أن الاستعمار لم يترك هذه المعاهد وشأنها ، فصار يتدخل فيها حتى خضعت في حملة ، خضع للمنفوذ الإداري الرسمي .

أما التعليم الرسمي فيمثل مؤسسات أنشأها الاستعمار ، ورسم لها سياسة خاصة يحقق فيها غاياته وأهدافه ، وهي لا تكثر بالشخصية التونسية ، ولا تهتم بتاريخ تونس ومكانتها بين الأمم ، ثم إن لغة التعليم في هذه المؤسسات الفرنسية ، أما العربية فحجتها ضعيفة لا تحقق شيئا ، ويتأ عن هذا ازدواج لغوي لا تحمله قابليات الأطفال الضعيفة ، لاسيما في التعليم الابتدائي ، وفي هذا جور على اللغة القومية ، وإهمال للتراث القومي .

وهذه المؤسسات مقتصرة على التعليم الابتدائي والثانوي ، فليس هناك تعليم مهني زراعي أو صناعي ، وليس هناك معاهد لأعداد المعلمين والمعلمات . ونخلص من كل ذلك إلى أنه لم يكن في هذه الفترة أثر للتعليم العالي على مستوى الكليات المعروفة في التعليم الحديث .

حتى إذا اطل فجر الاستقلال ، وجد التونسيون أنهم قد ودرتوا تركة

مقلدة بالمشكلات والصعاب ، فالتعليم في حاله على عهد الحماية تعليم ناقص ، رسمه المستعمرون محققا لأهدافهم ، ومن هنا بدأت الدعوة من جديد الى اصلاح التعليم ، وهذه الدعوة جادة ماضية ، ولكنها لم تحقق كل ما أريد تحقيقه ، فالصعوبات كثيرة ، والمشكلات تتطلب دراسة طويلة الأمد ، ومساوىة الماضي نأينه محكمة التواعد ، وهكذا فلم يتحقق كثير من الإصلاح .

غير ان الإصلاح قد تناول الزيتونة ، ذلك ان الزيتونة وما يتبعها من معاهد كانت تضم أكثر من خمسة عشر ألف طالبا ، وفي هذا بحث كبير ، وتعطيل للقيامات في رأى دعاة الإصلاح ، لأن البلد محتاج الى المختصين في العلوم الحديثة لبناء الاستقلال الجديد ، وليس من المفيد تجنيد مثل هذا العدد في الدراسة الدينية العربية . ولكن الدعوة الى اصلاح الزيتونة قد بولغ فيها ، وكان النود قد أخذوا يتبرع بمجارات العصر ، وكان هذه المجارات قد فرضت عليهم تصفية الزيتونة الحاضرة ، وإلغاء التعليم الزيتوني ، وتحقيق هذا الغرض أسست معاهد ثانوية تستقبل العدد العديد من الزيتونيين ، وزودت بمناهج خاصة ، نلثم وما كانوا قد زودوا به من مواد ، وكانت هذه المعاهد على صنفين : صنف أطلق عليه : التعليم العلمي ، وهو الذي نقل الصنف من الآخر ، والتعليم القديم ، إلا ما أضيف له من مواد جديدة في شكل موجز سهل . وصنف أطلق عليه : التعليم المصري ، وهو أقرب الى نهج المدارس الثانوية من الاول ، وفي كلا الصنفين بفسح المجال للعربية على شكل واضح يحقق الغرض المطلوب . إلا ان لاهذين الصنفين غاية مرسومة هي تخريج العدد المتبقي من الطلاب الزيتونيين ، الذين يقلون كلما تخرجت فئة منهم وهكذا يتم يتم تخريج هذا العدد فتتهدى هذه الدراسة التي اصطنعت لمعالجة هذه الحالة الطارئة .

وقد تركت هذه الحالة ألما دينا في نفوس التونسيين الذين يرون في

الزيتونة مجدا باذخا قصد تقويضه، وهكذا نازمت الحال فئسا حماس لا يخلو من حقد ومغرض بين الزيتونيين والمثادين بالاصلاح، وهؤلاء هم الذين يصرفون شؤون التربية القومية، وجل هؤلاء من الذين درسوا في معاهد فرنسا، وهم من اجل ذلك يتعصبون للثقافة الفرنسية، او قل للنمط الحديث في التربية ممثلا في الثقافة الفرنسية، وهؤلاء ماضون في هذه الدعوة وان كانت على حساب القيم القومية، والشخصية التونسية. ولقد قام الجدل حول هذا الموضوع في الفترة الاخيرة على صفحات مجلة «التجديد»^(١)، فقد انبرى جماعة من هؤلاء الجدد ذوي الثقافة الفرنسية، فنادوا بالاخذ بمقومات الشعب التونسي، والرجوع بالناهج الثقافية الى طريق يحقق الشخصية التونسية بتاريخها وراثتها ضمن اطار الحضارة العربية الاسلامية، وكان هؤلاء يردون على التيار الذي اخذ المستونين الذين آمنوا بالجديد والاصلاح على هذا النحو.

اما المدارس الابتدائية والثانوية فقد سير فيها على النهج الفرنسي، ولم يفلحوا في تحقيق الاصلاح المنشود، فقد بنيت اللغة الفرنسية في طائفة كبيرة من هذه المعاهد لغة تفوق العربية من حيث العناية بها، ومن حيث عدد الساعات التي تخصص لها. كما ان طائفة كبيرة من المدارس الثانوية مازالت تقرأ المواد بالفرنسية، ومن جملة ذلك مادة التاريخ الاسلامي ومادة الجغرافية. وبعد حوادث بنزرت سنة ١٩٦٠ حاولوا ان يجعلوا للعربية ما للفرنسية من عدد الساعات تحقيقا لشيء من الاصلاح المنشود.

وقد تستغرب هذه العناية بالفرنسية على حساب اللغة القومية، ولكنهم يجيبون على استغرابك واستفهامك بانهم مضطرون على ذلك، فليس الاصلاح بالشيء السهل بعد استعمار دام ثمانين عاما، وانهم لا يملكون العدد الكافي من المدرسين والعلمين الذين يجيدون العربية، فاذا اريد تدريس

الحساب أو الهندسة بالعربية فليس من السهل تهيئة المدرسين للقيام بهذا العمل . وهكذا يستعان بالفرنسيين على القيام بأعمال التدريس ، وقد يحدث أن يقوم فرنسي بتعليم مادة التاريخ الإسلامي . ولا بد أن تشير هنا إلى مشكلة التعريب ، وتعريب المناهج أو قل توظيفها يتطلب معرفة جيدة بالعربية ، وهذا غير ميسور في الوقت الحاضر المنقصر الشديد في العناصر المكونة تكويناً عربياً ، ومن أجل ذلك ، نرى الدوائر الرسمية تتخذ الفرنسية لغة لها ، وفي ضمن ذلك وزارة المعارف .

وينجم عن هذه المشكلة مشكلة الكتب المدرسية ، فهي إما فرنسية مطبوعة في تونس ، وهذا قليل جداً ، وإما فرنسية ألفت للطلاب الفرنسيين في فرنسا فاتخذها التونسيون كتباً لهم .

ومن الأعمال التي قام بها المسؤولون في فترة الاستقلال ، إنشاء الجامعة التونسية ، ونشئ هذه على كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، وكلية الحقوق ، ودار المعلمين العليا ، وكلية العلوم ، وكلية الشريعة ، وكان هذه الأخيرة استدراك لما وقعوا فيه من نصبة الكلية الزيتونية الضئيلة ، وفي ذلك إرضاء للمساخطين المحافظين . وبرامج التعليم في هذه الكلية - عدا كلية الشريعة - مشابهة لبرامج التعليم الفرنسي العالي ، يشمل ذلك المواد التي تدرس ، وعدد السنوات وطريقة التدريس ، ونظام الشهادات Certificat ، ودبلوم الدراسات العليا ، والذين خيروا الدراسة في معاهد فرنسا يعرفون هذه المصطلحات وقيمتها .

أما اللغة في التعليم العالي فهي فرنسية بصورة عامة ، إلا المواد العربية التي تدرس في كلية الآداب ودار المعلمين العليا ، فهي تباعث بالعربية ، كما يستعان بالفرنسية إن طرأت حاجة ، كأن يكون الأمر مختصاً بمصطلحات فرنسية ، أو مذققة لرأي عالم من الأعاجم المستعربين . ولا تستغرب إذا قلت لك : إن التقليم الإسلامية وهي مادة من المواد التي تدرس في قسم

الاجتماع ، تعطى بالفرنسية ، والذي يعطيها نونسي مسلم ، وحيثهم في ذلك ان هذا القسم يتبع جامعة باريس .

ولا بد من كلمة أخيرة متعفة ، وهي ان التونسيين وعلى رأسهم المسؤولين الرسميون ، شاعرون بخطر المشكلة الحاضرة ، فهم يولونها الدرس والعناية ، ولكنهم لا يستطيعون التحيل والأسراع ، والمشكلات كثيرة آخذة بالعنق ، وان تركة عهد الاستعمار ثقيلة مبهدة ، وان هذه الثمانية سنة من حكم استعماري غاشم ظالم ، كفيلة بخلق هذه الحال المؤسفة ، ومن خبر الاستعمار الفرنسي وطرقه اللينة عرف الامر وحكم بانصاف للتونسيين ، ومن سار على الدرب وصل .

رسالة في السمسة والسمار واحكامه

لابي العباس الايباني التونسي

المتوفى سنة ٣٥٢ هـ

مقدمة

التعريف بالمؤلف

أبو العباس عبدالله بن أحمد بن إبراهيم بن اسحق المعروف
بالأيباني كما جاء في «المدارك» للقاضي عياض كذا يقال بكسر الهزة
وتشديد الباء ، ويقال سوايه تخفيفها ، انشبهه تنقه يحيى بن عمر وأحمد
بن أبي سليمان وحمد بن يحيى بن عبدالعزيز وحماس بن مروان
وغيرهم ، وصلاحية لقمان بن يوسف وعبدالله بن عامر وذاكر أبا بكر بن
اللباد يروي عنه الأسلمي وأبو الحسن الفلواني وعمرون بن محمد وعبدالله
ابن أبي رزيق وسعيد بن ميمون وأبو القاسم بن زيد وأبو علي الصولي
وعيسى ابن سعادة القاسمي وابن زيد ، رحمهم الله ، وغيرهم ، قال بعضهم
كان أبو العباس عالم أفريقية غير مدافع ، قال بعضهم : كان من شيوخ أهل
العلم وحافظ مذهب مالك قال ابن حارث : هو شيخ من أهل الصفيانة
والانقباض حلما نبلا فصحا عالما بما في كتبه حسن الضبط جيد الاستنباط .

كان الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رضي الله عنه اذا انزلت به نازلة
مشكلة كتب بها اليه بينها له ، وقد وصل الى مصر تلفاه نحو أربعين فقهيا
لم يكن فيهم أفقه منه ، وقال أبو اسحق بن شعبان : ما يزال بالمغرب عالم
ماتام بين أظهرهم ، وما عدا النيل ، منذ خمسين سنة أعلم منه ، وقال أبو
حفص بن عمرو : صحبت الحسن بن نصر وغيره وذكر من أحوالهم

وفضائلهم فما رأيت بالشرق ولا بالمغرب مثل أبي العباس يفضل المسائل
 كتفضيل الجزار الجاذق اللحم وكان يحب المذاكرة العلم ويقول : دعونا من
 السماع ألقوا علينا المسائل ، وربما دخل عليه أصحابه وهو ملثا فإذا
 أخذوا في المذاكرة زال اليأس وظهر نشاطه ، وكان يدرس كتاب ابن حبيب
 وكا ابن اللباد إذا ذكره يصحجر لكثرة ودقة فهمه فيسره به أبو العباس ،
 وذكر المواتي أنه قرأ على أبي العباس في الواضحة صدرا من كتاب اليوخ
 فقال له : بقي من الكتاب حديث كذا ومثله كذا ، وذكر أحاديث ومساائل
 فخطرت فلم أر شيئا ثم تأمنا فإذا ورثنا قد انقصنا وتجاوزناهما
 فإذا في الصفحين كل ما ذكره فصجينا من حفظه . وكان قبل الفتوى ذكر
 فضائله وأخباره رحمه الله : لما حج في زمن كافور دخل الجامع بمصر
 فوقعت عليه أعين ابن القرمطي فقال هذه مشبه فقيه وكان قد فاتته صلاة
 المصير فأحرم . وابن القرمطي ينظر إليه فقال أحرام فقيه ، فلما صلى كان
 بجواره رجل من أهل العلم فتحدث معه ثم قال كيف رأيت مصر ؟ قال
 رأيت ظلما ظاهرا ، وكان كافور قد جلس بفناء الناس فرفقت رقعة بمقال
 إلى كافور وكان يجلس يوم السبت للمظالم ويجلس معه الفقهاء وفيهم ابن
 شعبان فلما جلسوا إذا بالرقعة ، فقال كافور : من المتكلم بهذا ؟ وكان الخبير
 قد وصل إلى ابن شعبان وحرص على رؤيته ، فقال ابن شعبان هو أبو
 العباس الألباني ما عدا النيل منذ خمسين سنة أعلم منه .

فقال كافور : تطلق بفناء الناس ويسعون في السوق إن شاؤا فما أردنا
 اشترينا فكرة دعاء المغاربة لأبي العباس وعرف أبو العباس بمقال أبي اسحق
 فركب إليه فلما رآه أبو اسحق وثب من مجلسه وأجلسه فيه ، ثم ذكره في
 أشياء ، ثم قال له : أنت اليوم ضيف فقال له أبو العباس : تعلم أنه لضيافة
 على أهل الحضر ، فقال أبو اسحق ابن عبد الحكيم : عليهم الضيافة ثم قال

أبو اسحق في المذاكرة : فقال له : ذلك إليك فقال له : أو ندع للمصلح
موضعاً فقال له : ذلك إليك .

وقيل : ان أبا اسحق التقى عليه لما أكمل الصلاة في الجامع عشر مسائل
فاجابه في تسع وأخطأ في العاشرة . وقال بعضهم : بل ما أجاب به كان
الصواب والمسئلة المدير يفر بالجنانية في حياته سيده ثم يموت سيده والجواب
فيها أنه ينظر فإن كان قد اختدعه سيده بمثل ما يختدعه المجني عليه فسي
حياته فلا شيء على المدير ، وإن كان اختدعه السيد بمثل نصفها بقي عليه
نصف الجنانية ، وعلى هذا الحساب قال عبدالله بن أبي ذريق : يجب ان
قلت قلت نعم ، قال : فلنكن نفسك عندك أهون من الزيل الذي على
المربلة . وكان اسماعيل رضي الله عنه ، أشخص فيه ليوليه القضاء فمرض
عليه فامتنع فأوقعه اسماعيل اباعاً يقتضي أمره ، ويدس عليه من يسمع كلامه
وادخله على نفسه فدخل عليه في زي بدوي حانياً ونعلاناً في يده ، وكان
قد سبق إلى السلطان من قدم من أحواله فلما رآه السلطان بتلك الهيئة
صدق ما قاله القائل فمرض عليه فامتنع فمات ، وخرج من عنده عشاء متوجهاً
إلى تونس لحيته فحذفه ان يبدو له في أمره فمات الله تعالى . وقيل ان الذي
أراد ان يوليه القضاء معه ، وكان غداً أبي العباس نصف حجلة نرد له في
نصف خبزة ، وكان منحفظاً في طعامه كثير الحمية ورأي رؤيا تدله ان في
طعامه شيئاً ، فسأل عن الخبز فلم يجد شيئاً . وند مثل يوماً عن فقيهين من
أصحابه وتلاميذه ، وهما أبو القاسم بن زيد وسعيد بن سحنون ، أيهما
أفقه انما يفضل بين عاتين من كان أعلم منهما ، وكان رحمه الله يقرأ السبع
كل يوم وما استكمل حفظ القرآن الا وهو ابن سبعين سنة ، قال بعضهم
كنا عند أبي العباس حتى جاء عطية الجزري العابد فنظر يمينا وشمالاً ، ثم
انصرف وهو يقول : ما هنا من اصحابنا احد فصاح أبو العباس عليه ، فراجع
ثم قال له : وما نحن من اصحابك وان دفع في البكاء ويكرر قول عطية ويقول :

من اين تكون من اصحابك وانت تأتي القيروان وعليك تليس وطرابلس
 وعليك تليس ومصر وعليك تليس ونحن نتخذ للحاضرة ثيابا لا نلبسها
 للبادية وثيابا للبادية لا نلبسها للحاضرة وتزين وتطيب ويكي وعطية يقول
 يا سبيدي لا تفعل فانت امانا في ديننا بك تختدي في أمورنا . وكانت له
 فراسة لا يكاد يخطئ . يذكر انه قال لابي الحسن وهو يطلب عليه : والله
 لتضربن اباط الابل من أقصى المغرب فكان كما قال . ودخل عليه عطية
 الجزري فرحب به ابو العباس فقال : اينك زائرا ومودعا الى مكة فقال
 ابو العباس لا نخلنا من بركة دعائك وبكى وليس مع عطية ركة ولا مزود
 فخرج مع أصحابه ، ثم اثناء بئر ذلك رجل فقال له : أصلحك الله عندي
 خمسون مثقالا ، ولي بطل ، فهل نرى لي الخروج الى مكة ؟ فقال لا تسجل
 حتى توفر هذه الدنانير ، فمجيئنا من ذلك واختلاف جوابه للرجلين مع
 اختلاف أحوالهما ، فقال عطية : جاني مودعا غير مستشير وقد وثق بالله
 وجاني هذا يستشير ويدكر ما عنده فعلت ضعف نيتي فأمرته بما رأيتم .
 فقال بعضهم من عطية المتعبد يوما برجل يزمر فخرت زوجه فاقبل الزامر
 يرميه وعطية يقول : اللهم تب عليه فصرف ذلك الابياني فقال ضرب عطية
 اللهم أوقع يمينه ، قال الحاكي فرأيت الزامر بعد ذلك الطواف فقلت له :
 انت صاحب عطية ؟ فقال بدعوتك انضمت فذكرت له دعوة أبي العباس فقال :
 ماله ومالي ، هلا دعا لي كما دعا عطية واخرج يده مقطوعة . وكتب أبو
 الفضل بن نصر التابرني الى أبي العباس الابياني شعرا له أوله :

وماذا نريك حوادث الأزمان	وصروفها وطوارق الحداث
وأشد ما أنقى وأنضج للحشا	عدم الوفاء وجفوة الأخوان
هذا أبو العباس واحد عصره	وفيه والسمات الأفران
أنفت به أخلاقه عن وسيلنا	وسلامنا في السر والاعلان
اني أيتك شاعرا ومخبراً	أشكو اليك حوادث الأزمان

فكتب له أبو العباس الأبياتي رحمه الله تعالى :

دهرك يا أبا الفضل ذو انقلاب يريك في المحجب العجائب
فكن جليس بيتك مسنوحا من الناس والأهل حتى من الأبواب

وتوفي سنة اثنين وخمسين وثلاث مائة وقال المالكي سنة احدى وستين
وهو ابن مائة سنة غير اربعة اشهر . وجاء في شجرة النور الزكية لمحمد
مخلوف ص ٨٥ :

أبو العباس عبدالله بن أحمد الأبياتي التونسي الامام الفقيه العالم
القائم على مذهب مالك الثقة العمدة الأمين تفقه يحيى بن عمر وأحمد بن
سليمان وحمديس ويحيى بن عبد العزيز وابن حارث واحد بن حزم وحماس
وجاعة روى عنه الأصيلي وأبو الحسن الكواتي وسعيد بن يمون والقاسي
وابن أبي زيد وجماعته مات سنة ٣٥٢ هـ

ملاحظة : المدارك للفقاضي عباس مخطوط تونسي من مخطوطات
جامع الزيتونة التي انتقلت الى الجامعة التونسية ولما تم فهرستها .
أما الرسالة فهي في مادة السمار وحقوقه وهي بخط تونسي عتيق
ولانحمل عنوانا وقد انرنا تسميتها السمار او السمسرة ، غير انه قد
كتب عليها بخط يختلف عن خط الرسالة « مسائل السمسرة في البيع »
مما سئل عنها الفقيه أبو العباس عبدالله بن أحمد بن ابراهيم الأبياتي
التونسي .

وما أظن ان هذا العنوان هو العنوان الذي رسم به المؤلف رسالته
وذلك أنني لا افطن ان « سمار » جمعت في عصر المؤلف على سمسرة ،
واغلب الظن ان الجمع على هذه الصيغة مما شاع في العصور المتأخرة .

الرسالة

سألت أبا العباس عبدالله بن أحمد بن ابراهيم الأبياتي رض الله عنه
عن السمار يعطى النوب لبنادي عليه ، فيبلغ في حده ما بلغ فيقره عند التاجر

الذي أراد شراءه ليشاور صاحبه فيضج الثوب عند التاجر . هل يلزم
 السمار أم لا ؟ وهل يلزم التاجر أم لا ؟ أو رأيت ان أقره التاجر انه
 تلف عنده وقال لم يلزمي الآن شراء . أيضمن ؟ فقال لي : اذا أقر
 التاجر أنه قبض الثوب من السمار وزعم أنه ضاع فالتاجر ضامن لقيمة
 الثوب وقد رأى فيه السمار عيا فباعه من هذا التاجر وكتمه ، فبعد
 على الشراء ولم يأخذ على الأمانة . وسأله عن السمار يبيع من التاجر
 التاجر الثوب وقد رأى فيه السمار عيا فباعه من هذا التاجر وكتمه ، فبعد
 ان قبض البائع الثمن ومضى وجد التاجر في الثوب عيا واعترف السمار
 أنه كتمه ذلك . فهل يجب على السمار غرم ان يوجد صاحبه أم لا ؟
 فقال لي :

الذي يتبين لي انه يرجع عليه بقيمة العيب ولا يكون للمشتري ان
 يرد الثوب عليه وهو عندي بعترلة الوالي بزواج ولينه وهو يعلم العيب
 الذي بها مثل الاب في ابته البكر والسيد في أمه ان يكون للزوج عليه
 جميع الصداق ان كان قد دخل بها اذا كان الوالي ممن يعرف العيب مثل
 الاب في ابته والآخر في أخته .

وسأله عن السمار اذا عرض الثوب على التاجر فبلغ ثمناً معلوماً
 ثم وقع بينه وبين صاحب الثوب كلام فحلف السمار اني لا أبيع ،
 فأخذه منه صاحبه فمضى الى الذي كان عليه العطاء فباعه وقبض منه
 الثمن . هل يجب للسمار حق أم لا ؟ ورأيت ان اخذ منه شيئاً هل
 يحق أم لا ؟ فقال لي : اذا باعه صاحبه وتركه السمار فلاحق للسمار
 في ذلك ، فان اخذ منه في ذلك شيئاً حنت وسأله عن رجل دفع الى
 السمار ثوباً فباعه له بثمن معلوم وقبض الثمن وأعطاه حقه ثم مضى
 البائع واتى بثوب مثله فباعه من الذي اشترى منه الثوب الاول بمثل ذلك
 الثمن الاول وأراد السمار ان يأخذ من هذا البيع حقاً وقال : أنا اخرجت

له السوم الأول وقال رب التوب : أنا بعت ثوبي هذا لآخر ولم تبعه
انت . هل يجب للمصار في هذا التوب الثاني شيء أم لا ؟ فقال لي :
لاشي للمصار في هذا التوب الثاني لأن صاحبه هو ولي بيعه .

وسأله عن المصار يقر التوب عند التاجر بشئ معلوم يشاور
صاحبه في البيع فيقول المصار للتاجر : زن لي الدراهم ، ونحملها
لصاحب التوب فإن باع دفعها اليه . فزن له الدراهم فيضى بها فيسقط
من يده منها هل يضمن المصار الذي قبضها ما سقط منها أم لا ؟

فقال لي : يضمن المصار لأنه لم يؤمر بالبيع فلا ينبغي النقص في
الخيار . فقلت : أرايت ان لم يسأله المصار في اخذ الدراهم ولكن
التاجر ابتداء فقال له : خذ هذه الدراهم واحملها معك الى صاحب هذا
التوب ، فإن باعه فادفع اليه وإن لم يبع فرد الدراهم . فيقبضها منه
المصار على ذلك ويذهب يشاور صاحب التوب فيسقط منه . هل يضمن
المصار ما سقط منها أم لا ؟ فقال لي : لا ضمان على المصار ها هنا
لأنه أمين الذي أرسله إلا ان يضع أو يعرض . فقلت له أرايت ان لم
يقبض منه المصار شيئاً ولكنه شاور صاحب التوب في البيع فأمره بالبيع
فأتى المصار الى التاجر الذي كان عنده التوب فقبض منه الثمن ومضى
ليدفعه الى صاحبه الذي أمره بالبيع فسقط منه . هل يلزم المصار
ضمان ما سقط منه أم لا ؟ فقال لي : لا ضمان على المصار لأنه أمين
البائع ووكيل له على البيع والقبض . وسأله عن المصار اذا أقر التوب
عند التاجر بأمر رب التوب وضاع التوب عند التاجر . هل المصار
شيء ؟ فقال لي : لا ضمان على المصار لأنه أقره بأمره بغير أمره ضمن .

وسأله عن المصار اذا دفع اليه الرجل التوب لينادي عليه وليشاوره
فأقره عند التاجر ليشاور صاحبه ، فقال التاجر : مالك عندي ثوب ولا
تركت عندي شيئاً ولم يكن للمصار عليه بينه . هل يضمن المصار

قيمة الثوب أم لا ؟ فقال لي يضمن السمار لأنه غرر إذ لم يشهد عليه .
وسأله عن السمار يقر الثوب عند التاجر ليشاور صاحبه فيسي
السمار عند من أقره فيسأل صاحب الحوانيت واحدا واحدا فلا يجده .
هل يضمن السمار ؟ فقال لي : نعم يضمن .

وسأله عن الرجل يأمره السمار أن يطلب له ثوبا ليشتريه ويقعد
عند صاحب خانوت فيأتيه السمار بالمئاع ويخرج صاحب الخانوت متاعا
من عنده فيريه المشتري فلا يشتري من الذي جاء به السمار شيئا ،
ويهوئ الثوب الذي لصاحب الخانوت ليشتريه فيطلب السمار من
المشتري حقه ويقول : أمرني أن اطلب لك وقد رأيتك وطلبت لك ،
ويقول المشتري : لم تشتري شيئا مما جئت به وإنما اشتريت من صاحب
الخانوت . هل يجب ، للسمار شيء ؟ فقال لي : لا يجب عليه لأنه لم
يشتري مما جلب له شيئا . فقلت له : قال بعض أصحابنا يجب له جمع
لأنه إنما اقتدى بما أراه السمار فله جمعه . فأنكره من القول ولم
يجبه .

وسأله عن الرجل إذا طلب الثوب في يد السمار وقد بلغ في يد
السمار ثمناً معلوماً فزاده التاجر على من أعطى غيره بعد تقليبه إياه
فمضى عنه السمار والثوب في يد السمار يطلب فيه الزيادة فلم يزد
أحد شيئاً فردّه إلى التاجر الذي دفع عليه المظاء وطلب بعه منه بعد
مشاورة صاحب الثوب ، فقال له التاجر : لا أَرْضَى بهذا الثمن ، ولم
يجد فيه شيئاً هل يلزم التاجر شيء أم لا ؟ أو رأيت أن طلب السمار
أن يقره عند هذا التاجر ليشاور صاحبه فقال فقال التاجر لا أَرْضَاهُ بهذا
الثمن . هل يلزم التاجر أن رَضِيَ صاحب الثوب بالبيع أم لا ؟ فقال :
بلى يلزمه ما أعطى فيه رسالته عن التاجر يأتيه السمار بالثوب وقد بلغ
في يده ثمناً معلوماً ، فيقول له التاجر على زيادة كذا وكذا بالخيار أن

ثبت اخذته بهذا الثمن وان ثبت تركه فيمضي به السمسار فلا يجد
زيادة فيردد اليه فيقول التاجر أما الآن فلا أصححه إلا بكذا أو كذا بأقل
مما أعطاه أولاً . هل يجوز ذلك ولا يلزمه الشراء أم لا ؟ فقال لي : ذلك
له أي يلزمه لأنه قد جعل نفسه الخيار فيه .

وسألته عن التاجر يأتيه السمسار بالتوب ليفروه عنه أو ليبيعه منه
بثمن معلوم قد بلغ في يده فيقول له التاجر لا أرضاه ، فيقول له السمسار :
إن العطاء إنما وقف أخراً عليك . فيقول : لا ، وما كان العطاء أخراً إلا
غيري . ولم يكن في هذا التوب شرط خيار ولا بينة بحضرة العطاء .
فهل يلزم هذا التاجر بيمين أم لا ؟ أو رأيت أن كانت بينة تشهد أن العطاء
آخر عليه زمة الشراء ، وإن لم يكن بينة فعليه اليمين . فقلت له : فإن
لم يكن شاهد عليه بذلك إلا رجل واحد . وكان عدلاً . هل يحلف
السمسار مع هذا الشاهد أم لا يحلف صاحب التوب ؟ فقال لي : اليمين
على السمسار مع الشاهد إذا لم ثبت وكأنته على اليمين بینه وقت أي : هو
قول ابن كنانة . وقال لي : وأما إذا ثبت وكأنته على البيع بينة حلف
الأمر مع الشاهد واستحق .

وسألته عن السمسار ينادي على التوب فيبلغ في يده ثمناً معلوماً على
أحد التجار فيفروه عند الذي وقف عليه العطاء يشاور صاحبه فيقول له
التاجر لا تقره عندي فإن عطائي هذا إما كان على غير بينة ولم يرد شراءه
إذا زدته فيه ولم يكن شرط خيار . هل يلزمه الشراء أم لا ؟ فقال لي :
يلزمه الشراء لأن بيع المتاعي كله لازم على من أعطاه أخراً .

وسألته عن السمسار إذا أقر التوب عند التاجر يشاور صاحبه ولم
يذكر التاجر خياراً فباع صاحب التوب ، فقام السمسار ليقبض منه الثمن .
فقال له تفلها أخيراً بينة وتقليب من يريد الشراء . هل يلزمه الشراء ولا
يلتفت إلى قوله أم لا ؟ فقال لي : يلزمه الشراء .

وسأنته عن السمسار اذا أقر التوب عند التاجر ليشاور صاحبه ولم يذكر شرط خيار ، فباع صاحب التوب قاتاه السمسار ليقبض الثمن ، فقال له التاجر لا نهواه ، ولكن خذ التوب قلعل غيري يشتريه منك بهذا العطاء الذي كان علي ، والسمسار يعلم انه اذا أخرجه من عنده أنه لا يأخذه أحد منه بذلك العطاء الا بأقل . فهل يجوز للسمسار ان يخرججه من عنده ويساعده في ذلك أم لا ؟ فقال لي : لا يخرججه من عنده لانه وجب عليه لان بيع المزايدة لازم لصاحب العطاء الآخر . فقلت له : فان أعلم السمسار بذلك صاحب التوب فقال له صاحب التوب أخرجه من عنده . فهل يبرأ السمسار في ذلك من الائم ولا يكون عليه في ذلك شيء . أم لا ؟ فقال لي : يبرأ من الائم فقلت له : فان أخرجه السمسار ولم يأمره بأمره بذلك صاحب التوب وكان ذاك قبل ان يبيع صاحبه أو بعد ماباع فانكسر في يده . وهل يلزم ذلك احطاط السمسار أم لا ؟ فقال لي : يلزمه الحطاط . فقلت له : فان قال صاحب التوب للتاجر اني لم أمره أن يخرججه من عنده . هل يلزم الشراء التاجر أم لا ؟ فقال لي : يلزمه الشراء . فقلت : فان ادعى التاجر ان صاحب التوب هو الذي أمره بإخراجه وانكر ذلك صاحب التوب والسمسار هل يجب اليمين على صاحب التوب أم على السمسار ؟ فقال يجب اليمين على صاحب التوب .

وسأنته عن هؤلاء التجار اذا كانوا يكسرون بعد ان يملأوا العطاء ويقف العطاء عليهم وصار شراؤهم كلهم على هذا الحال يكسرون التوب بعد ان بشر عليهم وقبل ان يقر عليهم . هل يجوز لهذا السمسار ان يبيع منهم وهم لا يرجعون عن ذلك وهو لا يستطيع ان يبيع منهم الا على هذه الحال ، فهل يسمه ان يبيع منهم ولا يكون في ذلك اثم أم ينبغي له ان يعلم أصحاب المناع بفعل هؤلاء التجار لينجوا من الائم ؟ على رب التوب ان يحاكم في أخذ ماله الا ان ينكر التاجر رب التوب ويقول لا أعرفك ،

فكون الخصومة حينئذ مع التاجر والسمار . فقلت له : فإن أعلم هذا السمار أصحاب المتاع يكسروهم وأنهم لا يصحون عطا إلا عند الوزن فتركوه يبيع لهم بعد علمهم بذلك ، هل يبرأ في ذلك من الاتم أم لا ؟ فقال لي : يبرأ من الاتم . فقلت له : فإن كان أصحاب المتاع يعلمون فعل هؤلاء التجار وأنهم يكسرون ولا يصحون عطاء يعطى له هل يسع لهذا السمار السكوت عن أن يعلمهم هذا ويكون في ذلك بمنزلة من أقره علمهم بذلك أم لا ؟ فقال لي : يسع السكوت إذا كانوا قد علموا بذلك وعرفوه .

وسأته عن التاجر بأنه بالتوب وفي يده عطاء معلوم فزيده على ذلك ثم يمضي عنه بالتوب فزيده غيره ، ثم يرجع السمار إلى هذا التاجر انذري كان عليه العطاء فيطلب يبعه ، فيقول له التاجر الذي كان عليه العطاء أولاً : أما إذا زادوا بعدي فأنا الآن بالخيار ، إن شئت تركته وإن شئت أخذته . فهل يكون له الخيار ولا يلزمه الشراء ؟ فقال لي : لا يلزمه الشراء إذا زاد غيره . وسأته عن السمار يقر التوب على التاجر بثمن معلوم ويشاور صاحبه فيأمره صاحبه بالبيع وصاحب التوب لسم يعرف التاجر الذي باع منه ولا يدري من هو ، فيمضي السمار ليقبض الثمن فيقول له تاجر آخر : التوب الذي كان في يدك علي فيه زيادة . فيقول له السمار : إن صاحبه قد باعه من غيرك . وكان هذا بعد الاستقصاء ، فيقول صاحب التوب : أتني بمت من رجل لا أدري من هو . فهل ترى هذا بيعاً ثابتاً قد وجب التوب للذي عنده ولا تقبل زيادة هذا ؟ فقال لي : يلزمه البيع للذي شاور عليه فباع منه به ولا يكون لمن زاد بعد ذلك في ثمن التوب من الشراء شيء .

فقلت له : رأيته أن أتى السمار بالتوب في يده وقال لصاحبه : هذا ثوبك اعطني فيه من الثمن كذا وكذا ، فقال له صاحبه : بع .

واقبض الثمن •

فقال تاجر آخر : علي فيه زيادة كذا وكذا • هل يكون الجواب في هذه مثل الجواب في التي قبلها أم لا ؟ فقال لي : الجواب في ذلك واحد ولا يبالي أتى به في يده أو تركه عند التاجر •

وسألته عن السمسار ينادي على الثوب فيبلغ ثمناً معلوماً فيشاور صاحبه والثوب في يده السمسار أو قد أقره فيقول له صاحب الثوب : اعمل برأيتك ، فقبضي السمسار ليقبض الثمن وقد نوى السمسار البيع من التاجر لأنه قد بذل الجهود واستقصى • فيقول له تاجر آخر علي في الثوب زيادة كذا وكذا • فهل ترى هذا بيعاً وقد وجب للذي نوى السمسار منه البيع ولا يقبل زيادة هذا أم لا ؟ فقال لي : يعمل برأيه في ذلك ويقبل الزيادة إن شاء الله ولا يلزم البيع بالنية •

وسألته عن السمسار ينادي على الثوب فيبلغ ثمناً معلوماً على رجل من التجار ثم يطلب السمسار الزيادة فلا يجد أحداً يزيد شيئاً فيقول له تاجر آخر : أنا اخذته منك بهذا الثمن الذي ذكرت أنك أعطيتني • ويطلب آخر بذلك الثمن أيضاً ، ويطلب منهم الزيادة فلا يجد أحداً يزيد من أحب إذا لم يجد زيادة • فقال لي : الأول أولى بالثوب وهو قول عيسى ابن دينار ، وأما ابن القاسم فإنه يقول : يبيع ممن أراد ويفضل به من أراد إذا كان العطاء أحداً ، فقلت له : يبيع أرأيت إذا بلغ الثوب ثمناً معلوماً على رجل من التجار وطلب بذلك الثمن واحداً من امتجار واثنا وثلاثة ولم يزيدوا شيئاً على ما بلغ من الثمن وأراد صاحب الثوب أن يبيعه ممن أحب ويفضل به من أراد • هل يجوز له ذلك أم لا ؟ فقال لي : الأول أولى بالثوب من أن يعطيه صاحبه لمن أحب في قول عيسى بن دينار وأما ابن القاسم يفضل به صاحبه من أراد •

وسألته عن السمسار إذا لم يجد في الثوب زيادة وخاف أن يباعه

من الذي عليه العطاء أولا أن يكسر أو يسيء معاملته في الوزن • هل ترى جائزا أن يبيعه من غيره بالعطاء الذي أعطى فيه إذا لم يجد فيه زيادة إذا كان يحسن معاملته وإن لم يكن العطاء عليه ؟ فقال لي : الأول أولى به ، فإن لم يتم الشراء فله أن يقدمه إلى القاضي إلا أن يكون قد علم بسوء معاملته ويعلم أنه لا يبيعه في ذلك ، فلا بأس أن يبيع ممن يوفيه ولا يكسر عليه •

وسأله عن السار يبيع الثوب بعد الاستقصاء وبذل المجهود من قبل أن يشاور صاحبه ، هل يجوز بيعه أم لا ؟ وهل يكون لصاحب الثوب أن يرد البيع أم لا ؟ فقال لي : وقد لا يجوز البيع إلا بأذن صاحبه إلا أن يكون صاحبه فوض إليه ذلك • وقال لي : وقد قال سحنون لا يجوز أن يصحح على سلمة ما يأخذ عليها جملا إلا أن يجعل له البيع • فقلت له : أرايت أن كان هذا الثوب الذي باعه السار وإنما أرسل إليه هــ السار فاستقصى له وشاور الذي أرسل معه بالتوب ثم زيد فيه بعد أن أمر بالبيع • هل تقبل الزيادة ويرد البيع أم البيع ماضى ثابت ولا تقبل فيه الزيادة ؟ فقال لي : إن كان أني أرسل الثوب إلى السار وأمره بالبيع فالبيع ماضى ولا تقبل زيادة •

وسأله عن التاجر يأتيه السمسار يطلب منه الثوب ليشتريه منه لمن يطلب شراءه ، فيعطيه التاجر الثوب ويقول له : هذا شراؤه عشرة دراهم ، فيريه السمسار المشتري فيهبوا ويقول له : أعطه فيه أربع دراهم • فيرضى البائع بالبيع ويدفع إليه جميع الثمن ويقبض المشتري بالتوب ويمضي به فبعد ذلك يقول التاجر للسمسار : أني غلطت في شراء الثوب وحسبت أن شراءه علي عشرة وإنما شراؤه عشرين درهما • فما الذي يجب في ذلك ؟ وكيف أن كان الثوب قد فات بوجه من وجوه القوت أو قال المشتري للتاجر : لم تخطئ ؟ وإنما هذا منك قدم في البيع ، وكيف أن

ذهب المشتري ولم يوجد ، هل يجب على السمسار شيء أم لا ؟ فقال لي :
لا يقبل قول التاجر إلا أن يأتي بينة ويكون التوب قائما فيقال للمشتري :
أما أن تقبله بهذا الثمن الذي شهدت به البينة أو فأرده . فإن لم توجد
بينة وقال التاجر لا يشبه أن يكون ثمنه ما قل البائع لم يقبل قوله ومضى
البيع وجاز . وإن قالوا إنما يشبه ثلاثة عشر درهما فهذا قريب مما قال
البائع ويكون القول قول البائع مع يمينه ، فإن كان التوب قائما قبل للمشتري
أما أن تأخذه بما قل البائع على الربح الذي ربحي به أولا وألا فأرده ، وإن
كان التوب قد فات فعلى المشتري قيمته يوم فوته ، وأما السمسار فلا
عهدة عليه ولا طلب . فقلت له : أرايت أن كان السمسار هو الذي غلط
في الشراء ولم يغلط التاجر ، وقد كان أجبره التاجر أن يشراء أربعة عشر
درهما وعلم ذلك بينة أو بإقرار من السمسار ولم يقبض منه الثمن حتى
فات التوب . هل يجب على السمسار شيء أم لا ؟ فقال لي : السمسار
ضامن عني .

وسأله عن السمسار إذا باع التوب من التاجر ثم اعترف أن التوب
سرقة وأنه صاحبه بينة تشهد أن التوب توبه ما يعلمونه باع ولا وهب ،
وحلف صاحبه واستحق التوب . هل يدفع التوب إلى هذا المستحق تلك
الساعة ؟ فقال لي : نعم يدفع إليه التوب ولا عهدة على السمسار . فقلت
له : أرايت أن كان البائع يعرفه السمسار ، هل يلزم السمسار أن يمضي
إليه فيعلمه بذلك أم لا ؟ أورايت أن كان البائع الذي قبض الثمن بئله
بعيد وكان السمسار يعرفه ، هل يلزمه المصير إليه أم لا ؟ أو رأيت أن
كان السمسار لا يعرفه وقال إنما جاءني رجل بتوب فبعته له وقبض الثمن
ولا تعرفه . هل يجب عليه شيء أم لا ؟ فقال لي : ليس عليه في هذا
كله شيء وهو كما قال السمسار إذا كان مروفا بالسمرة .

فقلت له : فإن كان التاجر والسمسار يعرفان جميعا البائع ، هل

يسقط عن السمسار العناية في ذلك ولا يكلف المضي اليه اذا كان التاجر يعرفه أم لا ؟ فقال لي : ليس عليه عناية ولا عهدة ولا طلب ، عرفه أو لم يعرفه . فقلت له : فهل يكون جميع ما يبيع من الحيوان والعروض اذا اعترف بشيء منه كثر ثمنه أو قل سبيله في ذلك سبيل ما فترت لي في مسألة الثوب اذا اعترف أم لا ؟ فقال لي هو كله واحد ، الا ان الحيوان اذا قضى به الحاكم و اراد المحكوم عليه ان يطلب من باع منه ان يضع قيمته ويأخذ الشخص يطلب به من باع منه .

وسأله عن السمسار اذا أعطى الثوب لينادي عليه فسمى له صاحبه ثمنًا ان يلفه باعه وان يلفه لم يبعه ، أو أعطاه الثوب ولم يسم له ثمنًا ، وكان هذا من باب الجعل فأخذ السمسار فنادى عليه ولم يذكر له صاحب الثوب ما يعطيه من الجعل ، ولم يذكر السمسار أيضا لصاحب الثوب ما يأخذ منه الجعل ، وكان هذا السمسار هكذا سته مع أصحاب المتاع يبيع لهم المتاع فلا يسمى لهم ما يأخذ منهم ولا يسمون له أيضا ما يعطونه ، فاذا باع وقبض الثمن اعطوه جملة . وهل ترى هذا جائزا وكان ذلك وبطليب أم لا ؟ يجوز حتى يسمى الجعل الذي يأخذ كم هو ، وهل له منعه في ترك التسمية اذا رضي أن يأخذ ما يعطونه أم لا ؟ فقال لي : ان سموا الجعل والاجازة فهو جائز وان لم يسموا وباع فله أجر مثله الا ان تكون لهم سنة قد جروا عليها في المجاعة وقد علم بذلك صاحب الثوب والسمسار فلا بأس به . وقال لي : اما الاجازة فلا تجوز الا بشيء معلومة واجل معلوم .

وسأله عن السمسار يعطي الثوب لينادي في يده ثمنًا معلومًا فيقره عنه التاجر الذي يطلب شراءه ليشاور صاحبه فيصيح الثوب عد التاجر . هل يلزم السمسار شيء أم لا ؟ فقال لي : اما السمسار فانسه معتد في ترك الثوب عند التاجر اذا تركه عنده بغير أمر رب الثوب ،

وقال : ولرب التوب ان يضمن أيهما شاء . وقال لي : وان أقره عند
التاجر بامر رب التوب فلا شيء على السمسار .

وسأله عن السمسار اذا قبض التوب لينادي عليه فضاغ منه قبل
ان ينادي عليه . هل يلزمه شيء . أم لا ؟ فقال لي : لا شيء عليه الا
ان يفرط فيضمن .

وسأله عن السمسار اذا باع التوب من التاجر فوجد به التاجر
عيوباً لم يكن رآها وقد قبض اليافع الثمن واخذ السمسار حقه فرجع
التوب الى اليافع ورجعت الدراهم الى المشتري فطلب صاحب التوب ان
يأخذ من السمسار ما عطاء من حقه ، وقال له : اذا لم يتم البيع ورجع
الي التوب ، فإن يرجع ما أعطيتك . هل يكون له ذلك أم لا ؟ أو رايت
ان كان السمسار لم يقبض منه حقه متى رجع التوب الى يافعه ، وطلب
السمسار حقه ، هل يجب له ذلك أم لا ؟ فقال لي : له أن يرجع عليه بما
اعطاه وليس للسمسار ان يطالبه فقلت له :

قول بعض اصحابنا : هذا اذا كان اليافع لم يدلس بالعيب ، واما اذا
دلس بالعيب فالجعل ثابت للسمسار . فأنكره من القول ولم يعجبه .

وسأله عن الرجل يعطي التوب السمسار ينادي في يده
ثمناً معلوماً فلا يبيعه صاحبه ويأخذه منه ويعطيه لغيره فيبعه بالثمن الذي
بلغ في يد السمسار الاول أو بأكثر منه أو أقل أو يبيعه صاحبه من غير أن
يعطيه السمسار الآخر بأكثر من الثمن الاول أو من غيره . هل يجب
للسمسار الاول في ذلك شيء . أم لا ؟ فقال لي : ان كان التوب قد وقف
على ثمن معلوم بيد هذا السمسار فأخذه رب التوب من السمسار وأبى
ان يبيع ومضى صاحب التوب الى من اراد ان يشتريه من السمسار فباعه
منه ، فهذا انما ابطال السمسار وقد وجب له حقه . وان كان اما
أخذه منه رجاء ان يلتصق الزيادة فيه فأعطاه الى غيره فباعه بأكثر أو

بأنقل أو بمثل الثمن فالجمل للآخر وليس للاول شيء .

وسأله عن السار اذا طلب ثوباً من التجار لمن يشتريه فضاغ
التوب قبل ان يشتريه المشتري . هل يلزم السار شيء أم لا ؟ فقال
لي : ان علم البائع انما يطلبه لغيره وعلم انه يبيع للناس ويشتري
فلا ضمان عليه . قلت له : فان أخذ التوب عنه . هل يلزم هذا المشتري
أم لا ؟ فقال لي : السار ضامن لتعديده بدفعه التوب الى المشتري بغير
امر صاحب التوب ، والمشتري أيضاً ضامن للتوب لانه لم يأخذه على
الامانة وانما اخذه على الاشراف ، فصاحب التوب بضمن ايها شاء . فقال
لي : ان كان صاحب التوب قد اعلمه السار ان المشتري يمضي به
فيستشير فيه فيضيق . هل عليه عزم أم لا ؟ فقال لي : غرمة عليه وضمانه
منه الا ان تقوم له بينة انه ضاع منه من غير تضيق ولا تفريط .

وسأله عن السار يجيئه من يطلب ليشترى فيقول له : اطلب
لي ثوباً كذا وكذا واقرني لي المتاع من الحوانيت ، ولا يسمى له ما يعطيه
من حقه ولا يسمى له ايضاً السار ما يأخذ . هل الجواب في هذه مثل
الجواب في المسألة الاولى في البيع أم لا ؟ فقال لي : الجواب سواء له أجبر
مثله : ارايت اذا اخذ السار من هذا المشتري حقه فيما قد اشتراه له .
هل يجوز له ان يأخذ من البائع شيئاً أم لا ؟ وكيف ان تطوع البائع بذلك
من غير أن يسأله السار شيئاً ، هل يجوز ذلك أم لا ؟ فقال لي : ان
تطوع به البائع فهو جائز وانما حقه من أمره ان يشتري له . فقلت له :
قال بعض اصحابنا ان اعطاه البائع شيئاً فهو للمشتري الا ان يجعله
المشتري من ذلك في حل . فقال لي : انما معناه اذا كان ذلك بشرط ،
فان لم يكن بشرط فلا بأس به ، واما ان كان بشرط فما أعطاه البائع من
شيء فهو للمشتري . فقلت له : فان اعلم السار المشتري بذلك فرضي
بذلك بعد ان أعطاه حقه أو قبل ان يعطيه ، هل يجوز ذلك أم لا ؟ وهل

يسمى المشتري ما يعطيه البائع أم لا ؟ فقال لي : هو وكيل المشتري وعليه
حقه ، فإن تطوع له البائع بشيء فهو جائز . فقلت له : قل بعض أصحابنا
معناه ان المشتري قد علم ما يأخذ السمسار من البائع ، فلما اذا لم يعلم
فالأذي يأخذ من البائع مردود على المشتري لانه حق من حقه . فقال لي :
انما ذلك اذا كان بشرط . وقال لي : انما هو بمنزلة الجاهل الذي
اشترطه ولي المرأة في عقدة النكاح فهو للمرأة ، وان كان بعد عقد النكاح
فهو الولي ، فرأيت ابا العباس ينهب الى انه كان بفير شرط فهو حلال
للسمسار الحكم به المشتري او لم يعلمه لانه شيء تطوع به البائع .

وسأله عن السمسار ينادي على الثوب وليستقي به ويدل فيه
المجهود فلا يجد فيه زيادة فيريد ان يشتريه لنفسه . هل ترى ذلك
جائزاً اذا كان علم وجه الصحة أم لا ؟ فقال لي : لا ينبغي ان يشتريه الا
ان يعلم بذلك بانه انه يأخذه لنفسه .

وسأله عن السمسار يكون له الثوب فيريد يمه . هل يبيعه ويتولى
هنا عليه كما يبيع ثوب غيره أم لا ؟ فقال لي ان كان الرجل صاحب
الثوب صحيحاً وكان يعلم ان الذي يعطيه لا يخشى عليه فلا بأس ان ينادي
عليه وهو بمنزلة الرجل يأتي بسلعته الى البيع فيقال له : أعطيت لسلعتك
هذه ؟ فيقول : كذا وكذا ، أيبني له ان يخبرهم بذلك انه له لانه لو
استحق بطالب له أعلم بانه .

وسأله عن السمسار يطلب المتاع من عند التجار ليصرفه على
المشتري الذي أمره بالطلب فأخذ السمسار من هذا التاجر ثوباً ومن هذا
التاجر ثوباً ، فيجمع اتواًباً كثيرة فيريها المشتري ليختار منها ما اراد فيهبى
المشتري منها ثوباً أو لا يهبى منها شيئاً ، فيرد السمسار المتاع على أصحاب
الحواميت الذي عرضوا عليه ، فيقول رجل منهم : هذا الثوب الذي رددته
علي ليس هو ثوبي ، ولا هذا الذي عرضت عليك ، ويقول السمسار :

بل هو توبك • القول قول من ؟ فقال لي : في ذلك القول قول السمسار
 مع يمينه لأن البائع هاهنا مدع يطلب أن يضمن السمسار فلا يقبل قوله
 إلا بيينة تكون عند البائع ، وإن حلف السمسار أنه توبه لم يكن عليه
 شيء . فقلت له : فإذا قال السمسار ما أدري أهذا توبك أم لا ؟ وقد اختلط
 مع غيره في وقت قلبه المشتري فرجع السمسار إلى أصحاب الحوانيت
 الذين رد عليهم فيقولون هذا الذي رددت علينا هو متاعنا وما لأحد عندنا
 شيء ، فيتعلق التاجر الذي أنكر التوب بالسمسار فيقول له : أغرم لسي
 قيمة ذلك التوب هذا فاعمل أنت ما تشئت • فما الذي يجب في ذلك وهل
 يجب على السمسار شيء أم لا ؟ فقال لي : نعم يضمن السمسار قيمة ذلك
 التوب الذي ذكر البائع بعد يمين البائع بأنه إن ما هذا توبه الذي عرض
 عليه وإنما ضمن السمسار لسطه وغلظه اذ لم يحتفظ في ذلك بفظه على
 نفسه • فقلت له : فإن قال التاجر : ليس هذا التوب الذي رددت علي
 توبي وإنما توبي الذي أخذته المشتري ، وكان المشتري قد أخذ من تلك
 الثياب توباً • وفل رجل آخر من التجار : التوب الذي بيد المشتري هو
 توبي وليس هذا لي • فتداعيا جميعا في التوب بيد المشتري وأنكروا جميعا
 هذا التوب الذي بقى • فما الحكم في ذلك ؟ وكيف إن كان السمسار لا
 يعرف هذا التوب الذي بيد المشتري لمن هو فهما ، أو شهد السمسار أنه
 لواحد منهما • هل يجوز شهادته في ذلك إن كان عدلاً أم لا ؟ وكيف
 الحكم في ذلك كله • فقال لي : أما السمسار فلا تجوز شهادته هنا إن
 كان شهد أن التوب لأحدهما ، ويقسم هذا التوب الذي بيد المشتري
 بينهما جميعاً إيمانها ثم ينظر التوب الذي بقى فيضمن السمسار قيمته
 لهما جميعاً يفتسمانه بعد إيمانها ويكون التوب للسمسار ، وإنما ضمنا
 السمسار لفظه • ومعنى قوله بعد إيمانها في التوب الباقي أن يحلفا ما هو
 لهما على معنى قوله الأول أن يحلف باقة ما هذا توبه •

وسأله عن السمسار يطلب الثوب من البائع فيعرضه عليه ويعلمه
بشئنه ثم يرده إليه فيزعم البائع أنه لم يرجع إليه ، ويقول السمسار قد
رددته إليك ، فيقول : ما رددت الي شيئا . هل يلزم السمسار الغرم أم
لا ؟ فقال لي : لا شيء على السمسار ولا يلزمه غرم ، ذلك لأن السمسار
أمين البائع أولا ، وتري لو أنه قبضه ثم خاع منه من غير تفريط لم يلزمه
وهذا إذا علم البائع أن السمسار إنما يطلبه لغيره فقد صار أمينا له ، وإن
كان السمسار إنما يشتريه لنفسه فلا يقبل قوله أنه ردده اليك وتلزمه
قيمته يوم أخذه .

وسأله عن التاجر يأتيه الرجل يشتري منه فيعرض عليه ثوبين
وثلاثة ليختار منها ما أراد فيختار منها ثوبا فيساومه عليه فيبيعه منه . فيصد
المشتري الى ثوب منها فيقطعه فيقول البائع : هذا الثوب الذي قطعت أيها
المشتري ، ليس هذا الثوب الذي بعت منك وإنما بعت منك غيره وقد
تعديت على ثوبي هذا وأفسدته علي فأغرم لي النسيئة . وقال المشتري :
بل هذا الذي قطعت هو الذي اشتريت منك فما تعديت لك بشيء ولا
بينه بينهما .

وهل تجوز شهادة السمسار في ذلك أن شهد لاحدهما ؟ وما الحكم
في ذلك ؟ فقال لي : قول المشتري مع يمينه ولا يلتفت الى قول البائع
الا أن تكون له بينة على من يدعيه ، وأما السمسار فلا تجوز شهادته عندي
في هذا .

وسأله عن السمسار يشتركون في البيع ، يبيع هذا وحده متاعا على
حده ويبيع هذا الآخر أيضا متاعا آخر على حدة يسعون ما أصابوا . هل
تري هذا جائزا أم لا ؟ فقال لي : هذا جائز .

وسأله عن السمسار يعطي السلعة لبيها فان باعها فله درهم
واذا لم يبعها فله نصف درهم . هل تري ذلك جائزا أم لا ؟ فقال لي :

ذلك جائز اذا ضرب أجلا • واخبرني أبو العباس أنه كتب إليه بهذه
السؤال من القروان يسأله عن المتادي يطوف يقول بعت ثوباً من هنا
فإنكر المشتري ولا بينة للطواف • فقال أبو العباس : يضمن إلا أن يقيم
بينه • فقلت له : قال بعض أصحابنا : الذي يتبين لي أن الطوافين قد
تعارف الناس أنهم يبيعون ولا يشهدون وإن أرباب الشارع كأنهم أدنوا لهم
في أن لا يشهدوا وشرطوا ذلك لهم ، والتعارف كالتشترط في مذهبا في
غير شيء من الأكرية فهو كفولهم والأمر يقول للموكيل ادفع فلان ولا
تشهد فلا شيء عليه • فأنكر أبو العباس هذا القول ولم يعبه ، وقال :
هو منا من إلا أن يقيم بينه • وكأنني رايت أبا العباس إنما ضمنه لأنه رأى
من معنى التقرير إذا باع منه ولم يشهد عليه وكأنه غرر بمال الرجل أن
لم يشهد •

وسمعت أبا العباس يقول في الرجل يدفع ثوبه إلى المتادي فيسدي
عليه ثم يده له في البيع فيرده ثم يطلب بعد ذلك بعه فيعطيه شاة أخسر
فيبعه بمثل عطاه الأول أنه لم يرد بذلك أحرام المتادي الأول فالحق لمن
باع ، ولو باع المتادي أو رب الثوب ثوبه بزيادة مثل درهم فلاحق للمتادي
الأول لأنه زوج سوقه وبالله التوفيق لا رب غيره ولا معبود سواه وصلى
الله على محمد وآله وسلم كمل والحمد لله على كل حال والصلاة والسلام
على نبينا محمد وعلى آله وسلم

من كتاب المسائل والاجوبة لعبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي المتوفي سنة ٥٢١ للهجرة

ابن السيد البطليوسي^(١)

هو عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي الأندلسي . كان عالما بالأدب متبحرا باللغة . سكن مدينة بلنسية من مدن الأندلس . وكان الناس يجتمعون إليه ، وبقروون عليه ، ويقبسون منه . وكان حسن التعليم ثقة . ألف التصانيف العديدة . وتوفي في مدينة بلنسية سنة ٥٢١ للهجرة .

(١) كتاب المثلث (وهو كتاب ضخمة أتى فيه بالعجيب فقد زاد كثيرا على ما جاء به قطرب النحوي) .

(٢) الانقصاب في شرح أدب الكتاب (وهو شرح أدب الكتاب لابن الدينوري . ذكر فيه : ان غرضه تفسير الخطبة ، وذكر اصناف الكنية ومراتبهم وما يحتاجون إليه في صاعاتهم ، تم الكلام على تكمته والنتيجة على غلظه ، وقد طبع في بيروت سنة ١٩٠١م بعناية عبدالله البستاني) .

(٣) الانصاف في التبيين على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم (وهو مطبوع في مصر سنة ١٣١٩هـ) .

(٤) شرح سقط الزند لأبي العلاء المعري .

(١) انظر : بغية الملتقى ٣٢٤ ، الصلة ٢٨٧ ، قلانة العقيان ١٩٢
٢٨٢/٢ (القاهرة ١٩٤٨) .

(٥) كتاب في الحروف الخمسة وهي السين والصاد والظاء والطاء والدال .

(٦) كتاب التحلل في شرح أبيات . الجمل .

(٧) كتاب شرح انوطا .

وقال ابن خلكان : . وسعت ان له شرحا لميوان اثنيني ولم أراه .
وذكر انزركلي في الاعلام ان له . كتاب التحلل في اغايط الجمل .
وعلى الظن انه الكتاب الالف الذكر . كما ذكر ان له . كتاب الحدائق في اصول الدين .

(٨) كتاب المسائل والاجوبة .

وهو الكتاب الذي نضى بشر محذرات منه في هذا المجموع .
والكتاب يتناول على مسائل كان ابن السيد قد سأل عنها فكتب اجوبته
والف من مجموع الاجوبة كتابا ضخما يتناول ما ينبغي على مائة مسألة .
ومادة الكتاب تتضمن مسائل في النحو واللفظ والادب والتفسير
والاسول . والمخطوط من مخطوطات العلامة التحليل السيد حسن حسي
الصادحي من علماء تونس الاعلام . وقد اطلعت على المخطوط وافدت
منه فوائد ، واخترت منه مسائل أنيتها في هذا المجموع فأنسرها واعلق
عليها بما يصل اليه جهدي .

والمخطوطة بخط نوسي جيد حديثة الخط اذ أن تاريخ نسخها
سنة ١٢٩٩ للهجرة وهي بخط محمد الطيب بن ابراهيم الرياحي
التونسي .

ولهذه المخطوطة نسختان اخريان الاولى نسخة الاسكوريال ورقمها
١٥١٨ والثانية نسخة القرويين في فاس كما أفاد بروكلمان . ولما كنت
قد اخترت من هذا الكتاب الضخم مسائل يسيرة ، ولما كانت نسختي

التوضيحية جيدة واضحة ، فلم أرى في حاجة كبيرة للتوفر على إحدى النسختين الآخرين .

بسم الله الرحمن الرحيم

وحلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم تسليماً .

قال الشيخ الإمام المحقق رئيس أولى الآليات والشارح لسيويه ذلك الكتاب ، علامة الأندلس عبد الله^(١) بن محمد بن السيد البليوسي رحمه الله تعالى ونفعنا به وبآثاره آمين .

الحمد لله الذي أمرنا بمكارم الأخلاق . لما أصبح علينا النعم من غير استحقاق . فقال : اصبحوا من من جهل عليكم ، وأحسنوا لمن أساء إليكم ، واعفوا عن ظلمكم ، واعطوا من حرمكم ، وهو أولى بالعفو عن المظالم ، والآخر بكم ، إذ كان من صفاته الكرم ، ومن صفاته التقصص ، ومنه الأسماء . ومنه الاحسان فاعتمد فيها ما به أمر ، وتمم علينا من منه ما به بدأ . وعلى المهم على أنيائك الذين أخلصتهم بخالصة ذكرى الدار ، وجعلتهم من النسطفين الأخيار ، ورفعت منازلهم في عليين ، وأبقيت لهم لسان صدق في الآخرين ، وعلى ملائكتك المقربين ، الذين فضلتم على العالمين .

قال الشيخ الأستاذ - رضي الله عنه - غرضي من هذا الكتاب ذكر مسائل طوالت بالجواب عنها . بعضها استفهام واسترشاد ، وبعضها امتحان وعناد ، فاجبت عنه بما أحاط به علمي ، واقتدح له فهمي ، ولم أقصر فيها على الهداية دون الدراية ، ولا على ما تضمنته الدفاتر دون ما سمحت به الخواطر ، إذ كان من تقدم العلماء ربما أشاروا إلى المعاني من غير

(١) في المخطوطة : أبو عبد الله

استيفاء ، وإذا كان المخالف قد يهتدي الى مالم يهتد اليه السالف كما قال
ابو تمام الطائي :

يقول من 'تفرع' أسامعه كم ترك الأول للآخر

وسميت كتاب المائل والاجوبة ليكون معروفا بهذه السمة . وهذا
التأليف ممرض للزيادة فيه اذ كان السؤال يوجب ذلك وينتضيه ولانعام
له ولا انقضاء حتى يشارف العمر الانتهاء . وانا استغفر الله واستوحيه
جميل العفو .

- القول في اشتقاق اسم الله تعالى وذكر الخلاف فيه والصحيح
عندنا -

اختلف المفسر قالوا ان اسم الله تعالى مشتق ، وجملة خلافهم اربعة
اقوال : قال قوم هو مشتق من أليه الرجل ياله اذا تحير ، واخرجوا
بقوله الاخطل :^(٢)

ونحن قسمنا الارض نصفين نصفها لنا ونسرامي أن تكون لنا معا
بشرين ألفا تأله العين وسطها متى ترها عين^(٣) الكرامة ندما^(٤)
ومن ذلك قيل للقبر الذي يحار فيه ماله^(٥) ، لأنه يوله ماله
أي يحيرره قال رؤبة :

بسه تمطت غول كل ماله يا حراجيج المني النقة^(٦)

قالوا : فسمى الباري تعالى بذلك لأن القلوب تحار في عظمته فلا

(٢) انظر مادة (اله) في « اللسان » .

(٣) هذا هو الصحيح ، أما في النسخة الخطية : عين

(٤) هكذا روي البيت . أما رواية الديوان :

بشعين ألفا تأله العين وسطه متى تره عين الطرامة ندما

(٥) لم ترد هذه الكلمة في معجمات اللغة

(٦) هكذا روي البيت ، أما رواية « اللسان » :

به تمطت غول كل ميسله يا حراجيج المنى النقة

تستطيع ان تجده ولا تصفه الا بما وصف به نفسه - جل وعلا - ان
تحيط به الاقطار ، وتجدد الافكار .

وقال آخرون : هو مشتق من أنهت الى الرجل اذا فرغت اليه ،
وكذلك روى عن ابن عباس انه قال : « هو الذي يأله اليه كل شيء »
ومستعانه ، لا رب غير ، وهذا القول لم نجد عليه شاهدا من اللغة ، وهو
مروي عن ابن عباس كما نرى .

وقال آخرون : هو مشتق من فوئهم آله الله العبد بألهه بمعنى عبده
يعبده عبادة وتآله الرجل اذا تمجد وقال رؤبة :

قوله درت المنايات المدمر ^(٧) سجن ^(٨) واسترجعن من قاهلي
قالوا : ولهذا سماوا الشمس ^(٩) الالهة والالاهة ^(١٠) لمبادنهم اياها قال
الشاعر ^(١١) :

تروحتا من المعباء ^(١٢) فاعجبتنا الالهة ان نؤوبا

وقال آخرون : هو مشتق من الوله ، وهو اشد ما يكون من الشوق
والحزن ، سمي بذلك لان القلوب تأله اليه أي تنشق الى معرفته ، وتلهج
بذكره ، واحتجوا بقوله تعالى : « والذين آمنوا أشد حبا لله » ^(١٣) .

ويقول النابغة الجعدي :

[وأراني طرِباً في انهم] طرب الواله أو كالمخبل

وأشد أبو حاتم الرازي للكعب :

وكيهت نفسي الطروب إليهم وكلها حال دون طعم الطعام

وذهب هو الى أن أصل « آله » وله ، أبدلت الواو همزة .

(٧) هذا هو الصحيح ، أما في النسخة الخطية : سجنان

(٨) هذا هو الوجه ، أما في النسخة الخطية : السماء

(٩) قال تعلب : والالاهة بكسر الهمزة وفتحها وضمتها كلها الشمس

(١٠) هي مية بنت أم عتبة بن الحارث .

لأنكارها في أول الكلمة^(١٤) . كما أبدوها في : وشاح ، ونحوه فهذه جملة ما قاله الناس في اشتقاق اسم الله تعالى .

والصحيح عندنا في هذه الأقوال القولان الأولان .
 أما القولان الآخران فلا يصحان مع النظر . أما قول من قال :
 إنه مشتق من « آله يآله » إذا عبيد ، فقد يجوز لقائل
 أن يعكس هذا القول فيقول : إن قولهم « آله يآله » هو المشتق من الآله ،
 كما إن قولهم : نأله الرجل إذا تحير وتعظم إنما مناه تشبه بالآله .
 وكذلك قولهم : « خوفك الرجل » إذا قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله
 العلي العظيم » و « بسم » إذا قال : « بسم الله » و « حبل » إذا قال :
 « حي على الصلاة » أو « حي على الرجل » ونحوه قال الشاعر :

أقول لها ودمع العين جار ألم تحزنك حيله المتادي^(١٤)

وأما قول من زعم أنه مشتق من الوله ، وإن أسبل ، اله ، له ، فعله ، فغلط بئس . وقد ورد أبو علي الفارسي في بعض كلامه ، وقال : لو كان أسبل اله ، ، ولاه ، ، وجب إذا أخذ الفعل منه أن يقول : توله ، كما أن من بقوله في : وشاح ، ، أشاح ، ، فيهر الواو إذا سرف منه الفعل قال : نوشح ، فيرد الواو إلى أصلها لذهب النقلة التي أوجبت حمزها وهي الكسرة ، وكذلك كان يلزمه إذا جمع : اله ، أن يقول : أوله ، كما أن من يقول : أشاح ، إذا جمع قال : أوشحه ، فلما وجدناهم يقولون : ، تأنه الرجل ، و : الاله ، فيقرون الهمزة على حالها علمنا أنها أصل لا بدل من واو . فإن قال : فتد وجدناهم يقولون : لاه ، بمعنى اله قال الأعشى :

(١١) هكذا رويث في المصنفان ، اما في المحكم : قسرا .

(١٤) سورة البقرة الآية ١٦٥ -

(١٣) انظر كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي ص ٢٠.

(١٤) عذابا هو المسحوق ، وفي الخطوطة : [ألم تجزئك حيلة الثنايا] .

كَمُحَلِّفَةٍ مِنْ أَبِي دَرِيَّاحٍ يَسْمَعُهَا لَهُمْ الْكِبَارُ (١٥)

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مَسْمُوعًا فَمَا تَكَرَّرَ أَنْ يَكُونَ أَصْلُ « لَام » « لَوْهَا »
مَقْلُوبًا مِنْ « وَلَهُ » وَلَهُ تَحْرُكَتِ الْوَاوُ وَانْفَتْحَ مَا قَبْلَهَا فَانْقَلَبَتْ أَلِفًا ، فَصَحَّ
بِذَلِكَ أَنَّهُ مَوْجُودٌ مِنَ الْوَلَهُ ، وَلِزِمَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ « نَأْلَهُ » وَ « أَلَهُ » مِنْ
الْبَدَلِ الَّذِي يُلْزِمُونَهُ مَعَ ذَهَابِ الْعِلَّةِ الْإِتْجَابِيَّةِ لَهُ مِنْ قَوْلِهِمْ « أَعْيَادُ » فِي جَمْعِ
« عِيدٍ » وَ « أَرِيَّاحٍ » فِي جَمْعِ « رِيحٍ » وَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ : أَنَّ الْأَلِفَ
فِي « لَام » قَدْ صَحَّ عِنْدَنَا أَنَّهَا مَقْلُوبَةٌ عَنْ يَاءٍ لَا عَنْ وَاوٍ بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ :
« لَهِيَ أَبُوكَ » يَرِيدُونَ « لَامَ أَبُوكَ » فَقَلَّبُوا الْعَيْنَ إِلَى مَكَانِ اللَّامِ فَظَهَرَتْ
الْعَيْنُ يَاءً ، وَلَوْ كَانَتْ وَاوًا لَوَجِبَ أَنْ يَقُولُوا إِذَا قَلَّبُوهُ « نَهَرُ أَبُوكَ » وَدَلَّ
عَلَى ذَلِكَ أَنَّ « لَاهَا » لَا يَصَحُّ أَنْ يَكُونَ مَقْلُوبًا عَنْ « وَلَهُ » لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ
مَقْلُوبًا عَنْهُ لَمْ يَقْلِبْ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ وَاسْتِدْلَالُهُ
وَقَدْ حَكَى بَعْضُ الْمُفَوِّينَ « لَامَ يَلُوهُ » إِذَا « عِيدٌ » وَلَيْسَ يَنْبَغُ « وَالَّذِي
ذَلِكَ أَبُو عَلِيٍّ أَيْتٌ وَأَصَحُّ ، فَتَبَيَّنَ هُنَا كُلُّهُ أَنَّ قَوْلَ مَنْ جَعَلَهُ مُتَشَبِّهًا مِنْ
أَنْوَالِهِ لَا يَصَحُّ »

— ذَكَرَ الْخَوَاصَّ الَّتِي خُصَّ بِهَا اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا لَيْسَ مَوْجُودًا فِي « آثَرِ
أَسْمَائِهِ وَلَا غَيْرِهَا —

اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْاسْمَ الْعَظِيمَ قَدْ خُصَّ بِشَأْنِي خَوَاصٍّ لَا تَوْجِدُ فِي
غَيْرِهِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا فِي غَيْرِهَا ، فَكُنْ ذَلِكَ أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ كُلَّهَا
مُفَاتٌ ، وَقَوْلُنَا « اللَّهُ » اسْمٌ مَخْصُوصٌ بِهِ غَيْرُ مَفْعَةٍ »

وَمِنْهَا أَنَّ جَمِيعَ أَسْمَائِهِ تَنْسِبُ إِلَى هَذَا الْاسْمِ ، وَلَا يَنْسَبُ هُوَ إِلَى
شَيْءٍ مِنْهَا ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَهُوَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى » (١٦) فَتَنْسَبُ جَمِيعُ
أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِغَيْرِهَا تَبَيُّهُ عَلَى جَلَالَتِهِ »

(١٥) هَكَذَا رَوَى فِي الدِّيْوَانِ ، أَمَّا فِي الْمُحْكَمِ فَقَدْ رُوِيَ : كَمُحَلِّفَةٍ « مِنْ أَبِي
رِيَّاحٍ » وَ « رِيَّاحٍ » مَكْسُورَةُ الرَّاءِ بَعْدَهَا يَاءٌ مُشْتَبِهَةٌ تَحْتِيهِ .
(١٦) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ، آيَةُ ١٨٠

ومنها أن جميع أسمائه تعالى قد تسمى بها المخلوقون ، ولم يسم
أحد بالله ، ولذلك قال : « هل تعلم له سبأ »^(١٧) أي : هل تعلم شيئا
يسمى « الله » غيره . وقد توهم قوم أن « الرحمن » لم يسم به أحد
غير الله تعالى وأجروه منجرى « الله » تعالى في أنه مخصوص به . وذلك
غير صحيح من وجوه :

منها أنه دوي عن عطاء الخراساني أنه قال في « بسم الله الرحمن
الرحيم » : كان « الرحمن » من اسم الله تعالى فلما تسمى به المخلوقون
زيد عليه « الرحيم » ليكون له دون غيره . وهذا فصل بين علي أن
« الرحمن » قد تسمى به .

ومنها أن مسيلمة الكذاب - له الله - قد تسمى بالرحمن .

ومنها أن أهل اللغة قد أشدوا :

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أي . وأنت غيث الوري لأزلت رحمانا^(١٨)
رغم نطق ابن ارحس أصله بغيرانية^(١٩) ، وأشد تجرير :
لن تدركوا المجد أو تشربوا عباكم بالخمر أو تجعلوا النور ضمرا^(٢٠)

(١٧) سورة مريم ، الآية ٦٥

(١٨) هكذا رواه الترمذ مشري في الكشف ٧/١ (القاهرة مطبعة الاستقامة)
أبو حاتم الرازي في الزينة ١٩/٢ :

فأنت غيث الوري لا ريب رحمان

وهو لرحل من بني حنيفة يمدح مسيلمة الكذاب

(١٩) القول بغيرانية [الرحمن] غير صحيح ، والصحيح أن هذه الكلمة
من الأصول السامية فهي موجودة في اللغات السامية عامة . ولكن
اللغويين العرب يعزونها للعبانية أو للشرانية أو للمعشبية كل ما لم
يستطيعوا أن يردوه إلى أصله ، جهلا باللغات السامية غير العربية .

(٢٠) هكذا دوي البيت في المخطوطة . أما في النسخ :

لن تدركوا المجد أو تشربوا عباكم بالخمر أو تجعلوا النبيوت ضمرا

أو تتركون إلى القسطين هجرتكم ومسحكم من قبلهم رحمان قريبان (٢١)
ومن خواص هذا الاسم العظيم قد حذفوا ياء من أوله وزادوا ميماً
مشددة فقالوا : اللهم وذلك غير موجود في شيء من أسماء الله تعالى سواء ،
ولا في غيرها . ومن خواصه أنهم قلوا : يا الله ، فقطعوا همزته ولم يفعل
بغيره وجمعوا بين الياء التي للنداء والألف واللام ولم يفعلوا ذلك إلا في
ضرورة الشعر كقوله :

من أجلك يا التي تيمت قلبي وأنت بخيلة بالود عني (٢٢)
وقال آخر :

فيا الفلأمان الملسان فراء إياكما أن تكسبانا شرأ (٢٣)
وأشد الفراء :

مبارك هو ومن سمى على اسمك اللهم يا الله (٢٤)
ومن ذلك اختصاصهم إياه في القسم بحالة لا تكون بغيره ، ومن

(٢١) هكذا في اللسان أما في النسخة الخطية :
أو تتركوا إلى القسيس هجرتكم ومسحكم من قبلهم رحمان قريبان
وفي مادة (رخم) في [اللسان] جاء البيت كما يأتي :
أما رواية الديوان : ومسحكم من قبلهم رحمان قريبان

هل تتركين إلى القسطين هجرتكم ومسحهم من قبلهم رحمان قريبان
لن تتركوا المجد أو تتركوا عبادكم بالخز أو تجعلوا القنوم ضميرانا
(٢٢) حمل البيت على الشذوذ اعصر شرح الكافية لرضي الدين الأسنري بادي
١٤٥/١

ورواية البيت : من أجلك يا التي تيمت قلبي وأنت بخيلة بالوصل عني
(٢٣) ورواية البيت في شرح الكافية : . . . إياكما أن تبغيا لي شرأ
(٢٤) قول النحاة في « الميم » في « اللهم » أنها عوص من حرف النداء
المحذوف من الأول غير قوي ذلك أن هذا التعويض لم يرد إلا في هذه
الكلمة . فهل لنا أن نفرض فنقول : أن الميم فيها هي كالميم في
الكلمة العبرانية « انهيم » ونعني الله . والكلمة العربية بقايا لكلمات
ذات أصول بعيدة ورثت الميم في نهاياتها من أصولها اللغوية القديمة
نحو « ابنم » و « قم » ونحو ذلك .

أسمائه ولا غيرها • وذلك ادخالهم النار عليه في قولهم : • تالله لأفعلن • ،
وقولهم : • أيمن الله لأفعلن • ،

مسألة رابعة :-

سألت - حبب الله إليك التزيل ، وفهمك التأويل - عن قول
تعالى : • انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون • (٢٤٥)
ولما كان معنى كل كلام مرتبطا بعرابه ، واعرابه مرتبطا بمعناه ، لم يكن
بد من ذكر الاعراب مع المعنى فأقول وبالله أستعين : ان الظاهر من قوله
تعالى : • وما تعبدون • أن تكون • ما • في موضع نصب مطبوعة على الضمير
المنصوب ب • ان • كأنه قال : • انكم والأشياء التي تعبدونها من دون الله
حصب جهنم • فتنطفي هذا الكلام وارد ، ومحصول معناه : • ان كل من
عبد شيئا من دون الله في النار هو ومعبوده معه على ما يليه بعد هذا ان
شاء الله تعالى •

وقد قال قوم : ان • ما • في موضع خفض على القسم • وهو رأي
الصوفية أكثرهم ، والتقدير عندهم • انكم حصب جهنم وحق معبوداتكم
التي تعبدون من دون الله • فمحصول معناه على رأيهم • ان العابدین في
النار دون ما يعبدون • وانما فروا الى هذا القول لأنه ليس شيء عبد من
دون الله في النار ، اذا كان كثير من أهل الضلال قد عبدوا عيسى والملائكة
وأم عيسى وغيرهما من البشر ولا ذنب للمعبود في عبادة من عبد • لأن
المعبود ان كان صنما ونحوه مما لا يعقل • فما وجه الحكمة في عذابه وهو
لا يحسن ولا يتألم ولا يختار ذلك ولا يريد • وان كان المعبود عاقلا مميزا
ولم يختار ذلك ولم يرضه • فكيف يذنب فعل غيره • وقد قال الله تعالى :
• ولا تزر وازرة وزر اخرى • (٢٦٦)

(٢٥) سورة الانبياء . الآية ٩٨

(٢٦) سورة فاطر ، الآية ١٨

فراى هؤلاء القوم لأجل هذا الذي قلنا ، أن ، ما ، في موضع خفض على القسم ، وعلى نحو من هذا المذهب قرأ بعضهم ، انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ، فجعلوا ، ما ، في موضع خفض على القسم ، وخفضوا الحصب على البدل من ، ما ، ونصبوا ، جهنم ، بفعل مضارع نظيره الجملة التي بعده كأنه قال : ، تردون جهنم أنتم لها واردون ، ، وهذا مثل ما حكاه سيويه من قولهم : ، أريد أنت ضاربه ، تريد ، أنضرب ريذا أنت ضاربه ، وهذا القول خطأ ليس ، لا خفاء به على مثل صحيح التأمل ، والآية نفسها تنقض ما قالوه ولكن يجب عليك أن تولي قولهم ما يستحقه من الكلام ونذكر احتجاجهم كما زعموه ثم نبين بعد ذلك أن الصواب غيره ، فقول حاكين لما يحتجون به : ، أن قال قائل : كيف أقسم تعالى بأسمائهم التي كانوا يعبدونها ، وفي القسم به توبيه بأمرها وتظيم تقديرها ، فمن هذا جوابان للمصوفة : أحدهما : أن يكون تقدير الكلام ، انكم وحق ما تعبدونه من دون الله عندهم أو في اعتقادكم ، فيكون ذلك على وجه الحكاية كما كانوا يعتقدونه فيها كما قال تبارك وتعالى : ، انك أنت العزيز الكريم ،^(٢٧) وإنما هو في الحقيقة الدليل المهران ، ولكن خرج الكلام مخرج الحكاية كما كان يعتقد في نفسه ويعتقد فيه من كان بعده ، ونحوه قوله في موضع آخر : ، أين شركائي الذين كنتم تزعمون ،^(٢٨) فأضاف الشركاء إلى نفسه ، وليس له تعالى شريك ، ويروي أن شاعرا من شعراء اليمن هجا جريرا فقال في هجوم :
أبغ كيا وأبلغ عنك شاعرها اني الأعز وأني زهرة اليمن
فقال جرير :

(٢٧) سورة المدثر ، الآية ٤٩

(٢٨) سورة القصص ، الآية ٦٢

ألم يكن في رسوم قد وسمت بها

من حان (٢٩) موعظة (٣٠) يا زهرة اليمن (٣١)

فصاح « زهرة اليمن » حكاية لكلامه « واعتقاده في نفسه » فهذا أحد
الجبائين عند الصوفية . والحوار الثاني على رأيهم : أن يكون الله تعالى أقسم
بأنهم على جهة العز بها والاستخفاف بقدرها ، كما قال دريد بن الصمة
يهجو بني شهاب (٣٢) :

لعمري (٣٣) بني شهاب ما أوموا صدور الخيل والأسل النبا (٣٤)
ونكسي كبريت بفضل قومي فحزرت مكارماً وحسوت بأعسا
فأقسم بأعمارهم هازناً بهم وهو قد وضعهم وأنهم لم يبلوا ولا دافعوا
فهنا ما تلحج به الصوفية لتولها : قد وفينا لهم ، وأملنا قد زدنا فيه ما لم
يعربوا به عن أنفسهم وينبغي أن تعلم أن الحق غدير ما قالوه . والقول
الصحيح الذي يقتضيه مذهب أشعرياً أهل السنة هو الصحيح . وهو :

- (٢٩) هذا هو الصحيح . أما في المخطوطة : مدغضة .
(٣٠) هذا هو الصحيح . أما في المخطوطة : جاز .
(٣١) لم يرد البيت في الديوان على هذا الوجه بل ورد على الوجه الآتي :
ألم يكن في رسوم قد وسمت بها من حان موعظة يا حارث اليمن
وقد هجا جرير زهرة الغساني ص ٥٦٦ في قصيدة مطلعها :
عرفت منازل بلوى الغساني وقد ذكرت عهدك بالغواني
(٣٢) هو دريد بن الصمة سيد بني جضم . أدرك الإسلام وتم يسلم وقيل
على شركه يوم حنين .
انظر : الأعيان ١٩٠٢/٩ . المؤلف ١١٤ . الخزائن ٤٤٧-٤٤٢ .
شرح الحاشية لمرزوقي ٨١٢ - ٨٢٧
(٣٣) هكذا في الصحاح للخبزرجي واللسان . أما في المخطوطة : أحمد .
(٣٤) نسب البيت في : اللسان . إلى القطامي ، وأكبر الظن أن صاحب
اللسان اشتبه عليه الأمر فجعله من عدة قصيدة القطامي ،
العينية التي مطلعها :
قمي قبل التفرق يا ضياعاً ولا يك موقف منك الوداعا
وهذه القصيدة تتفق وبيت دريد في الوزن والقافية .

ان • ما • معطوفة على الضمير المنصوب بأن وان المراد بالآية ما قومن ذكروه • لان الشبهة المجلة رووا بأسانيد مختلفة أن هذه الآية كما نزلت تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على فريش فقال بعض من حضر من أكابر فريش : • أنا أخضم لكم محمداً • ثم أقبل عليه فقال : • يا محمد ان عيسى وأمه قد عبدا من دون الله ، أف يكونون من حصص جهنم ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغرب المشركون ضحكاً • فأنزل الله تعالى : • ان الذين سبقتم لهم من الحسنى اولئك هم المبدون • (٣٥) فهذا التفسير يدل على أنه يقسم باللهتهم • وانما أراد أنها معهم في الدار • على انه يمكن الصوفية أن تقول : يجوز أن يكون الله تعالى أراد القسم ونوهمت فريش غير ذلك لاحتمال الآية تأويلين فأنزل الله تعالى الآية الثانية تأكيداً للبيان ، كما غلط عدي بن حاتم في تبين فونه تعالى : • حتى تبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود • (٣٦) فأنزل الله تعالى • من الفجر • زيادة في البيان ، لا لأجل ان التأويل كان على ما نوله عدي ، فهذا يجوز لهم أن يحتجوا به ، ولكن الرواية وانفاق الجماعة أولى أن يؤخذ به وقد قال عز من قائل : • احضروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم • (٣٧) وقد قال في الآية نفسها • لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون • • وهذا يبطل قول الصوفية ابطلاً ظاهراً لا حيلة لهم في دفعه • واني لأعجب ممن تعرض له هذه الشبهة مع هذا النص الواضح •

وقد اعترض معترض من الملحدين فقال : كيف أنزل الله تعالى كلاماً ناقص البيان يحتاج الى الانشاء ويمكن الاعتراض عليه والظن فيه • وهو العالم بما كان وما يكون قبل أن يكون وقد سبق مكنون علمه جمل

(٣٥) سورة الانبياء ، الآية ١٠١

(٣٦) سورة البقرة ، الآية ١٨٧

(٣٧) سورة الصافات ، الآية ٢٣

جلاله ما يهيجس في كل خاطر ، وما يمكن أن يعترف به كل ملحد ؟ فقد كان الأليق بوجه الحكمة أن تنزل الآيات محكمة متقنة لا نقص فيها ولا اعتراض في شيء من معانيها .

فالجواب عن هذا من وجوه منها : ان معنى الاعتراض لا يلزم لانه ان ساع لمترض أن يعترض بهذا في نزول آيات القرآن العزيز ، ساع لآخر أن يعترض بمثله في جميع أفعال الله تعالى الموجودة في العالم ، لان لها أو لأكثرها مبدأ وتدرجاً من حال الى حال حتى تبلغ أقصى الكمال . وهل هذا الا بمنزلة من اعترض وقال : كيف خلق الله تعالى من يكذب به ويجهل ربوبيته ، ويفسد في الارض حتى احتاج الى مخاطبة البشر بالوعيد والوعيد ، وقد كان الاكمل في الحكمة أن يهديهم في أصل القطرة حتى لا يقع شيء من ذلك فاذا لم يكن هذا الاعتراض لم يلزم ما اعترضوا به .

وجواب آخر وهو ان في نزول القرآن منطوما على هذه الصفة التي أنكرها هذا المنكر وجسوها من الحكمة عمي عن معرفتها فمنها : تشيئه صلى الله عليه وسلم عندما كانوا يفتشونه بأقاربهم ، ويمترضون بزخارفهم وأباطيلهم وقد نبهنا الله تعالى على هذا الوجه من الحكمة بقوله : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك » (٣٨) الى آخر الآية . ومن وجوه الحكمة في ذلك ان الشيء اذا ورد أولاً وهو محتاج الى الايضاح والاكمال كان أعظم في النفوس ، واشد حرص السامع على معرفة آخره والوقوف على حقيقة غرضه ، ولهذا ورد تمامه بعد ذلك وكان له من المنفعة في النفوس ما ليس للشيء الذي يرد جملة ، يفجأ دفعة . وهذا المعنى لا يخص نزول القرآن دون غيره ، بل ذلك موجود في أكثر الامور ، ولذلك استحسّن العلماء أن يتقدم الاعطاء وعد ، ويسبق الوصل صد ، والمواساة منع حتى قال الشاعر :

(٣٨) سورة الفرقان ، الآية ٣٢

حلاوة الفضل كوعده ينجز لا خير في الفضل كتهز ينهز
وقال آخر :

لولا اطراء الصيد لم يك لذة فطردي نبي بالومسل ذنبلا
هذا الشراب أخو الحياة فما له من لذة حتى يصيب غلبلا
وفد أكثر الشعراء في هذا المعنى جدا استحسانا له فهذا وجه آخر
من الحكمة في ذلك .

وجه ثالث : وهو ألفت مأخذا وأدى مسلكا مما تقدم : وذلك ان
في نزول القرآن العزيز على هذه الصفة التي أنكرها هذا الجاهل بوجوه
حكمة الله تعالى ، أمح دليل وأبين شاهد بأنه صلى الله عليه وسلم كان
لا ينطق عن الهوى وإنما كان وحياً يوحى ، لأن القرآن لو كان شيئا
يتفوله وكلاما يلفقه ويصفه على ما كانوا يدعون عليه ويسبون إليه لأبرزه
محكم الصنعة متفنن التأليف مستوفي الغرض غير محتاج الى زيادة ونقص
كما يبرز الشاعر نصيده ، بل أن يفتحها وبهذهها ، والخطيب خطبته بعد
أن يقومها ويشغفها يدل ظهور القرآن على لسانه منقطع النظام محتاجاً كثير
منه الى الاكمال والانسام . على انه لم يكن فيه أكثر من البليغ والتأدية
عن الله تعالى . فأمل هذا فانه من أسرار القرآن اللطيفة وأغراضه
الشريفة .

وجه رابع من الحكمة : وهو ان نزول القرآن منقطع النظام تم
انتظامه وتأليفه بعد ذلك على أبداع ما يكون من أساليب الكلام دليل شاهد
على أنه كلام حف بالعصمة ، وارتفع عن الطاقة والقدرة . وذلك ان
البليغ منا اذا عمل فقراً من الكلام نظماً أو نثراً ثم احتاج الى تأليف بعضها
مع بعض حتى يجعلها قولاً واحداً وأنه يجدها متافرة التأليف غير منتظمة
التصنيف حتى يستعمل نوعاً آخر من نظم ويزيد وينقص ، وأنت تجد

هذا القرآن العزيز بعد تألف آياته المتفرقة ، وضمها الى السور المحكمه ،
رائق المسمع في الأذان ، عذب الموقع في الأذهان ، حتى تتوهم انه كلام نزل
في وقت واحد . وهذا شيء لا ينبغي له التسبصر ، ولا يهتدي اليه التأمل
المعتبر ، ولا يقدره حق قدره الا اليقظان المتفكر . فهذه أربعة وجوه من
الحكمه في نزول القرآن متقطعا . ثم نحن نقول ذلك لهذا الغرض .
فجهله فيما لم يحيط به علما ، ولم يأت تأويله تنبيها للمؤمن المسترشد ،
وفسما للكافر الملحد ، اذ اعترض المعارض في الشيء وضعفه فيه لا يدل
على نقصان الشيء المعارض فيه ، ولا يقتضي أن ذلك من أجل اخلال
معانيه ومبانيه ، فقد يعترض المعارض في شيء صحيح المعنى منق اللفظ
والبنى لنقصان فطرته ونفاه معرفته أو لعلط يعرض له وشبهة تدخل عليه
من لفظ مشترك وتأويل محتمل . ألا ترى الى قول القائل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم القيم^(٣٩)

وقوله :

ومن يك ذا فم مرّ مريض يجد مرأيه انه الزلا^(٤٠)

وقوله تبارك وتعالى : . انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
أنتم لها واردون . آية محكمة البنى صحيحة المعنى غير محتاجة الى شيء .
يتسمها وبينها ولو اقتصر عليها لم يضرها جهل من جهلها . وانما أنزل
تعالى . ان الذين سبقت لهم الحسن . . الآية ، حسناً لاعتراض المعارض
وتأكيداً لايضاح المعنى ، لا يخفى من الآية الاولى الى الآية الثانية . ولو كان
صلى الله عليه وسلم ممن يقول بالقياس والنظر لأين وجه تأويلها وأعرب
عنه . ولم تكن نحن على تخلفنا أهدي الى وجه الاحتجاج لها منه ، لكنه

(٣٩) البيت من قصيدة لسننبي مطلعها :

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

(٤٠) من قصيدة لسننبي مطلعها :

بقائي شاء ليس هم ارتحالا وحسن الصبر زعموا لا الجمالا

صلى الله عليه وسلم كان لا يقول شيئا برأى يراه ، وإنما كان يتبع ما أنزله
الله اليه وأوامه .

ونبين لك صحة ما نقوله من أن هذه الآية لا تحتاج الى شيء يتبعها
أن الخطاب في قوله : « انكم وما تعبدون من دون الله » لا يخلو من أن
يراد به العرب خاصة ، أو يراد به كل من عبد شيئا من دون الله ، فإن
كان الخطاب للعرب خاصة والمراد بما يعبدونه للاسم خاصة لانهم لم
يكونوا يعبدون شيئا غيرها من دون الله فلا وجه لادخالهم عيسى صلى الله
عليه وسلم وأمه فيها . ويدل على أن الخطاب لهم خاصة قوله : « لو كان
هؤلاء آلهة ما وردوها » وهؤلاء انما هو إشارة الى الشيء المحض وإن كان
الخطاب لكل من عبد شيئا من دون الله من العرب وغيرهم ، فإن الاظهر
فيه ما ، أن يراد بها ما لا يعقل لأن هذا هو المشهور من أمرها في اللغة .
فإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن للملائكة وعيسى وأمه صلوات الله عليهم
مدخل فيها ، لانه لو خلط من يعقل بما لا يعقل ، لقل . ومن يعبدون .
لانه اذا خلط من يعقل بما لا يعقل فانما يغلب من يعقل كقوله تعالى :
« والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي
على رجلين ومنهم من يمشي على أربع » (٤١) « فإن قيل : فلعله أراد بقوله
« وما تعبدون » من يعقل وما لا يعقل ، لأن ما ، قد تقع للمعقل المميز
كقوله تعالى « فانكحوا ما طيب لكم من النساء » (٤٢) « وفوائهم : « سبحانه من
يسلم الرعد بحمده » فحق نسلم أن ما ، قد تقع للمعقل المميز ، ولكن
لا حجة لهم أيضا على هذا القول فما لهم في القول الأول حجة ، لأن من
عبد شيئا من دون الله من ملئت أو نسي فلازم انما هو على العابد لا على
المعبود ، وانما يلزم المعبود الاتم ، ويحق عليه العذاب إذ رخصي بدلت أو

(٤١) سورة النور ، الآية ٤٥

(٤٢) سورة النساء ، الآية ٣

أمر به أو دعا الناس إلى عبادة نفسه • وقد أخبرنا الله تعالى أن أفضل عبادة وخيارهم لا يرضون بذلك ولا يأمرون به • فقال عز من قائل : • ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ، ^(٤٣) فينبغي أن لا يدخل في الآية من المعبودين من دون الله إلا شرعون ونمرودا وأمثالهما ممن ادعى الربوبية • ودعا إلى عبادة نفسه • فإن قيل : فكيف أخبر الله تعالى أن الأصنام تعذب مع من عبدها وهي لا تختار ذلك ولا تريد ؟

والجواب عن هذا من وجهين : أحدهما أن الخطاب للعرب خصوصا • فوردوا أصنامهم معهم النار ليس على وجه العقاب لها • إن العقاب إنما يلزم العاقل المميز الذي يتألم ويحس ، وإنه تحضر لهم يوم القيامة لأحد معنيين : إما يروا هو أن معبودهم ويلقونها على قدر ما عبدها ، وإما تشهد عليهم كما تشهد أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون • وليس في ورود الخشب والحجارة النار ما في ورود من عبيد من الصالحين السبزين لأن العاقل المميز يتألم بالعذاب ويحس بعقابه على ما جاء غيره عبت وجوز • وهذا غير جائز في حكمة الله تعالى • والخشب والحجارة ما لم تحس ولم تتألم لم يكن في ادخالها النار عبت وجوز على ما نوهبه هذا معترض • وإن كان المراد بالصفة كل من عبد شيئا من دون الله من العرب وغيرهم ، فقد يجوز أن يكون العذاب معهم من عبد من البشر من رضى بذلك ودعا الناس إليه دون الحجارة والخشب التي لا حس لها ولا تميز • وقد يجوز أن يردّها الجميع من عاقل وغير عاقل على الوجه الذي قدمنا ذكره •

وكان الكلبي يذهب إلى أن قوله : • أنكم وما تعبدون من دون الله • منسوخ بقوله • أن الذين سبقتم لهم ما الحسنى أولئك عنها معبدون •

(٤٣) سورة آل عمران ، الآية ٧٩

غلط شديد لوجهين : أحدهما : أنه خير والأخبار لا يصح فيها النسخ ،
 إنما النسخ في الأمر وانتهى . والثاني : أن الآية الثانية ليست ناسخة للآية
 الأولى على ما توهم ، وإنما هي مؤكدة للمبين ، زائدة للإيضاح . فهذا
 ما عندي في تفسير هذه الآية ، وفيه أشياء كثيرة لا نجدتها في كتب التفسير ،
 لأنني سلكت فيها سلك الجدل مناقضة للمصوفية . ولم أعرض فيها على
 المحدثين وأنا أستغفر الله من ذلك إن كان عرض . وأسأله العون على
 القيام بحق ما أمر به وفرض . لا رب غيره . ولا معبود سواه .

مسألة خامسة :-

سألت أدام الله تسديدك وأرشدك وبلغك من كل ما أترجوه بفيتك
 ومرادك عن قول امرئ القيس بن حجر :

كأن دمي سقف^(١١١) على ظهر مرمر

كسا مزبد الساجوم وشيا مصور^(١١٥)

(١١٤) هكذا في الديوان ، أما في المخطوطة : سقف

(١١٥) جاء في الديوان : امرئ القيس ص ٥٨ تفسير الأعلم الشنمري لهذا
 البيت وتعليقه على تفسير أبي حاتم :

ثم يفسر لأصمعي هذا البيت ، وقال أبو حاتم : الدمي المصور ،
 وسقف موضح فيه صور فنيبها بزهر هذا النخل الذي وصف ،
 والمزبد ذو الزبد ، والساجوم واد بعينه . هذا تفسير أبي حاتم ،
 وهو بعيد لا يتحقق ، والذي عندي فيه أنه متصل قوله :
 فشبهتهم في الآل لما تكتسبوا

فكانه قصد به إلى تشبيه الظمان على الأبل وما عليها من الوشي ،
 وهو يسري في السراب بالدمى على ظهور الرخام بهذا الوادي المزبد .
 وشبه السراب لبياضه بزبد الوادي . وقوله : كسا مزبد الساجوم
 وشيا مصورا ، جعل المرمر كالكامي لهذا الوادي المزبد حتى شبهه
 لحمله الدمى بالأبل ، وعلى الأبل الوشي وقد عمن به السراب لكثرة
 والعرب بما شبهت الشيء بالشيء فجعلت في المشبه به بعض صفات
 المشبه اتساعا ومجازا كما قال جيبه [أبو تمام] في وصف لواء أبيض
 يخفق في الهواء :

وقلت ما اعرا به ؟ وما معناه ؟ وقد سألت أروشدك الله - عن بيت تحامى
 جلالة العلماء تفسيره قديما وحديثا . وقد روي أن الأصمعي كان لا
 يفسره ، وإن أبا عمرو بن العلاء كان يقول : ذهب من يحسنه . فإذا كان
 هذان قد قولا فيه هذه المقالة على جلالة مكانتهما وقدرهما وبعد صيتهما في
 العلم وذكرهما ، فما طلت بعد ذلك بغيرهما ؟ ولم يكن هذان ليقولا فيه
 هذه المقالة إلا وهما قد سألا عنه العرب فلم يظفرا بباطل منه . وما رأينا
 فيه لغيرهما قولا نستحسسه ونرضيه . غير أن أبا حاتم ذكر فيه تأويلا
 لا يكشف غمّة ولا يبرد غلبلا . فقال : الدمى الصور ، وشقف موضع فيه
 حور ، وأراد أن تلك الصور مزينة بانجوهر فشيء بذلك زهر هذا النحل
 والزهور^(٤٦) [وهو^(٤٧) النمر الذي ظهرت فيه الحمرة فاختلف لونه ،
 والساجوم وإد بعينه . وهذا الذي قاله أبو حاتم - رحمه الله - وإن كان
 غير بيتن فإن ما نحنه معنى حسنا ينفصح إذا نحن جلوتنا في معرضه .
 وأخيرا بمنزعه وغرضه فيه . ومذكر بعد ذلك ما قاله سواء ونصله بما
 نعتقد ونراه أن شاء الله تعالى .

أما قول أبي حاتم فمجاوزه عندي أنه حصل هذا البيت من صفة
 . المكرعات . التي ذكرها امرؤ القيس في قوله :
 أو المكرعات من نخيل ابن يامن دوين الصفا اللائي يلين المشقرا

(٤٦) هذا هو الصحيح . أما في المخطوطة : الرقد .
 الأصمعي ، كتاب النخل ص ٦٧ ازهى النخل إذا ظهرت فيه الحمرة وهو
 وهو الزاهر [يفتح الزاي واسكان الهاء] وفي لغة الحجاز الزاهر
 [بضم الزاي] *

(٤٧) يحتمل أنها سقطت . والنص ينفذها .

نخلت عقابا بيضاء في حجرا ت الملك خازن منه وفي سنده
 والعقاب لا تكون بيضاء ، ولكن لما شبه اللواء المشبه بها . فعل هذا
 جعل الرمر الكاسي الودي وشيا مصورا ، إذ شبهه بالابل وما عليها
 من الوشي المصور وسط السراب .

و • المكروعات • النخل الثابتة في الماء واشتقاق ذلك من قولهم :
 • كرعنت السابة في الماء تكرع فهي كارعمة ، وأكرعتها أنا فهي مكرعة ،
 وأصل ذلك أن تدخل ذوات الاختلاف من الحيوان أكارعها في الماء ثم
 استعير ذلك لغيرها فنبه المكروعات بالدمى ، وشبه الماء بالمرمر ، وشبه زهر
 النخل لاختلاف ألوانه بالونسي المصور وأراد هذه النخل كست «الصاجوم»
 من زهرها ما يشبه الونسي المصور ، فكان دمي • سفة ، (٢٨) حلت به ففعلت
 ذلك • ويقوى مذهب أبي حاتم أن العرب قد شبهت النخل بالعداري
 تشبيهاً مائياً (٢٩) مطرداً • أنشد أبو حنيفة في صفة نخل :

كان قدودها في كل فجر عذاري بالدواب يتصبنا (٣٠)
 والدواب النواصي ، أراد أن الرياح تضربها فيميل بعضها على
 بعض ، تشبهها بعدادي يأخذ بعضهم بنواصي بعض وقال الراجز :
 قد أبصرت سعدى بها كئالي مثل الجوازي الحشتر المطايل (٣١)
 مطوية الآف • وانعت كل (٣٢)

(٢٨) هذا هو الصحيح ، أما في المخطوطة : شفع •
 (٢٩) هكذا في النص • ولعنها ناشبا
 (٣٠) هذا هو الصحيح ، أما في المخطوطة : ينفضينا •
 (٣١) جاء هذا الرجز في • الصبحاح • على البحر الآتي :
 قد أبصرت سعدى بها كئالي مثل العذاري الحسن المطايل
 ويبدو أن • الحسن • تصحيف • الحشتر • ذلك أن (حسنا) لا
 تجمع على (فعل) بقسم الفاء وفتح العين وتشديدها كما تجمع
 • حامر • على • حشتر • قال تعالى • فلا أقسم بالخنثس الجوارى
 الخنثس • والخنثس جمع • خنثس • والصحيح أن حسنا تجمع على حسان
 وحسناوات واحسب أن ذلك قد وقع من خطأ النسخ الأول ،
 وأما من اشتباه الناشر • وقد ورد لرجز في • اللسان • مادة «عطل»
 على الصورة التي جاءت في هذه المخطوطة ، ولكن صاحب اللسان أورده
 في مادة • كتل • على الوجه الآتي :

قد أبصرت سعدى بها كئالي مثل العذاري الخرد المطايل
 (٣٢) هذا هو الوجه الصحيح ، أما في المخطوطة : الإناكل •

والكتائل النخل ، والخسر التي لا نبات عليهن ، والعطائل الطوال
الأعناق وأحدثها عطبول . فأما اعرابه على مذهب أبي حاتم فيحمل
وجهين : أحدهما أن سيويه ذكر في الكتاب : أن العرب تحذف خبر كأن
ولكن وإن وأخواتها تارة ، وتحذف أسماءها تارة إذا كان في الكلام أو
في الحال المتأخذه ما يدل على ذلك وأشد للفرزدق :

فلو كنت ظلياً عرفت قرايني ولكن زنجياً عظيم المشافر^(٥٢)

فذكر : أن من العرب من ينصب . زنجياً عظيم المشافر ، ويجمله
اسم . لكن . ويضمر الخبر كأنه قال : . ولكن زنجياً عظيم المشافر لا يعرف
قرايني . وذلك ما تقدم من البيت على هذا الحذف .

وذكر : أن من العرب من يرفع يقول : . ولكن زنجي عظيم
المشافر ، فيجمله خبر لكن ، ويضمر الاسم كأنه قال : . ولكنك زنجي
عظيم المشافر . فعلى هذا التماس يجوز أن يكون امرؤ القيس حذف اسم
كان وحمل دمي خبرها أراد . كأنها دمي سفت على ظهر مرمر من صفته
كذا هذا النخل . . وينسب هذا الحذف قول طرفة :

ونيسم عن أني كأن منوراً تطلل حراً الرمل دعس له ندر^(٥٣)
وقال الأخطل :

خلا إن حياً من فريش تفاضلوا^(٥٤)

على الناس أو إن المكارم نهشل^(٥٥)

(٥٢) انظر سيبويه . الكتاب ٢٨٢/١ . والبيت في هجاء رجل من ضبة
نقاد عنها ونسبه إلى الزنج .

(٥٣) انظر معلقة طرفة :

لخولة اطلال ببرقة نهسد تلوح كبقاتي الوشم في ظاهر اليد

(٥٤) هكذا في الديوان ص ٣٩٢ . أما في المخطوطة : تفاضلوا

(٥٥) الديوان : هو من الأبيات المنسوبة إلى الأخطل وهي ليست في نسخ
الديوان . ورد البيت في اللسان ، مادة [نهشل] ٦٨٢/١ وفي

[لتاج] ١٤٩/٨

وهذا البيت فيما ذكروا آخر القصيدة ويكون قوله : كسا ، على
هذا القول في موضع خفض صفة للمرمر ، كأنه قال : على ظهر مرمر
كاس مزبد كالساجوم . فان قلت كيف وصف المرمر بأنه كسا الساجوم
الوشي المصور وليس ذلك من صفاته ؟

والجواب : أن ذلك إنما جاز لأنه يشبه به الماء الذي كان السبب
في اثبات^(٥٦) هذا النخل وذهابه حتى كسا هذا الوادي ما يشبه الوشي
المصور . والمرب إذا شبهت شيئا بشيء فربما وصفت المشبه به ببعض
صفات المشبه فيقولون : . كأن هذا بدر محلى بالدور والياقوت ، وهذه
الصفة ليس من صفة البدر ولكنهم لما شبهوا به من هذه صفته صار كأنه
بعض البدر محلى بالدور والياقوت لدخول المشبه بالمشبه في جنس ما
شبه به مجزا لا حقيقة . وهذا كثير في الشعر قد تعاورة القدماء والمحدثون
فمنه قول حبيب يصف لواء أبيض^(٥٧) .

خلت عقاباً بيضاء في حجرا ن الملك شارت منه وفي صدره^(٥٨)

والعقاب فيما زعموا لا تكون بيضاء ، ولكنه لما شبه بها اللواء الأبيض
صار بعض أنواع العقاب كأنها أبيض لأن اللواء الأبيض قد صار بالمشبه
كأنه نوع من أنواعها ومثله قول أبي الطيب المتنبي :

وكت إذا أبصرته لك قائماً نظرت الى ذي لبدنين أديب^(٥٩)

وعلى هذا يتوجه عندي ما عاب الناس على المتنبي من قوله :

(٥٦) هذا هو الصحيح ، أما في المخطوطة : اثبات .

(٥٧) من قصيدة أبي تمام يمدح فيها علي بن الجهم مطلعها :

ما لكثيب الحس الى عقده ما بال جرعائه الى جرده

(٥٨) هكذا في الديوان ، أما في المخطوطة : سؤدد

(٥٩) من قصيدة للمتنبي يعزي فيها سيف الدولة في عهده يماك التركي
مطلعها :

لا يحزن الله الأمير فأنني لأخذ من حالته بنصيب

أني أنا المذهب المعروف مخبره يزيد في الميك للدينار ديناراً

وهذه الصفة غير محمودة للمذهب ، وربما أخرجت الشعراء هذا

المعنى مخرج التعجب والإنساع كقول المتنبي :

ما ضاق قلبك خلخال على رشا ولا سمعت بديع على كنس (٦٠)

فهذا أحد وجهي اعراب بيت امرئ القيس على مذهب أبي حاتم .
والوجه الآخر : أن يكون قوله « كسا » في موضع رفع على خبر « كان »
من غير أن تحذف شيئا ، فإن قل قول : « ففسد كان ينبغي أن يقول
« كنت » أو « كسونه » لأنه خبر عن الدمى ، والدمى مؤنثة » .

فالجواب : أن العرب قد تذكر خبر المؤنث الذي ليس بحقيقي
وصفته ، حملا على المعنى وكذلك قد يفردون الخبر عن الجميع والضمير
العائد حملا على معنى الجمع أو الشيء قل جبل :

ألا ليت أيام الصفاء جديد دهرأ تولى يا بنين يعود (٦١)

ولم يقل « جديد » كأنه ذهب إلى معنى الجمع ، أو ذكر الأيام
إذا كانت بمعنى الدهر . هكذا رواه ابن الأنباري ، وقد روي رواية غير
هذه تركتها خفية الإلمة بها .

وقال آخر :

(٦٠) المتنبي الديوان ١/ ١٤٠ من بينين أوامها :

طبية الوحش لولا طبية الناس لما غموت بجد في الهوى تعسر

(٦١) هكذا روي في المخطوطة وفي الأمالي لأبي علي القالي ٢/ ٣٠٠ ، أما

في الأغاني فقد ورد على الوجه الآتي :

ألا ليت ريعان الشياح جديد

بل انسى تجدي ان انتسيت اسي
يسئل من قد فحمت اليوم قد فحمت (٦٢)

وقال طرفه :

لا أرى الا التمسك به كالأمة اسرفت حزمه (٦٣)

فان قلت : فاعمل هذا انه جب في الضرورة لان هؤلاء الشعراء لم
يمكنهم غير ذلك ، وليس في بيت امرئ القيس ضرورة ، لانه قد كان
يمكنه ان يقول : كنت فيؤت والوزن قائم صحيح .

فالجواب : ان وجدتهم قد فعلوا مثل هذا في الكلام المتصح نثرا
ونظما ، حكى سويه ان العرب نقول : هو أحسن العيان وأجمله ،
وأكرم بنيه وأبله . قال الله تعالى : سبكم ما في بؤسه (٦٤) .

وزعم الاخفش ان العرب نشد :

ألسان ابل تملأ من مسافر (٦٥) يملكها علي حرام
ولعام عمران بن أوفى معه يملك في المخلوق طعام (٦٦)

(٦٢) جاء في الإمامي ٢٢/١ ان الاخفش قال : ابياتي ابو الفيض بن أبي
شراة عن أبي شراة قال : حدثني عبدالله بن محمد بن يسير البصري
قال : علق أبي جارية لبعض الهاشميين فبعت اليه امي تعاتبه
فكتب اليها ابياتا اولها :

لا تتبعن لوعة اترى ولا هللنا ولا تفاسين بعدي الهم والجزعا

بل انسى تجدي ان انتسيت اسي

(٦٣) هكذا في الديوان اما في المخطوطة : اشتقت حرقه ، .

البيت من قصيدة مطلعها :

أشجك الربيع ام قديمه ام رماد دارس حمله

(٦٤) سورة النحل ، الآية ٦٦

(٦٥) هذا هو الصحيح ، اما في المخطوطة : من مسافر

(٦٦) ورد في البيت في الكامل للمبرد ٥٥/١ . وقد جاء البيت الثاني كما

يأتي :

والهاء في « مثله » عائدة على ألبان « قال : ومنهم من يشده « مثلها »
فإن قلت : فأيهما أبلغ عندك في معنى التشبيه « كون الهمي اسم « كان »
أم كونها خبرا ؟

فالجواب : إن كون الهمي اسم « كان » أبلغ في التشبيه « كأنه إذا
جعل الهمي خبر « كان » كان التشبيه مستقيما « وإذا جعلها اسما كان
التشبيه معكوبا فكان أبلغ « وهذا مذهب للمعرب فطريف « يقولون :
« كأن هندا أقمر » فإذا أرادوا المبالغة عكسوا التشبيه فقالوا : « كأن
أقمر هند » وذلك إن أشبه به له مزية على المشبه « فإذا عكسوا انتقلت
تلك المزية التي كانت في المشبه وعلى هذا قول الراجز :

كأن أوب مائع ذي أوب مدارك النهر سريع النهر^(٦٧)
أوب يديها برفاق سهب

وفول ذي الرمة :

ورمل كأوراك العذاري قطعته وفد جللته انظلمات الخنادس^(٦٨)

(٦٧) ورد الرجز في الإنسان مادة [أوب] على الوجه الآتي :

كأن أوب مائع ذي أوب أوب يديها برفاق سهب

وأورد الجرمي في الصحاح عجز هذا البيت « والأوب السرعة
والأوب سرعة تقليب اليدين والرجلين في السير »

(٦٨) هكذا في المخطوطة « أما في النديوان :

ورمل كأوراك العذاري قطعته إذا جللته نظلمات لحنادس

من قصيدة مطعنها :

ألم تسأل اليوم الرسوم الموراس بخزوي وهل تدري الفغار اليسابس

وطعام عمران بن أوفى مثلها ما دام يسلك في البطون طعام

وجاء : قال أبو الحسن [الأخفش] روى أبو العباس [نعلب] :

وطعام عمران بن أوفى مثلها »

رد الهاء والألف على الألبان « وهذا لانظر فيه » وروى أيضا مثله لأن

الألبان تجري مجرى اللبن فحمله على المعنى »

هذا ما يتوجه عليه عندي قول أبي حاتم ، وقد يجوز فيه وجه آخر
وهو أن يكون من حصة الظعن في قوله :

بعيتي ظعن الحي لنا نحملا

عندي جانب الأفلاح من جنب تيمرا (٦٩)

فيكون معناه أن هذه الظعن المتحملة مروت بالساجوم فكسته الوشي
المصور لما عليها من أنواع الثوب المختلفة ، فكان الدمى سقف مروت به فكسته
ذلك . وهذا كقوله : مروت به هند فذكر الغمر مر بنا فيكون . كما . في
هذا الوجه خبر . كان . وذكر الضمير لما قلناه في التوجه الأول . وقد
قل بعض أهل زماننا أن الصواب في هذا البيت رفع . مزيد . وجعل خبر
كان . غرائر ومعناه عنه أنه شبه هذه الغرائر وما على لبائهن من الحلبي
يدمي سقف وقد أتى عليها الساجوم من زيده ما يشبه الوشي المصور ،
ويلزم على قوله أن يكون من التشبيه المعكوس للمبالغة على ما ذكرناه .
وهذا الذي ذكره هذا القائل بعيد جدا عندي من وجوه منها : أن الرواية
إنما هي . مزيداً . بالنصب لا بالرفع ، كذلك وجدناه في نسخ مساح
مقرومة على أبي علي البغدادي وغيره من الأئمة المشهورين . وعليه يدل
قول أبي حاتم : . وأما فرع إلى رفعه من أشكال عليه معنى البيت ولم
ينجبه ما قدمنا ذكره .

ومنها أنه يلزم في قوله أن يكون قوله : . كما مزيد الساجوم . في
موضع نصب على الحال من الدمى لأن . الدمى . في البيت معرفة بإضافتها
إلى المعرفة ، والحال لا بد فيها من ضمير يعود على صاحبها ، فكان يجب
على هذا أن يقول : . كماها مزيد الساجوم . فنزاعاً أنها حذف كذا
تحدث من العلة والصفات فذلك غير جائز ، لأن حكم الحال في هذه
مخالف لحكم العلة والصفة ، لأن العلة تحسب مع الموصول كالنسي .

(٦٩) تيمرا اسم موضح

الواحد فيطول الكلام فتحذف الهاء تخفيفاً ، والصفة في هذا مضارعة للصلة لأنها تكون مع الموصوف كالشيء الواحد في أكثر المواضع إذا كان الموصوف لا يعلم إلا بها ، والحال ليست كذلك . ومع هذا فإن فاعل . كما ، الذي ارتفع به أجني وهو قوله . مزيد الساجوم ، فصار بمنزلة قولك : . رأيت هذا ضرب عمرو ، تريد . ضربها عمرو ، وهذا شيء لم يخبرنا أحد من البصريين ولا الكوفيين ، لأن الكلام الثاني منقطع من الأول غير ملتبس به . وبين لك أيضاً ضعف هذا القول أنه بعيد من جهة المعنى كبعد من جهة الأعراب لأنه قال : شبه الفرائر وما على لباتهن من الحلبي بدمى سفوف وقد كساها الساجوم من زبد ما يشبه الوشي المصور ، وتشبيه الزبد بالوشي المصور تشبيه بعيد جداً ، فقد اجتمع في هذا القول كما ترى بعده من جهة المعنى وبعدة من جهة الأعراب ومخالفة الرواية المشهورة .

وقد رأيت فيه تفسيراً آخر لبعض متبيخة عصرنا ذهب إلى أنه ينصل بقوله :

فسيهنم في الآل ما نكشوا^١ حداثق دوم أو سفينا مفيرا

وذهب إلى أنه شبه الظلمات على الأيل بالدمى على الزمر ، وشبه السراب البياض بالزبد ، وأضرب عن تفسير وجه أعرابه ولم يذكره . وهذا الذي قاله غير خارج عما تقدم ، وينبغي أن يكون أعرابه على نحو ما ذكرناه أولاً في تفسير قول أبي حاتم والقرض الذي فصد وهو معنى حسن منحصل ليس بعيد كما زعم وبالله التوفيق .

المسألة الخمسون في . دبة .

سألت أدام الله عزتك ، وحسى من التواب حوزتك ، وملكك نواحي

(٧٠) هكذا في الديوان أما في المخطوطة : فليسوا

النعم ، وبلغك أقاصي الهمم ، عن قول النحويين : ان ربّ للتقليل ،
وقلت : كيف يصح ما قالوه وكلام العرب المنظوم والنثور يشهد بضم ما
زعموه ، لأن المقاتل انا قال : رب علم لقيه ، ورب طعام طيب أكلته ،
فانما غرضه أن يكثر من لقيه للعلماء ، وما أكله من الطعام الطيب وكذلك
قول امرئ القيس :

ألا رب يوم صالح لك منها ولا سيما يوم بدارة جليل^(٧١)
وقال الأعشى :

رب رقد هرقته ذلك اليوم وأسرى من معشر أقال^(٧٢)

لا يليق بهما التقليل لأن بيت امرئ القيس بيت افتخار بكثره الأيام
الصالحة التي تتم فيها بالساء ، وإن يوم داره جليل ، كان أجلها
وأحسنها ، وبيت الأعشى بيت مدح ولم يمدح الذي مدحه بأنه أراق رقد
واحدا ، ومثل هذه الآيات - أدام الله عرك - حمل القائلين على أن
يقولوا : ان رب للتكثير ، مع ان سيويه قال في باب ، كم ، ومضاهها كمضى
، رب ، فتوهموا أن مذهبه أنها للتكثير :

وقد كان أشكل علي من أمرها قبل قوتي في هذه الصناعة مثل ما
أشكل عليك ، وحسبت ان أبا القاسم الزجاجي وأبا جعفر بن النحاس
ونحوهما من سفار النحويين غلطوا في ذلك ، فجعلت أبحث عما قاله فيها
جلة النحويين فوجدت كبراء البصريين ومشاهيرهم مجمعين على أنها للتقليل
وأنها ضد ، كم . في التكثير كخبل وسيويه وعيسى بن عمرو ويونس
وأبي زيد الأنصاري وأبي عمرو بن العلاء والأخفش سعيد بن مسعدة
والمازني وأبي عمر الجرمي وأبي العباس المبرد وأبي بكر السراج وأبي

(٧١) رواية الثبريزي في شرحه لتعلقات كالاتي :

ألا رب يوم لك منها صالح

(٧٢) من قصيدته التي مطلعها :

ما بكاء الكبير بالاطلال ومؤالي وما ترد مؤالي

اسحق الزجاج وأبي علي الفارسي وأبي الحسن الرماني وابن حنبل
والبرقي ، وكذلك جلة الكوفيين كالنكاشي والفراء ومعاذ الهراء وابن
سعدان^(٧٣) وهشام^(٧٤) ولم أجد لهم مخالفا في ذلك إلا صاحب كتاب العين
فانه صرح بأنها للتكثير ولم يذكر انها تحجب للتقليل . وهذا من أغلوف
شيء لأن . رب . قد كثر استعمالها في مواضع لا يسوغ فيها التكثير
سذكرها اذا انتهى اليها ان شاء الله تعالى .

ورأيت الفارابي قد ذكر في كتاب الحروف : أنها تكون تكثيرا
ونقليلًا . ورأيت قوما من نحويي زماننا هذا ومن قرب زمانه من
زمانهم يعتقدون انها للتكثير مثل . كم . وكأنهم يعتقدون ان النحويين
المتقدمين غلطوا فيها ورأيتهم يتكلفون بالمواضع التي ظاهرها التكثير وينفلون
المواضع التي لا تحصل إلا التقليل .

ورأيت قوما منهم يحنجون بقول سيويه في . كم . ان معناها كسرى
. رب . وقد يمين على المصنف اذا رأى رأيا يخالف ما رآه المبرزون في
ساعة من الصانع أن يتم رأيه ولا يسرع في تخطئهم ، وانما ينبغي أن
يلتمس حقيقة ما قالوه ، فلما نشك في أن الخليل وجميع من سميائه من
البصريين والكوفيين قد رأوا الآيات التي ظاهرها التكثير كما رآها هؤلاء
المعرضون عليهم لأنه كثيرة جدا وليس مجيئها للتكثير شاذًا قليلا فينوههم
انه غاب عنهم لقلته ، بل تكاد المواضع التي ظاهرها الكثرة تكون موازية
للمواضع التي تقع فيها القلة . فهذا اتفاق جميع ما ذكرناه على ان أصل

(٧٣) هو ابو جعفر بن سعدان الضريير الشنوفي سنة ٢٣١ هـ . انظر ترجمته
في السيوطي بنية الوعاة ٤٥ . طبقات النحويين للزبيدي ١٥٣ .
نزهة الألباء لابن الأثير ص ١٠٧ ارشاد الأريب لباقوت ٢٠١/١٨
(٧٤) هو هشام بن معاوية الضريير الكوفي الشنوفي سنة ٢٠٩ هـ .
انظر ترجمته في انباء الرواة ٣/٣٦٤ . نزهة الباء ١١٣ ، بنية
الوعاة ٤٠٩ . ابن خلكان ٢/١٩٦ . طبقات النحويين للزبيدي ١٤٧
نكت الهميان ٣٠٥ .

أن . رب ، للتقليل و . كم ، للتكثير دليل على أن لهم في ذلك غرضا ينبغي أن يعلم ويوقف عليه . وكذلك قول سيويه أن . كم ، منهاها بمعنى . رب ، لا دليل فيه على أنها للتكثير من ثلاثة أوجه :

أحدهما : أن سيويه ينازع غيره في قولهم : أن . رب ، للتقليل و . كم ، للتكثير . والثاني : أن سيويه إذا تكلم في انشواذ في كتابه فمن عادته في كثير منها [قوله] : « رب شيء هكذا » ، يريد أنه قليل نادر كقوله في باب . ما وقد . في بيت الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قرئش واذ ما ملئهم بشر^(٧٥)

وهذا لا يكاد يعرف كما . لات حين مناس ، و . رب شيء . هكنا . وهو كقول بعضهم ، هذه ملحقة جديدة في القلة ، فكيف بنوهم عليه أن أراد بقوله : أن معنى . كم ، بمعنى «رب» أنها مثلها في الكثرة وهو يستعملها في كلامه ، وما يستعمله يتكلم عليه في مسائل كتابه بضد ذلك .

والوجه الثالث : أن كل من شرح كتاب سيويه لم يقل أحد منهم أن سيويه أراد بهذا الكلام أن . رب ، للتكثير . وقد فسر أبو علي الفارسي هذا الموضع فقال : «إنا قال : أن معنى . كم ، لأنها تشارك . رب ، في أنهما يقعان مدوا ، وأنها لا بدخلان إلا على التكررة ، وإن الاسم المذكور الواقع بعدهما يدل على أكثر من واحد ، وإن كان الاسم الواقع بعد . كم ، يدل على كثير ، والاسم بعد . رب ، يدل على قليل فيختلفان في هذا الوجه . ويختلفان أيضا في أن . كم ، اسم ، و . رب ، حرف وكذلك قال ابن درستويه والزماني وغيرهما في شرح هذا الموضع من كلام سيويه ، وإن كانت المواضع التي ظاهرها التكثير عنده أو لا توجب أنها للتكثير ، فقد

(٧٥) من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبدالعزيز مطلقا :

زارت مسكينة اطلاقا اناخ بهم شفاعة النوم للعيتين والسهير

يجب أن تكون المواضع التي ظاهرها التقليل توجب أن تكون للتقليل .
ولا أنل من أن يتعادل الأمران عندهم فيقول : أنها تكون نقلا وتكثيرا
كما قال أبو نصر الفارابي . وأنا أوصل في . رب . أصلا ينبغي تعريض
مسائلها عليه وبصرح بما أشاره أهل هذه الصناعة المتقدمون إليه أن
شاء الله تعالى .

« باب الكلام على « رب » وحقيقة وضعها »

أعلم أن « رب » و « كم » بنا على التناقض في أصل وضعهما . لا أن
أصل « رب » للتقليل ، وأصل وضع « كم » للتكثير . هذه حقيقة وضعهما ثم
يعرض فيهما المجاز للمبالغة وغيرها من الأغراض ، فينتج كل واحد منهما
موقع صاحبتها ، وهذا سبيل المجاز لأنه عارض بعرض للمشي فيستعار في
غير موضعه ، ولا يبطل ذلك حقيقته التي وضع عليها ، ومثل ذلك المدح
والذم وإنهما وضعا على التناقض في أصل وضعهما ، ثم يعرض لهما المجاز
فيستعمل الذم مكان المدح كقول القائل : « أخزاه الله ما أشعره » ولعنه الله
ما أفصحه . « ويستعمل المدح مكان الذم فيقال للاحمق : « يا غفل » ،
وللجاهل : « يا عالم » ، وللبخيل : « يا جواد » ، وذلك على سبيل التهزاء
قال الله تعالى : حكاية عن قول شعيب أنهم قالوا له : « انتك أنت الحكيم
المرشيد » (٧٦) ، وقال الفرعون : « انتك أنت العزيز الكريم » (٧٧) ومثله
قول الشاعر :

وقلت لسيدنا يا حكيم انتك لم تأس سوءا رفيقا

وقال بعض شعراء اليمن مخاطب جريرا :

أبلغ كليا وأبلغ عنك شاعرها اني الأعسر واني زهرة اليمن
فأجابه جرير فقال :

(٧٦) سورة حمود ، الآية ٨٧

(٧٧) سورة الدخان ، الآية ٤٩

ألم يكن في وسوم قد وسعت به من حان موعظة يا زهرة اليمن (٧٨)
 نسماء ، زهرة اليمن ، حكاية لقوله ، وهزما به ، وكذلك التذكير
 والتأنيث نقيضان في أصل وضمهما ثم يلحقهما المجاز فيقع كل واحد منهما
 موقع صاحبه مع حفظه لأصله الذي وضع عليه ، فيقولون للرجل : سلامة
 ونسابة ، ويرون أنه أبلغ من قولهم : عظام ونسأب ، ويقولون : امرأة
 طاهر وعقر وحاسر ، ويرون ذلك أبلغ من التأنيث لو جموا به هنا ،
 ووجه المبالغة عندهم في هذا أن التقيضين إنما بينهما حد يفصل بينهما من
 بعض ، فإذا زاد أحدهما في حده انعكس إلى حده ، لأنه لا مذهب فيه
 يذهب إليه إذ لا واسطة بينهما ، ولذلك قال الشاعر :

.....
 ونسر الشدائد ما بضحك

١ وقال أبو الطيب المتنبي :

ولجئت (٧٩) حتى كدت تبخل حائلا تلمسني ومن السرور بكاء (٨٠)
 وقال أبو العلاء المعري :

[فلا تحسبوا دمي لوجد وحدثه] فقد تدمع العيان من شدة الضحك (٨١)

وعلى الثاني هذا السبيل من المجاز يضمنون ألفي موضع الأيجاب ،
 والأيجاب موضع ألفي ، ويخرجون الواجب بصورة الممكن ، والممكن
 بصورة الواجب وغير ذلك من المجازات التي تكثر أن ذكرناها ونخرجنا عن
 الغرض الذي نحن بصدده ، وفارسدون نحو مقصده ، فكما أن وقوع

(٧٨) سيفت الإشارة إلى هذا البيت :

(٧٩) هكذا في الديوان ، أما في الخطوط : ومجئت

(٨٠) من مصيدة مطلقا .

أمين الزديار في المدح الرفباء ، إذ حيث كنت من الظلام ضياء

(٨١) رواية الديوان :

فلا تحسبوا دمي لوجد وحدثه فقد تدمع الاحداق من كثرة الضحك
 ومطلع القصيدة :

وصعرا لون النير مثل جليده على نوب الأيام والعيشة الضنك

بعض هذه الأشياء موضع جفء لا يبطل أصل وضعه فكذلك موقع «رب»
موقع «كم» و «كم» موقع «رب» لا يبطل أصل وضعهما على ما نذكر ان
شاء الله تعالى .

« باب ذكر المراضع التي تقع فيها » اب « للتقليل والتخصيص على
حقيقته وضعها »

فمن ذلك قول العرب اذا مدحوا الرجل « ربه رجلا » وهو شيء
يقولهم : « ربه رجلا » وهذه صيغة قد انقضى عليها البصريون والكوفيون
فأطبعوا ونصب عليها ميمه في كسبه « وهذا تليل محض لا ينوهم به
كسره » لأن الرجل لا يمدح بكثرة الظفر والاشبه « واما
يمدح بقله الظفر أو عدمه بالجمله « فكذلك في العجب :
انه ما حطى ميمه وخرج عن نطاقه « واما يريدون بنوهم : « ربه رجلا »
انه قليل غريب في الرجل « فكأنهم قالوا : ما أظنه في الرجل وما أشده
فيهم » ويدل على ذلك تحريكهم في المدح بلفظ القلة في نحو بنوهم :
« قل من يقول هذا » ولن من يعلم ذلك الا زيد ونحو ذلك .

قال أبو عبيدة « الأسد نوصف بالقدح^(٨٢) » وهو ان يقل الرجل
الواحدة على الأخرى « وربما كان القدح أن يغلب الرشح الى الجانب
الموحشي » أراد أن هذا قليل والاول هو الأكثر .

وقال أبو العباس المبرد في « الكامل » وكانت الخنساء وليلى مياثين
في أشعارهما الأكثر الفحول « وربما امرأة تتقدم في صناعة وقلما يكون
ذلك » (٨٣) « والجمله ما قال الله عز وجل : « أو من يشأوا في الحيلة

(٨٢) لم نشر كتب اللغة الى قول أبي عبيدة في القدح « فليس هو مختصا
بالأسد بل مطلق عام »

(٨٣) ورد الخبر في الكامل للمبرد [طبعة زكي مبارك] ١٢١٣/٢ على الوجه
الآتي : « وكانت الخنساء وليلى مياثين في أشعارهما « متقدمتين لأكثر
الفحول » وربما امرأة تتقدم في صناعة « وقلما يكون ذلك »

وهو في الخصام غير مبین ^(٨٥) . وما جانت فيه . رب . بمعنى القطة قول
العرب : وربما خان الأمير وربما سفه الحليم . أي أن هنا قد يكون ، وإن
كان الأكثر غيره كما قال قيس بن زهير ^(٨٦) :

أفلس الحليم دلّ عليّ قومي وقد يستجمل الرجل الحليم ^(٨٦)
وقال سائب بن وابتة ^(٨٧) :

لا تقرر بصديق أنت تحضه وخفه خوفك من ذي القدر والملق
إن الزلال وإن أنجلك من خصص دأباً فربما أرداك بالشرق
وقال أعشى باهلة ^(٨٨) :

لا يبطرون ذا مقرة أجبابه وربما أردى الفتى لعبابه
وقال حاتم الطائي ^(٨٩) :

نبي لأعطي سألني ولربما أكلف ما لا يستطيع فأكلف
وقال زهير :

(٨٥) سورة الزخرف . آية ١٨

(٨٥) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن واحة العبسي . أمير عبس وداعيتها
واحد السادة العادة في عرب العراق توفي سنة ١٠ هـ انظر الميداني
١/ ١٨٤ . ابن أبي الحديد ٢/ ١٥٠ خزنة الادب ٣/ ٥٣٦ ، سبط
اللائي ٥٨٢ .

(٨٦) انظر شرح الحماسة للنجاشي ١/ ٣٩٧ . والبيت من قصيدة مطلعها:
"فعلتم" أنه خير الناس ميت على جفر الهبابة لا يريم

(٨٧) سائب بن وابتة بن معبد الأسدي . أمير شاعر . من أهل الحديث
دمشق سكن الكوفة . انظر سبط اللائي ص ٨٤٤ .

(٨٨) هو أعشى باهلة عامر بن الحارث بن زباج الباهلي من
عبدان ، شاعر جاهلي يكنى أبا قحطان . انظر خزنة الادب ١/ ٩٠ ،
سبط اللائي ٧٥ .

(٧٩) هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحضر الطائي . كان فارساً جواداً .
انظر خزنة الادب ١/ ٤٩٤ ، الشريشي ٢/ ٣٣٢ .

وابيض فياض يدام غمامة على مستفيه ما تغيب فواضله^(٩٠)
وهذا خصوص لا وجه فيه للتكثير ، لانه انما أراد بالابيض حصن بن
حذيفة بن بدر الغزاري ، ولم يرد جماعة كثيرة هذه صفتهم . ألا تراه
يقول بعده :

حذيفة ينميه وبدر كلاهنا ائى يذبح يعلو على من يطاوله
وقال خوات^(٩١) بن جبير الأنصاري صاحب ذات النخين^(٩٢) :
وذات عيال واتمين بقتلها خلجت لها جاز استها خلدجان
وانما أراد بقوله : ذات عيال ذات النخين وحدها ، ولم يرد أنه قتل
هذه القصة مرارا كثيرة . وكذلك قوله^(٩٣) في هذه القضية :
وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احزبوا في عاجل أنا أجلبه
وانما أراد حاج بين حبه وحبه من الحرب فبب هذه الغمة ولم يرد
أهل أخيه كثيرة . وقال صخر بن [عمرو] بن الشريد أخو الخنساء^(٩٤)
وذى أخوة قطعت أقران بينهم كما تركوني واحدا لا أخا ليا^(٩٥)
وانما أراد بذى ههنا زيد بن حرملة الحارثي ، وهو الذي قتل أخاه
معاوية لما قتله بأخيه أشد هذا الشعر . وقوله : كما تركوني واحدا لا

- (٩٠) قال زهير من قصيدة مطلعها :
صحا القلب عن سلمى واقصر باطله وعمري الفراس الصبا ورواحله
(٩١) هو الصحيح بن شديد البوا ، اما في المخطوطة : خوات
(٩٢) ذات النخين قصة لامرأة من ثم الله بن نعبية ومثلوا مشهور . انظر
اللسان مادة : نحا .
(٩٣) القصود زهير بن ابي سلمى .
(٩٤) هو صخر بن لحارث بن الشريد الرياحي السلمي المتوفى سنة ١٠
للهجرة . وهو أخو الخنساء ، من الفرسان والغزاة . انظر التويري ،
عيون الاخبار ٣٦٦/١٥ ، الشريد ، الكامل ٢٦٦/٢ ، التبريزي ، شرح
الحجاسة ١١٠/٣ .
(٩٥) هكذا في المراجع ، اما في المخطوطة : . وذى أخوة قطعت افران
بينهم .

أحبا ، يطل معنى الكثرة ههنا ، لأن الذين تركوه بلا أخ إنما كانوا بني حرماء ، ولم يكن له أخ قيل غير معاوية . وقال بعض شعراء غسان يصف وقعة كانت بينهم وبين مذحج في موضع يعرف بالبقلاء :
وقوم على البقلاء لم يك مثله على الأرض قوم في بعيد ولا دان
وأند سيويه وغيره من النحويين :

ويوم شهدناه سلم وعامر قليل سوى الخضم السهال نوافله^(٩٦)
وقال ابن مخلاة الحصار^(٩٧) في يوم مرج راحط :

ويوم ترى الرايات فيه كأنها حوائم طير مندير وواقع^(٩٨)
فهؤلاء إنما وصلوا أياما مخصوصة بأعيانها يرى ذلك أيضا إذا نظر في أخبار هذه الأشعار التي قبلت فيها ، وذلك ما أنشد النحويون من قوله^(٩٩) :

ونار قد حضت بعد ومن^(١٠٠) يدار ما أريد بها مقام
وهذا شعر مشهور ، ولا معنى فيه للكثرة لأنه إنما وصف قصة جرت له مع الجن مرة واحدة . ونحن نذكر أياما كثيرة من أشعار المحدثين في جميعها أن رب ، للتقليل كثر استعمالها فلم ينكر أحد من العلماء عليهم فصارت لذلك كأنها حجة فمن ذلك قول أبي تمام الطائي :

عسى وطن يدنو بهم وأطمع وإن تعب الأيام فيهم فربما^(١٠١)

(٩٦) انظر كتاب سيبويه ٩٠/١ ونسبة إلى البيت رجل من بني عامر .

(٩٧) هو عمرو بن الخلافة من كلب . انظر الاغانى [مطبعة التقدم] ١١٢/١٧ .

١١٥/١٠ - ١٢٣ .

(٩٨) من مقطوعة أولها :

مضى اربح بعد اللقاء واربح وباترج باقى من دم القوم ناقع

(٩٩) البيت لتأبط شرا انظر « اللسان » مادة « حضأ » .

(١٠٠) هكذا في المخطوطة أما في اللسان : هـ .

(١٠١) مطلع قصيدة يمدح بها ابن يوسف الثغري .

يريد : ربما اعتبت في بعض الأحيان ، وقال أبو الطيب المتنبي :

ربما تحسن الصنيع لياله ولكن تكدر الأحكام^(١٠٢)

وقال :

ولربما أطر القضاة بفارس ونى فقومها بأخر منهم^(١٠٣)

وقال :

ويوم كليل العاشقين كتبه ارافقه فيه الشمس أيا ن تقرب^(١٠٤)

وقال يهجو كافورا :

وأسود أما الغلب منه فضيق نجنا وأما بطنه فرحيب^(١٠٥)

وقال يمدحه :

وأبلغ يفضي بخصاصي مشيره عصيت بقصده مشيري ونوتمي^(١٠٦)

وانما عى بالأبلغ كافورا وبمشيره ابن حنزية وزيره وكذلك قوله

لميف الدولة :

علينا لك الأسعاد ان كان ناقصا ينشق قلوب لا يشق جيوب

ورب كتيب ليس تندي جفونه ورب كثير الدمع غير كتيب^(١٠٧)

(١٠٢) من قصيدة مطلقها :

محب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عنانا

(١٠٣) من قصيدة مطلقها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضا نظرت وخلت اني اسلم

(١٠٤) من قصيدة مطلقها :

اغالب فيك الشوق والشوق أغلب واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

(١٠٥) لا توجد هذه القصيدة في الديوان (شرح العكبري) .

(١٠٦) هكذا البيت في الديوان ، اما في المخطوطة : وأبلغ يفضي بخصاصي

مشيره * وهو من قصيدة مطلقها :

فراق ومن فارقت غير مذمم وآم ومن يمت خير أميم

(١٠٧) هذا البيت في الديوان ، اما في المخطوطة :

ورب لبيب ليس تندي جفونه ورب كثير الدمع غير لبيب

ومطلع القصيدة :

وقد أوضح ما أراد من التقليل هنا في موضع آخر فأخرجه بغير
لفظ رب وهو :

وفي الأحساب مختص بوجوده وأخر يدعى معه اشتراكاً (١٠٨)

ومن أشعار المحدثين قوله :

الحر طلق ضاحك ولربما تلقاه وهو العابس المنجهم
وقال آخر :

احذر عدوك مسرة واحذر حديقك ألف مرّة

فلربما انقلب الحديق فكان أعلم بالمضرة

وقال عدي بن زيد (١٠٩) وقد أغفلنا ذكره في اشعراء المتقدمين :

يا ليني أوفدي النارا ان من تهو بين قد جارا (١١٠)

رب نار بت أرقها تقضم الهندي والنارا

عندها ظمي يؤرثها عاهد في الجيد تقصارا

بين في الشعر أنه أراد نارا تبين وحدها وقد أوضح ذلك المعري
بقوله :

ليست كنار عدي نار عديّة باتت تُسبّ على أيدي مصاليّ (١١١)

(١٠٨) من قصيدة يمدح بها أبا شجاع عضد الدولة ويروى مطلقاً :
فدى لك من يقصر عن مداكا فلا ملك اذن الا فداكا

(١٠٩) هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبّادي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ .
شاعر جاهلي من أهل الحيرة * انظر : خزانة الادب للبغدادي ١/ ١٨٤ ،
الآغانى (دار الكتب) ٩٧/ ٢ ، السيوطي ، شرح الشواهد ص ١٦١
الشعر والشعراء ص ٦٣ ، المزدباني ص ٢٤٩ .

(١١٠) رويت الابيات في الآغانى ١٤٧/ ٢

(١١١) من قصيدة يخاطب بها أبا القاسم علي بن أبي الفهم القاضي الشنوشي،
مطلقاً :

هات الحديث عن الزوراء او هينا وموقد النار لا تكوى بتكرينا

وما ليبي وإن عزت بربتها لكن غدتها رجال الهند تربتها^(١١٢)

ومما تأني فيه رب للتقليل والتخصيص أياها مطردا ويرى ذلك من تأمل الأشعار التي في الإنفاذ والاعتبار التي يصف فيها الشعراء أشياء مخصوصة بأعيانها ، ونهم كثيرا ما يستعملون ، رب ، في أوامها مصرحا بها أو الواو التي تنوب مقام ، رب ، كقول ذي الرمة :

وجاربه لبست من الأس تنسني ولا الحزن قد لاعتبها ومعي ذهني
فادخلت فيها قيد شبر موثر فصاحت ولا الله ما وجدت نرني^(١١٣)
فلما دنت اهراق الماء انصنت لأعزني عنها وفي النفس أن أنسى
وانما وصف تكره ينسني عليها ما ، وكذلك قول الآخر :

رب نهر رأيت في جوف خرج ينرامي بموجه الزخمار
ونهار رأيت منتصف الليل وبيل رأيت صف نهار
وثلاثين ألف شيخ قمودا فوق تخمين ، ينسني لانكسار
يعني بالخروج الوادي الذي لا سفذه ، وبالنهار فرح البحاري ،
وبالليل فرح الكروان ، وبالشبح الرذاذ الصغير من المطر .
وقال الأغلب الحجلي^(١١٤) ووصف تمنا ارسل عليه كلبا فعقره :

(١١٢) هكذا البيت في الديوان [طبعة صادر] ، أما في المخطوطة :

وما تبين وإن عزت بربتها لكن عزتها رجال الهند تربتها

(١١٣) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة :

فادخلت فيها قيد شبر موثر فصاحت ولا والله ما وجدت نرني

(١١٤) هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة بن بني عجل ، شاعر راجز

مصر ادرك الجاهلية والإسلام استشهد في واقعة نهاوند ، انظر خزانة

الادب للبقاعي ١/ ٣٣٣ ، المؤلف والمختلف ص ٢٢ سبط اللالي .

وطلب بات قرير العين لافى مع الصبح غراب البين
وقد عدا مجتمع الخصم فاستقبلته بحضور الحين
طلعة كلب أعطف الأذن فمرّ بهوي ثابت المانين
الى وجار بين صخرتين وانكأ منه راكب المتن
فلم يرغبه غير روعس حتى رأيت غلوه نعين
قال بصف صفراً :

يا رب صقر بفرس الحفورا ويكر العقبان والنورا
مرّ الأول منه منجيرا

وقال ابن الرومي :

ورازقي محطت الخصور كأنه مخارن البلور^(١١٥)

وقال أبو الطيب وقد أمره أبو المنائر أن يصف بطيخة مر عليها
عقد :

وسوداء منظوم عليها لأوى لها سورة البطيخ وهي من الند

وكذلك قوله في نزهة أمره أبو علي الأوداجي أن يصفها^(١١٦) :

ومنزل ليس نسب بمنزل ولا تعب الفدايات المظلل

وكذلك قوله في حفة جبل شاهده مع ابن طنج^(١١٧) :

وشامت من الجبال أمرد جرد كيفوخ البعير الأسيد^(١١٨)

(١١٥) من أرجوزة يصف فيها العنب الرازقي * انظر الديوان *

(١١٦) في الديوان قالها ارتجالا يصف كلبا أرسله أبو علي الأوداجي على ظبي *

(١١٧) في الديوان : واجتاز أبو محمد ببعض الجبال فأثارت الفلمان خشفا

فالتفتته الكلاب فقال أبو الطيب مرتجالا *

(١١٨) هكذا في المخطوطة ، أما رواية الديوان :

وشامت من الجبال أقود فرد كيفوخ البعير الأصيد

وانما أراد منزلاً معينا وجبلاً معينا ، ويدل على ذلك قوله :
 [في مثل متن المسد المعقد] زرنانه للأمر الذي لم نعهد
 وكذلك قوله في اللجة التي امتحنه فيها ابن طنج^(١١٩) :

وذا غدا لا عيب فيها سوى ان ليس تصلح للعناق
 قال الأستاذ - أعز الله - فهذه المواضع كلها ، رب ، فيها للتقليل ،
 وهي كثيرة جدا وانما نخيرت منها أوضحها ، وهذه حقيقة رب وموضوعها
 والله أعلم .

- باب ذكر المواضع التي وقعت فيها ، رب ، بمعنى التكثير على طريق المجاز -

انما تأتي ، رب ، بمعنى التكثير في معظم أحوالها في المواضع التي
 يذهب فيها الى الافتخار والمباهاة كقول القائل : ، رب عالم لقيت ، ورب
 يوم سرور شهدت ، لأن الافتخار لا يكون الا بما كثر من الأمور في الغالب
 من أحواله ، وقد يكون نقاء الرجل الواحد أذهب في الفخر من لقائه
 الجماعة ، ولكن الأول هو الأكثر فمن ذلك قول امرئ القيس :
 ألا رب يوم صانع لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل^(١٢٠)
 وقوله :

فان أمس مكروها فيا رب ينهمر كسفت اذا ما اسود وجه جيل
 وان أمس مكروها فيا رب فينة ممسة أعملتها بكران^(١٢١)

(١١٩) جاء في الديوان : وقال في وصف لعبة عند بدر بن عمار .

(١٢٠) هكذا في المخطوطة . أما رواية الديوان وشرح التعليقات لتبريزي :

ألا رب يوم لك صهن صانع

(١٢١) هكذا في الديوان . اعلم في المخطوطة :

وان أمس مكروها فيارب منية

ومطنع القصيدة :

لن طلل ابصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يماني

وقوله :

وخرق بعيد قد قطعت نياطه على ذات لوت سهوة المشي مدعان
ومجر كفلان الانعم بالغ ديار العدو ذي زهاء وأركان (١٢٢)
فهذه مواضع لا يطبق بها إلا الشكر . وكذلك قول أبي كبير
الهذلي (١٢٣) :

أزهبر أن يشب القذال فأنه 'رب' هفضل لجب لفتت بهفضل (١٢٤)
وكذلك قول أبي عطاء السدي برئوي عمر بن هبيرة الفزاري (١٢٥) :
فإن تمس مهجور الغناء قريب أقم به بعد الوفود وفود
وهذا النوع من الشعر كثير جدا . والفرق بين هذا الباب والباب
الاول ، أن الاول حذيفة ، 'رب' ، وهذا الباب مجز' يعرض لها كما
يعرض للمدح أن يخرج مخرج المدح ، وللتذكير أن يخرج مخرج التأنيت ،
وللتأنيت أن يخرج مخرج التذكير كما ذكرنا في الباب الاول . ومن الفرق
(١٢٢) هكذا في الديوان . أما روايته المخطوطة :

وخرق بعيد قد قطعت نياطه على ذات لوت سمرة المشي مدعان
ومجر كفلان الانعم بالغ ديار العدو ذي زهاء وأركان
ومطلع القصيدة :

فما نيك من ذكرى حبيب وعرفان ومم غفت آياته منذ ازمان
(١٢٣) هو أبو كبير الهذلي عامر بن الحليس من شعراء الحماسة . انظر
التبريزي ٤١/١ . خزنة الادب ٤٧٣/٣ ، الشعر والشعراء ٢٥٧ ،
سقط اللآلئ ٣٨٧ .

(١٢٤) هكذا في . اللسان . ، أما في المخطوطة : [رب هفضل لجب لفتت]
بهفضل] .

(١٢٥) عمر بن لاج بن يسار السدي أبو عطاء ، شاعر فحل . من مختصر
الدولتين . انظر فوات الوفيات ٧٣/١ ، التبريزي ٣٠/١ ، من
الدرسين . انظر فوات الوفيات ٧٣/١ ، التبريزي ٣٠/١ ، الخزنة
١٧٠/٢ . ذكر ابن قتيبة : قيل اسمه مرزوق .

بينهما ان . كم . يصلح استعمالها في هذا الباب مكرر . رب . ولا يصلح ذلك في الباب الاول . ولذلك نجد المعنى الواحد في هذا الباب يأتي بلفظ التقليل مرة ، ولفظ التكثير مرة كقول رجل من فقهين ، أشد أبو تمام في الحماسة :

وذوى طيباب مظهرين عداوة مرمى القلوب معاودي الأفاء (١٢٦)
 ناسيتهم بغضاهم وتركهم وهم اذا ذكر الصديق أعادى
 كيما أعدهم لأبعد منهم ولقد يجهل الى ذوى الاحقاد
 وقال ربيعة بن مفرغ (١٢٧) في نحو من هذا الشعر أشد أبو تمام :
 وكم من حلال لي حب خفن بعيد قلبه حلو اللسان
 ولكني وصلت الجبل منه مواصلة بجبل أبي بسان
 فعرض الشعر في هذا الشعر واحد . وقد أخرج أحدهما بلفظ
 التقليل ، وأخرج الآخر بلفظ التكثير فدل ذلك على ان . كم . و . رب .
 يتعاقبان على النسي . الواحد في هذا الباب . وربما جمعهما الشاعر في شعر
 واحد كقول عمارة بن عفيف (١٢٨) :

فان تكن الايام شين مرمي وأكون أنجاني وبلغن من غرب
 فيا رب يوم قد شربت بمشرب شفت به غيم الصدى يارد عذب
 وكم ليلة قد بنها غير أم شاحبة الحجلين مفعمة القلب
 ألا تراه قد أورد نكث أيامه ونيايه فأخرج بعض ذلك بلفظ رب .
 وبعضه بلفظ . كم . ورأى الأمن سواء . فدل ذلك ان . كم . و . رب .

(١٢٦) لم ترد الابيات في حماسة أبي تمام الى أي من الفقهيين .
 (١٢٧) الصحيح هو : يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ . انظر الخزانة
 ٢/٢١٢ ، ارشاد الأريب ٢٩٧/٧ ، والشعر والشعراء ٣١٩ .
 (١٢٨) هو عمارة بن عفيف بن جرير الخزاعي سنة ٢٣٩ هـ . انظر تاريخ
 بغداد ٢٨٢/١٢ .

في أصل وضعها وحديثها المنقيل تقيضة لكم فما الوجه في استعمالهم إياها
في مواضع التكرير التي لا تليق إلا بكم ؟

فالجواب : أن ذلك لأغراض يقصدونها : فمنها أن المنقخر يزعم
أن النسيء الذي يكثر وجوده منه يقل وجوده من غيره * وذلك أبلغ في
الاستدح والفخر من أن يكثر من غيره ككثيرته منه فاستعيرت لفظة التقليل
في موضع التكرير استعاراً بهذا المعنى كما استعيرت الفاظ الدم في موضوع
المدح : أخزاه الله ما أفصحه ، ولعنه الله ما أفصحه ، استعاراً بأن المدح قد
حصل في مرتبة من يشتم حسداً له على فضله ، لأن الفاضل هو الذي
يحدد ويوقع في عرضه والتأقص لا يلفت إليه وقد خرج الشاعر بهذا
في قوله :

ولا خلوت الدهر من حاسد وإنما الفاضل من يحسد

ولذلك قال بعض العرب : السيد من إذا أقبل همتنا ، وإذا أدبر
عينا * وكذلك استعارة أخاف المدح في موضع الدم فكون ذلك أشد على
المدحوم بلطف الدم بعينه ، لأن في ذلك مع التمدد نوعاً من الهزء كقولهم
للأحمق : يا غافل ، وللمجاهل : يا عالم * وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ،
فكذلك إذا استعيرت لفظة التقليل مكان التكرير كان أبلغ من لفظة التكرير
المحض ، ولو وقع ههنا ، وكذلك يستعيرون لكم في موضع التقليل على
وجه الهزء فيقولون : كم يضل فل ريد ، وكم حبيب فرى ، وهو لم
يقتل بطلا قط ولم يقر ضيفاً فيكون أبلغ من قولهم : هو جبان وهو جواد *
وبدل على أن هذا غرضهم في ذكر ربيب في هذا الموضع أنهم قد خرجوا
به فيهم واضح كثيرة من أشعارهم كقول سلم بن وابصة :

ومؤنس مثل جد السيف فمت به أحصي الدمار وترميني به الحدق

فما زلت ولا أبديت فاحشة إذا الرجال على أمثالها زلقوا^(١٢٩)
 ألا تراه يفتخر بأن هذا الوقت يكثر منه مع قلة وجوده من غيره .
 ومثله قول الآخر :

يا رب ليلة هول قد سررت بها إذا تضجع عنها المأجز الوكل
 وكذلك قول المعراج^(١٣٠) :

ومهمه هالك من نمرجا هائلة أهواله من أدرجا
 إذا ردا ليلة تدجج علوت أحشاء إذا ما أحنجا^(١٣١)

وتفكير هذا في أن له نسبتين مختلفتين : نسبة كثرة إلى المتفخر ،
 ونسبة قلة إلى من يمجز عنه فيأتي تارة على نسبة القلة بلفظ «رب» أهم
 إذا سموا رجلا بالبحار والعباس والحن ونحو ذلك من الصفات فربما
 أقروا فيها الألف واللام مراعاة لمذهب الصفة التي انتقلت عنها ، وربما
 حذفوا الألف واللام مراعاة لمذهب العلم الذي صارت إليه ، فتكون نسبتان
 مختلفتان تأتي أحدهما تارة ، والأخرى تارة .

وتفكير اجتماع القلة والكثرة في هذا السبب لغرض من الأغراض
 اجتماع اليقين والشك في قولهم : قد علمت أزيد عندك أم عمرو . وهذا
 كلام فليرف على طهره ، لأن الذي يدعي العلم لا يستفهم ، والذي

(١٢٩) هكذا في التبريزي ٢/٢٣٦ ، أما في المخطوطة :

فما زلت ولا أبليت فاحشة

(١٣٠) هو عبدالله بن روية بن نبيد بن صخر السعدي التميمي ، راجز مشهور
 انظر شرح شواهد القني ، الشعر والشعراء ص ٢٣٠ .

(١٣١) هكذا في المخطوطة ، أما في الديوان :

عصرا وخضنا عيشة المعلجا ومهمة هالك من نمرجا
 هائلة أهواله من أدلجا إذا ردا ليلة تدججا
 ومطلع الأرجوزة :

ما هاج أحزاننا وشجوا قد شجا من طلل كالأنحي انهجا

يستفهم لا يدعي العلم ، وإنما تأويله قد علمت حقيقة ما يستفهم غيره عنه .
فهذا وجه من وجوه التقليل في هذه الأشياء . وقد يدخلها معنى التقليل على
وجه آخر وهو أن القائل قد يقول : « رب عالم قد لقيت » وهو قد لقي
كثيرا من العلماء ولكنه يقلل من لقيه تواضعا ، ويكون أبلغ من التكثير ،
لأن الإنسان إذا حقر نفسه تواضعا ثم افتخر فوجد أعظم مما يقول جلله
فدعه . وإذا عظم نفسه وأنزلها فوق منزلتها ثم امتحن فوجد دون ذلك
هأن على من كان يعظمه . فهذا وجه من التقليل الذي يستعمل في هذه
المسائل التي معانيها معاني الكثرة . وقد يدخلها التقليل على معنى ثالث
وهو قول الرجل لصاحبه : « لا تعادني فربما ندمت » وهذا موضع ينبغي أن
نكثر فيه التدامة ، وليس بموضع تقليل وإنما تأويله أن التدامة على هذا
لو كانت قليلة لوجب أن يتخلف ما يؤدي إليها فكيف وهي كثيرة ، فصار
لفظ هذا أبلغ من التصريح بلفظ التكثير . وعلى هذا تأويل التحويلون قول
الله تعالى : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » (١٣٢) على نحو هذا
يتأول قول امرئ القيس :

ألا رب يوم سألحك لك منهما ولا سيما يوم بدارة جليل
وقول أبي كبير الهذلي :

أزهير إن يشب القمزال فإنه «رب» هيضل لجب لفتت بهيضل

إن استعارة لفظ الثليل هنا إشارة إلى أن قليل هنا فيه فخر لفاعله
فكيف كثيرة . وأما قول أبي عطاء السدي في رثاء عمر بن هيرة الغزاري :

فإن نمنس مهجور الضاء فربما أقام به بعد الوفود وفود

فقد يتأول على نحو هذا المعنى . ويحتمل أن يريد أن مدة حياته
التي كثر عليه فيها الوفود كانت قليلة . فعلى نحو هذه التأويلات تأول

(١٣٢) سورة الحجر - الآية ٢

التحويون الذين أحلوا أن • وب • للتفليل هذه الأنبياء التي ظاهرها
الكثير • ومن قال في هذا الموضع أنها للتكثير تلقى الكلام على ظاهره • ولم
يدقق الكلام فيها هذا التدقيق ولم يفسمها إلى الحقيقة والمجاز كما فعلنا
نحن والحمد لله كثيرا لما هو أهله •

المسألة الثالثة والخصمون :

الجواب - رضى الله عنك وأرضاك - هل نسمي المعز إذا المراد
ولم يخالطها شيء من الضأن غنما حقيقة أو استعارة أو مجازا • وما أراد
رسول الله صلى الله عليه وسلم : • ما من نبي إلا وقد رعى الغنم • • هل
أراد بذلك الضأن والمعز • وكذلك ما ورد في القرآن من قوله تعالى :
• وداود وسليمان إذ يحكمان في الحوت إذ بقشت فيه غنم القوم وكب
لحكمهم • هذين (١٣٣) •

وقوله تعالى : • أهنس بها على غنمي (١٣٤) • هل أراد الضأن والمعز
والله يعظم لك في شرح الجواب أجرا وبجزل لك به ذخيرة الجنة •

الجواب : من المفويين من لا يسمي المعز غنما حتى يختلط به ضأن •
كما لا يسمي غير الأبل غنما حتى يختلط به أبل • ولأجل هذا قال ابن
قتيبة في • أدب الكاتب • : يقال للضأن الكثيرة • ثلثة • • وللمعزى الكثيرة
• حبل • • وإذا اجتمعت الضأن والمعز وكثرت قيل لهما : ثلاثه • وقول
الخليل في كتاب • المعين • المعز ذوات الشعر من الغنم فجعل المعز كما ترى
نوعا من الغنم • وذكر من تكلم في الأمن أن العرب تقول في أمثالها :
• لا أعمل في ذلك معزى الغرز حتى تجتمع معزى الغرز • وذلك يعطوب
وغیره : أن الغرز هو زيد بن سعد مائة بن تميم • بل هو سعد بن زيد
مائة بن تميم ولقب الغرز لأنه كانت له معزى فسمي به هيرة : يا بني

(١٣٣) سورة الانبياء • الآية ٧٨

(١٣٤) سورة طه • الآية ١٨

اسرح بميزاك فزعها ، فقال : والله لا أزعها من حبل ، فقال لابنه
 سمصعة : اسرح بضمك ، فقال : والله لا اسرحها العرة للفتى هيرة ،
 فتعصب سعد وسكت على ما في نفسه حتى اذا أصبح غدا بالمز الى سوق
 عكاظ والناس مجتمعون فقال : الا ان هذه معزى فلا يحل لرجل أن يدع
 أن يأخذ منها شاة ، ولا يحل لرجل أن يجمع منها شاتين فأقبحها الناس .
 وذكر أبو عبيدة عن ابن الكلبي أنه قال : من أخذ منها واحدة فهي له ،
 ولا يؤخذ منها فزر وهو اثنان ، فضرب بها المثل فقال رجل من بني سعد :
 قد انقلب المعزى فبرت ببيته وما ضر سعدا ما له المنهيب

وأشد يعقوب لنصيب بن البراء :

ومرة نيسوا ناصريك ولن سعد نهم مجمعا حتى ترى غنم الفزار (١٣٥)

فسماها أحد الشعراء معزا ، وسماها الثاني غما . وذكر يعقوب
 في مساق كلامه : أنه قال لابنه هيرة : اسرح بميزاك ، وأنه قال لابنه
 سمصعة : اسرح بضمك غما ، ومرة معزا . وقيل في مساق الحكاية :
 ولا يحل لرجل أن يأخذ منها شاة . ولا يصح أن يجمع منها شاتين .
 فسماها شاة كما نرى . والمشهور من أمر الشاة : انها الغنم . وقد قال
 الخليل في كتاب : العين ، الوعد من شاة الجبل ، فأوقع اسم الشاة على
 الأوعد . وقد سموا الطيبة شاة وعزرا . قال عنترة :

يا شاة ما قصص لمن حلت له حرمت علي ولينها لم تحرم (١٣٦)
 وقال امرؤ القيس :

(١٣٥) هكذا في المخطوطة . اما في الانساق لابن دريد
 ومرة نيسوا ناصريك ولا ترى لهم وافدا حتى ترى غنم الفزار
 (١٣٦) هكذا في النبريزي في شرح التعليقات . اما رواية المخطوطة :
 فالشاة فاقصص لمن حلت له

كأنها عز بطن وادى معدو وقد انرد الغزال (١٣٧)
 وقد كثر اتساعهم في هذا حتى سوا حمير الوحش والبقر الوحشية
 شاء . قال زهير :
 يا شاء ما قنع لمن حلت له حرمت علي ولبتها لم تحرم
 فالشيء بها انث الحمير الوحشية يدل على ذلك قوله :
 ثلاث كأقواس السرا ومحل فداخض لمن لس الغمير جحظه (١٣٨)
 لأن المحل الذكر من حمير الوحش ، وبدل عليه أيضا ذكره
 الجحاش وانما هي أولاد الحمير .

(١٣٧) من قصيدة مطلعها :
 عيناك دمعهما حجال كان ثنائيهما اوشال
 (١٣٨) هكذا في المخطوطة ، اما رواية الديوان
 فقال شياء راتعات بقفزة يستأسد القرى ان حو صائله

في اللهجات المغربية والاندرلسية

إذا كان اندامى من الشارقة^(١) قد فطنوا الى اللحن وشيوعه بين العامة وأفردوا له رسال تسجله ونورحه ، فإن أصحابهم في الطرف الغربي من العالم الاسلامي اتفهم ندعوا عنايتهم فلاحظوا وسجلوا وأرخوا وخلقوا كتب ورسل^(٢) .

وكان قد نشر المستشرق J. Colin رسالة لغوية في لحن عامة أهل الأندلس وهي نسخة موجزة لكتاب "أراء الأمل من انشاء الضوال" لابن حاتم الأندلسي في مجلة Hesperis ١٢ سنة ١٩٣١ وقدم لهذه الرسالة مقدمة اتملت على جملة فوائد في موضوع لحن عامة الأندلس والديار المغربية . ثم نشر الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب كتاب "الجمانة في ازالة الرطانة"^(٣) وهو في لغة التخاطب في الأندلس ونونس وهو لبعض علماء القرن التاسع الهجري وذروه بجملة فوائد من نعليته واجتهاداته . وقد أفدت من ملاحظات المستشرق الفرنسي Colin الذي نوهنا

(١) انظر قائمة المصادر في هذا الموضوع لـ H. Thorbecke في مقدمة

"درة الفواص" للحريري ليبزك ١٨٧١ ص ٧ - ١٢ .

وانظر "خطا العامة" لكولد زيفر في

Zur Literaturgeschichte des Z. D. M. G. T. 35 1881 pp. 147-152 .

وفي فهرس المخطوطات الملكية برلين اثبت W. Ahlwardt قائمة بالتألفات المهمة في هذا الباب .

(٢) مستدبل هذا البحث بقائمة تذكر فيها كتب لحن العامة .

(٣) الجمانة في ازالة الرطانة من منشورات المعهد العلمي للآثار الشرقية في القاهرة سنة ١٩٥٣ .

يذكره في أعلاه ومن ملاحظات العلامة التوتسي الجيل تم أضفت الى ذلك كله ما توصلت اليه من تحقيقاتي في هذا الباب . والذي نعرفه من كتب لحن العامة في المغرب والاندلس فليس على كثرة التعاليف التي ذكرها أصحاب الطبقات في هذا الباب ولكن أغلبها لم يصل إلينا .

ومن هذه الكتب ما وصل إلينا . وهن نحن ذاكرون من ذلك ما هو معروف :

١ - لحن العامة لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي^(٤) التومى سنة ٣٧٩ هـ .

٢ - الرد على الزبيدي في لحن العوام محمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبي^(٥) .

٣ - المدخل في تقويم اللسان لعلي بن محمد الخافقي المعروف بابن الشاري وقد ساعد في هذا العمل محمد بن حسن بن عطية . وهذان كتابا قد عمدا الى الملاحظات التي رد بها ابن هشام اللخمي على الزبيدي وربما

(٤) أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي السجوي والقوي وهو من الشيبليّة وسكن قرطبة ، وكان من شيوخه أبو علي الغالي . وهو من أوائل من بحثوا في لغات الاندلس . وقد طبع كتابه « لحن العوام » بتحقيق الدكتور رمضان النواب [القاهرة ١٩٦٤] . وقد شرّحه مرسى بن علي الجزيري (انظر التكملة لابن الأبار ٩٢٠) نشرة كوديرا . وانظر مقدمة الشقق . ولهذا الكتاب نسخة موجزة من صنعة المؤلف نفسه ، ذكره ابن خير في فهرستها ٣٤٧ باسم « مختصر لحن العامة العامة » .

(٥) عرض ابن هشام في كتابه لأرهام الزبيدي ولأوهام ابن مكّي صاحب « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » ولهذا الكتاب نسخة مخطوطة في خزّانة الاسكوريال برقم ٤٦ . انظر ترجمته « التكملة » لابن الأبار ٣٧٠/١ ، وقد نقل السيوطي في « البغية » ص ١٦ ما ذكره ابن الأبار من ترجمة اللخمي هذا وأضاف ذاكرة (المدخل في تقويم اللسان وتعليم البيان » وقد ذكر هذا التجيبي في رحلته .

وأعطياها اسم « المدخل في تقديم اللسان »^(٦) وكلاهما من علماء القرن السابع الهجري .

٤ - انشاد الفصول وارشاد السوال لمحمد بن هاني اللخمي البني المتوفى في جبل طارق سنة ٧٣٣ هـ وهو غير محمد بن هاني الشاعر ، وقد عمد هذا الى الكتاب السابق وهو « المدخل » وأعاد تصيفه وترتيبه وزاد عليه .

٥ - ايراد اللآل من انشاد الفصول لأبي جعفر أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري المتوفى سنة ٧٧٠ هـ وبعد هذا الكتاب استدراكاً على الكتاب السابق ، ثم عمد بعد ذلك أحد العلماء فاختصر هذا الكتاب في رسالة صغيرة ، وقد طبعت في مجلة Hesperis كما أشرنا الى ذلك بناية المستشرق الفرنسي J. Colin .

٦ - القوائد العامة في لحن العامة لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزري الكلبي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ وقد أخذ عنه لسان التدين بن الخطيب (انظر نفع الطيب ط بولاق ٣/ ٢٧٢) .

٧ - تنقيف اللسان وتلقيح الجنان لأبي حفص عمر بن خلف بن مكّي^(٧) الحميري المسازري الصفلي المتوفى سنة ٥٠٠ هـ . وقد حقق

(٦) وهذا الكتاب من مخطوطات الاسكوريال رقم ٩٩ وهو صورة اخرى للمخطوط رقم ٤٦ كما اشار الى ذلك « درنبورغ » مصنف فهرست مخطوطات الاسكوريال . ومن الغريب ان ابن الأبار لم يذكر شيئاً عن هانين النسختين مع انه كتب كتابه بعد بن هشام بأقل من قرن واحد .

(٧) وهو من بلرم حاضرة صقلية وقد انتقل منها الى افريقيا بعد استيلاء النورمان عليها وتولى قضاء مدينة تونس وبها توفي سنة ٥٠٩ هـ ، وكتابه في لغة صقلية ولحن العامة بها يوم كانت عامرة بالمسلمين وهذا الكتاب من أهم الكتب في هذا الموضوع من الناحية التاريخية وذلك لانه عرض للمفرد الذي يدور على السنة الناس في عصره ، فلم يكن ناقلاً ما ذكره القدامى من ألف في هذا الموضوع على نحو ما فعل ابن الجوزي من المشاركة في « تقديم اللسان » مثلاً .

الدكتور عبدالعزيز مطر هذا الكتاب (القاهرة ١٩٦٦) • وكان المستشرق
الابيطالي المعاصر (اومبرتو رينسانو) قد نشر مقدمة هذا الكتاب في مجله
مركز الدراسات الشرقية للأباء الفرنسيسكان بالقاهرة في العدد الخامس
(١٩٥٦) وقد عرض الناشر لموضوع لحن العامة وما صنف فيه من تصانيف
في مختلف أنصار النغم الاسلامي القديم كما ترجم (ابن مكّي) ثم نشر
مقدمة الكتاب •

٨ - كتاب اورد على تنقيب اللسان لأبراهيم بن اسحاق الأجدامي
صاحب كتاب • كفاية المتحفظ ونهاية السلف • وذكر التجاني التونسي في
رحلته ص ١٨٠ هذا الكتاب •

٩ - لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام لأبي علي بن محمد بن
خليل السكوني الاشيلي المهاجر الى تونس والتوفي بها سنة ٧١٧هـ وقد
عرض فيه لأغلام العامة في أيمانهم وبدعهم وعاداتهم وهو من مخطوطات
المكتبة البلدية الزيتونية بونس رقم ٢٢٢٩ •

١٠ - الحماة في إزالة الرطاه مؤلف مجهول وقد حققه العلامة
حسن حسني عبد الوهاب كما سبق أن توهمنا به •

١١ - مقدمة نفوس النطق الحضري • يكف اللسان الحضري لسيدى
محمد البفر من سيوح جمع الزيتونة (تونس ١٣١٢هـ - ١٨٩٤م) وقد عرس
فيه للغة التخاطب في تونس وما يحدث فيها من مجازية للتفصيح كما حاول
ارجاعها للمعربة الفصيحة •

١٢ - الواسطة في أخبار مالطه لأحمد فارس الشديق أورد فيه
فصلا عن لهجة جزيرة مالطه العربية •

وفي اللغات الأوربية تصانيف كثيرة عن اللهجات العربية في الشمال
الأفريقي ومنها : • دراسات المستشرق الفرنسي وليم مارسيه عن لهجة

طنجة ، و . لهجة الحسان ، و . لهجة أولاد إبراهيم ، واللهجة التونسية ،
في كتابه :

1. Textes Arabes de Takrouna.
2. Textes Arabes d'Al-Hamma .

وهذه المصنفات جميعها تقوم على أحدهما ، بحيث فيه انعام الخصة
من وجود القول كان ينح الخصة عن الفعل والصفة أو العكس أو
ما جرى هذا المنحى .

من تاريخ العربية في تونس وديار المغرب

ويحتمل لنا هنا أن نجد ما ذكره المؤرخ الشهير عبدالرحمن بن
خلدون في ، تاريخه .^(٨) ، قال العرب أهل هذا الجيل المستجمعون عن
لغة ساهمهم الشعريين فمرسبون الشعر لهذا العهد في سائر الأعراف على
ما كان عليه سلفهم الشعريون . وأما ما به باطولات مشتملة على
مذاهب الشعر وأغراضه من السبب والمدح والثناء والهجاء . ويستطردون
في الخروج من من إلى من في الكلام ، وربما حملوا على المقصود لأول
كلامهم ، وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ، ثم بعد ذلك ينسبون ،
فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد (بالأسعيات) نسبة
إلى الأسعي راوية الحرب في أسفارهم . وأهل الشرق من العرب يسمون
هذا النوع من الشعر (بالمدوي) . إلى أن قلنا ، وأساليب الشعر وفنونه
موجودة في أسفارهم عدد ما عدا حركات الأعراب في أواخر الكلام ، فإن
غالب كلماتهم موزونة الأحر ، ويشير التفاعل من المفعول ، والمبتدأ من
الخير فرائس الكلام لا حركات الأعراب .

وقال أيضا : ، وما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث

(٨) المقدمة . فصل في أشعار العرب وأهل أمصار لهذا العهد ص ٥٧٧ .

كانوا من الأنظار ساهم في انطق بالقاف ، فإنهم (أي الأعراب) لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار كما هو مذكور في كتب العربية ، بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف ، وهو موجود للجيل أجمع ، حيث كانوا من غرب أو من شرق حتى صار ذلك علامة عليهم بين الأمم والأجيال ومختصا بهم لا يشاركون فيه غيرهم ، حتى أن من يريد التعرّف والانساب إلى الجيل والندحون فيه يحاكمهم في انطق بها ، وعندهم أنها يسمي العربي الصريح من المدخيل في الحروب والحضري بالنطق بهند القاف ، ويظهر بذلك أنها لغة مضر بعينها ، فإن هذا الجيل الباقي معظمهم ورؤسهم شرقا وغربا من ولد منصور بن عكرمة ... ابن سليم ابن منصور (بني هلال) ... وهم هذا العهد أكرّ الاسم في المصود وأغلبهم ، وهم من أعقاب مضر ، وسائر الجيل منهم في انطق بهذه القاف أسوة ، وهذه اللغة لم يندعها هذا الجيل بل هي متوارثة منهم متعاقبة ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين ، وأصلها لغة التي (ص) بينها ، وقد ادعى ذلك فيها أهل البيت ، وزعموا أن من قرأ في أم الخمر أن ... هذا السراط المستقيم) بغير القاف التي لهذا الجيل فقد انحى وأفسد صلاحه ولم أدر من أين جاء هذا فإن لغة أهل الأمصار أيضا لم يستحدثوها وإنما تناقلوها من سلفهم ، وكان أكثرهم من مضر لما نزلوا الأمصار من نदन القمح ، وأهل هذا الجيل (أي الأعراب) لم يستحدثوها أيضا إلا أنهم أبعد من مخاطبة الأعاجم من أهل الأمصار ، فهذا يرجع فيما يوجد من اللغة لديهم أنه من لغة سلفهم ، هذا مع اتفاق أهل الجيل كلهم شرقا وغربا في النطق بها ، وأنها الخاصة التي يسمي بها العربي من الهجين الحضري ، فمنهم ذلك والله الهادي المبين .^(٩)

(٩) مقدمة ابن خلدون (فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة)

ان نطق الغاف على هذا النحو مما أتى به الأعراب وأدخلوه في لغة
تونس وما حوررها من الأناجيل . ومن المفيد أن تشير إلى أن هذه الغاف قد
تحول إلى صوت حلقى هو الهمزة وهذا امر واضح في بعض الحواصر
الأفريقية العربية وليس شيء من ذلك في القرى وأجنادي . كما في مدن
المغرب الأقصى وتلمسان في الجزائر ومثل هذا قد حصل في لغة عرناطة
وجزيرة مالطة ، وهذا يظهر ما تجده في طائفة من الحواصر المصرية .
ومن المبدئي أن يمرض الأبدال للاصوات العربية الأخرى فليس
. الجيم . يأخذ حصا من الغاف وهي من غير شك في عصر ابن خلدون
كانت اما كالفاف المفقودة أو كالجيم المعلقة أو انها مشوبة بما ينسبه
الذين . ولا بد أن يكون التونسيون في عصر ، قد ورنوا في نطقهم عدد
أسلافهم ، وما هو واضح في هذا نطق ابدالهم الراي بالجيم فيقولون
مثلا في : عجوز . . عزور . وفي : الجزائر . . زازو . وفي : جاز .
. زازو^(١) ولا يمرض هذا الأبدال الا حين مخضع الجيم وانزاء هي
الكلمة الواحدة .

ملاحظات عن اللهجة التونسية

يبدأ الفعل المضارع بـ *يا* فيون للكلمة المفرد فيقولون : *ياكل* بمعنى
أكل ويضرب بمعنى *أضرب* . فإذا أرادوا جماعة المتكلمين زادوا *واو* في

(١) ومثل هذا يمرض في طائفة من العراقيين في عصرنا فهم يقولون *ييزي*
وهي *يجزي* .

الأخر فيقولون : ناكلوا ونضربوا^(١١) .

والماضي الواقع في حيز الاستفهام فقد التزموا في آخره شيئا مكسورة
سواء أكان الفعل ثلاثيا أم رباعيا أم خماسيا ... متعديا كان أم فاعلا دون
ذكر أداة الاستفهام نحو : أكرمتن وعممتن ...

كما زيدت الشين مع غير الماضي اواقسع في حيز الاستفهام ، ففي
المضارع المبدوء بـ (تاء أو نون أو الياء تزداد الشين فيقولون : تضربوش
ونكرموش ويقتلوش ، أما المبدوء بالهمزة فلم يلحقوا به الشين إلا نادرا .
وزادوا باطراد قبل الشين المذكورة في الماضي والمضارع الواقعين في
حيز الاستفهام أو احمي واوا وحل ذلك من انشباع الضم .

وقد يشبع الضم في أنتم وهم فصيран انوم وهوم ، وكذا الكسر في
أنتن فصبح وهم يخاضون انؤنة الواحد بخطاب المذكر الواحد فيقولون :

(١١) اورد صاحب الحياة هذه المسألة ص ٣٦ ومعنى هذا ان المسألة قديمة
في لغة التخاطب في التخاطب في الديار المغربية ، قال الاستاذ حسن
حسني عبدالوهاب : ... ويظهر ان هذا اللحن قديم في لغة
التخاطب عند المغاربة وربما يرجع الى القرن الرابع للهجرة ، وقد
كان هذا الاستعمال شائعا في لغة اهل الاندلس وصقلية وفي سائر
جزائر البحر المتوسط الغربي ، مثل مالطة وقوصرة وغيرها وذلك
قبل زحقة اعراب بني هلال وبني سليم الى المغرب على ان هذه
القبائل الهلالية نفسها كانت عند تزوجها الى المغرب - اواسط القرن
الثامن للهجرة - تستعمل هذا الخطبا لا محالة كما أفادنا ابن
خلدون فيما نقله من اشعار الهلاليين في تاريخه (راجع التعاليق لشمعة
التي اوردتها الاستاذ ونعيم مارسية في كتابه : النصوص العربية
العربية لتكرؤنة ، ص ٢٤

فم واخرج واشراد قومي واخرجي (١٢١) .

ومن ذلك زيادتهم الياء في الثلاثي تنخفض اذا اسند للتضمير البارز
 المتحرك فيقولون في ردا وحل ومن اذا اسندوها الى ذاك ، رديت
 وردينا ، وحليت وحلت ونحوه ، فيحيطون المعنى ، ألا ترى أن رديت ،
 يصير بصورة ردي اربعاعي الذي معناه ، أسقط ، المسند الى التاء ، ولا معنى
 لزيادته هذه الياء لأن هذه أفعال ثلاثية واصواب أنه اذا أوتي بالتضمير
 البارز المتحرك سكنت آخر الفعل لان اتصال التضمير على قياس غير المضاعف .
 ثم تفك الادغام لتكون اندغم فيه وهو آخر الفعل فتحرك الحرف المدغم
 بحركته الأصلية فيقول على هذا : رددت في ، ردا ، وحطت وقتبت بفتح
 العين ، ونقول : مللت في مل بكسر اللام الأولى وهي التي لأن حركتها
 أصلية ، وسممت في سم - بكسر اللام - على الفقه الفصحى ، وبفتحهم
 على الأخرى وهذا ما بيناه من لغة الثلاثي المنصغ اذا اتصل به ضمير
 مرفوع متحرك وهو العائني والمشهور من لغة العرب ، وبعض العرب يعني
 الادغام ويحرك الآخر لانهما الساكنين فيقول على هذه اللفظة :
 ردت ورددت (١٢٢) .

ومن ذلك قونهم ، بوايه ، الواحد النوى ، يزيدون ألفا بين الواو

(١٢١) جاء في الجملة ، ص ٢٤ ومن ذلك حذفهم الياء امر المؤنسة
 المخاطبة فيقولون للمؤنث - قم ، واصواب ، قومي ، بالياء ، علق
 الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب على هذا بقوله : اقول : هذا لحن جاء
 في لغة التخاطب لأهل الحضر بالبلاد التونسية ، أما في كلام
 الأعراب منهم فإن ياء الأمر للمخاطبة مستعملة باستمرار فيقولون

(قومي) و (اخرجي) و (اشربي) . . .

(١٢٢) انظر الجملة ص ٢٩ . اقول وهذا اللحن قديم في العربية ، جاء في
 الاقتضاب ، لابن السيد البطليوسي ص ١٢٧ . ويقال انه جاء
 على لغة من يبدل أحد الحرفين اللذين ياء نحو قولهم : قصيت اظافري
 اي قصصتها . والعرب تبدل الياء من أحد التضعيفين فيقولون
 : تظننت ، لانه لحن اللحن (الكامل للمبرد ٧٦٠/٢) .

والياء ، والصواب حذفها فتقلب الياء ألفا لتحركها وانفتح ما قبلها وتفتح
 النون فيقال (نواء) ، وكما حوا في انصرف نحووا أيضا في جمعه بالالف
 والناء فقاوا (نوايات) فزادوا ألفا بين الواو والياء ، والصواب إسقاطها
 فنقول (نويات) كما تقول حصرت في جمع حصاة لا حصايات (١٢) .

ومن ذلك زيادتهم ياء في تصغير الثلاثي المذكر ، فيقولون في تصغير
 جنبل (جَمِيل) وفي كلب (كَلْب) فيزيدون ياء أخرى غير ياء
 التصغير ويدغمون ياء التصغير فيها وهو خطأ ، والصواب (جَمِيل) و
 (كَلْب) ياء التصغير وحدها من غير زيادة ياء أخرى ، لأن حق كل ما
 كان ثلاثيا أن يصغر على فعل أحو : فليس وقري (١٣) .

(١٤) انظر الجمانه ص ٢٨ - اقول ان الذي اتبته صاحب الجمانه
 على انه من لحن عامة الاندلس والديار الافريقية يتفق هو ولحن العامة في
 ديار المغرب ويبدو ايضا ان كثيرا من مادة كتب لحن العامة منقول عما
 كتبه قدامى المغربيين كما فعل صاحب الجمانه في اعتماده على ما كتبه ابن
 فنيبة الديبوري في «ادب الكاتب» . ومثل صاحب الجمانه غير واحد ممن
 عرّض لموضوع لحن العامة من الاندلسيين والمغاربة .

(١٥) قال العلامة حسن حسني عبد الوهاب في اسفل صفحة ٢٨ من
 الجمانه ان تصغير الاسماء من وزن «فعل» على «فعليل» ومن وزن فعال
 وفعليل وفعلل على صيغة (فعليل) لم يكن خاصا باللهجة التونسية بل هو
 موجود في سائر اللهجات الحضرية لاهل المغرب قديما وحديثا . فان اهل
 الاندلس - الى آخر عهدهم باسبانيا - وكذلك اهل صقلية الى اواسط
 القرن السادس للهجرة كانوا يستعملون تلك الصيغ كما يستفاد من
 النصوص الكتابية والوثائق الواصلة اليينا
 من ذلك العصر راجع «ديوان ابن قزمان» طبعة بظر ميسورغ المصور بعناية
 Gunzlung سنة ١٨٩٦ فيما يخص لغة اهل الاندلس - وكتاب «تثقيف
 اللسان وتلقيح الجنان» لعمر بن خلف بن مكى الصقلي .

ملاحظات عن لحن العامة في المغرب في عصر الموحدين (١٥٠)

نحول كسرة ما قبل آخر اسم التفاعل الثلاثي إلى فتحة نحو : ناصر وصالح وباطل . وحل سبب هذا التحول أن أصوات التفتيح وأصوات الحلق أميل إلى الفتح منه إلى الكسر . ومن ذلك نبيوع الإمالة في الاسم المقحوم بألف مقصورة نحو عيسى وموسى .

ومن ذلك أيضا نبيوع المد بهم يقنون . علام . ويريدون بها . علم . وكذلك كان الأندلسيون ، وهم يقنون . سلوم . ويريدون بها . سلم . ولذا جمعوها على . سلايم ، ، ومن ذلك عساكير . جمع عسكر .

وعلى أنهم مبالون إلى المد براهم مبالين في الوقت نفسه إلى الفصر في الفاظ عديدة نحو : . مزامر . جمع مزمير . و . مفتح . جمع . مفتح . و . مسامر . جمع . مسامر . و . ثلاثة . لثلاثاء . من أيام الأسبوع ، و . مواد . للوادي وهم يجمعونه على . ويدان ، (١٦) .

ومن ذلك ما يحدث من الأبدال في الحروف نحو . سار . ينحول إلى . صاره . و . سور . ينحول إلى . سوره . و . سطل . ينحول إلى . سطله .

ومن ذلك تسهيل الهمزة إلى الواو نحو : واخى . أخى . والأصل . وادى . والأصل . أدى . ومن ذلك عدم استعمالهم لكلمة . سفة . إلا بصيغة الجمع . سين . أما في حالة الأفراد فالمستعمل هو . عام . وقد أنوه في استعمالهم حملاً على منه . مفرد . سين . التي هجرها في الاستعمال .

(١٥) أفدت هذه الملاحظات مما ستره كل من ليبي بروفنسالة وكولان المستشرقين الفرنسيين في مجلة Hesperis الفرنسية للدراسات المغربية والأفريقية في الجزء العاشر .

(١٦) على أن هذا الميل للفصر في هذه الألفاظ وغيرها غير مقصور على لغة العامة في المغرب في عصر الموحدين بل هو شائع في جميع أقطار المغرب الإسلامي وما زال شئ كثير من ذلك في اللهجات الدارجة لهذه فما زال التونسيون يجمعون (شباك) على (شبابك) و « ساعة » « سوايح » ومثل هذا كثيرا .

وكلمه . مسجد ، ^(١٧) وهي مذكر ولكنها تحولت الى مؤنث في لغة البربر الذين أخذوها كما أخذوا الكثير من الألفاظ العربية ، وحولوها الى " نيمسجد " وهذا التحول راجع الى ان مكان العبادة في اللغة البربرية مؤنث فلما أسلموا واستعملوا اللفظ العربي جعلوه مؤنثا ، ومثل ذلك كلمة . جامع . .

وفي مدينة خنجة نقبل النامية ، موصمة ، كلمة « موضع » الفصيحة . وبلاحتف في جميع اللغات المغربية الدارجة اصمال المتنى اصمالاتا وهذا قديم كما يدنا على ذلك النصوص التي نشرها ، ليفي بروفسال . . يقولون : صلهم الاثنين ^(١٨) .

ويقوون : زوج كلب ^(١٩) .

ومن اشيع في هذه النامية الجمع بانيا والنون ثنتين حذف ارباب الحرف كان يقال : « الصياعين » أي النحلة التي يقطنها ارباب هذه الحرفة . ويبدأ الفعل المضارع اسماء بتكلم تفرد بالنون نحو : « سير » في قولنا « سير » و « فعل » في قولنا « أصل » . أما المضارع اسماء لجماعة التثنية يبدأ بالنون ويختم بالواو نحو « سيروا » أي « سير » و « ناكلوا » أي « ناكل » . ويحذف نون المضارع اسماء الى جماعة الغائبين نحو : « ياخذوا »

(١٧) ويقال له « مصيد » حكاه غير واحد والاول انصح . ويبدو ان (مسيد) اسم بكنى معروف لدى الاندلسيين ، والصفة الوحيدة لمسجد هي مزد Mazad . غير ان اللهجات المغربية الحديثة مازال فيها (مسيد)

Msid والجمع « مساييد » Msaid ومعناه المدرسة القرآنية الملحقة بالمسجد الجامع . ومثل ذلك كلمة (جامع) فهي تشتمل على المعنيين . (١٨) أقول : ان مسألة اصمال المتنى اذا كان مكنى عنه بضمير ، واقع في اللهجات المشرقية منذ عدة قرون فلا يقال في ديار المشرق : (قتلها) بل يقال : (قتلهم) (١٩) استعمال « الزوج » الاثنين مما شاع في اللغات المغربية الدارجة وقد يعرض الابدال في كلمة « زوج » فتصبح (زوز) .

أي . يأخذون ، (٢٠) .

بقايا العربية في جزيرة مالطا

لم يبق من العربية في جزيرة مالطة الا بقايا لا يمكن أن نفي بحاجة المالمطين ولذلك تستخدم المالمطية للأمور والأحوال الساقطة (٢١) ، أما اذا أرادوا شيا آخر أقرب الى الجذ كالكوسف والوعظ وغير ذلك لجأوا الى اللغة الإيطالية .

فاذا كان المئادى عظيما فان اداء النداء ايطالية نحو : . أو مولاي . ،
واذا كان المئادى شيا غير عظيم فاداء النداء عربية نحو : يا تفاح .
يبدأ العمل المضارع المسند للمتكلم بالنون نحو : . نأخذ . أي
و آخذ . أما المسند ضمير المتكلمين فانه يذيل بالواو نحو . نأخذوا .
أي نأخذ .

وياء المضارع وناؤه يكونان مكسورين وآخره مضموم نحو :
يحببك . ويذيل بالحاء في هذه اللغة النحاء نحو : . ينح . في . يطيح .
و . حوخ . في . حوخ . و . حبس . في . خبز . و . خلخال . في
خلخال .

ومن المفيد أن نذيل هذا الباب بنماذج من الرجل ستخلص منها
عوائد لغوية . قال مدغليس أحد الرجالين الاندلسيين في مطلع أحد أترجاله .

الله يعلم ما قلبي وبنيته لقد احكم هذا المنطق فيه

وأصل الكلمة ، تحكّم ، فزيدت الفأ على نحو ما يزيد العامة في
هذه النصفة ، وما زال العامة في كثير من البلاد يستعملون هذه الزيادة .
ومثل هذه الزيادة قوله في نصيده اللامية :

(٢٠) هذا الاستعمال شائع في لغات اهل المشرق الماريجة ، ويبدو انه قديم .
(٢١) انظر الواسطة في معرفة احوال مالطة لاحمد فارس الشدياق
ص ٥٦ (الجواثب ١٢٩٩ هـ) .

لقد أخذتني جمال هذا الملح ولكن مذكور أنا هو يتخذل
والأصل . خذلتني ، فزادها ألفاً ، ومثل ذلك قوله في قصيدة أخرى :
لو رأيت كف كُنْ - تشبَعوا بالعين وما ندري أن روعي تشيع
والأصل . تشيع ، فزادها ألفاً . وكقوله في بيت من زجل مطلعته :
نلت أنبا في البانين لَسْ تَجَدُ في كل موضع
النسيم والمخضر والطيور نُسَمَ وإتراء وإسْمَعُ
وميلاح بحال حور العين في رياض تشبه الجنة
وعسيرة عسيرة نظفروا الخلال تجننا
لَسْ تطبق نغارفوها وهي تحمل طاق عنا
وكان الشمس فيها وجهه عاشق إذ يودع
فالواو في لفظة . نغارفوها . زائد في الأصل ، وأمثال ذلك في نظمهم
كثير جدا . وقد ينقصون حرفا من أصل الكلمة كقول ابن قزمان في
مطلع زجل له وهو :

يا من قلني غيايو متٌ نستريح من عذابو
وأصل الكلمة . مى . محذوف الألف منها ، وكقوله في مطلع
قصيدته الكافية :

أما حقاً ندري من أين مجيئك نعو فيك انفس الذي تبيعوك
وأصل الكلمة . شمت . وقوله أيضا في مطلع زجل له وهو :
حملني عشق الملاح فوق استطاعي وما نصر عمري فيه يمتد بعبي
وأصل الكلمة . استطاعي . . .
وقد يزيدون همزة في كلمة لا وجه لزيادتها كما ينقصون أخرى ،
فمن زيادتها قول ابن قزمان في زجل مطلعته :

تَظَرُّ بِطَرَفِ عَيْنٍ وَعَيْنٍ لِلْحَيْطِ نَفْلَهَا وَتَشْكُو وَتَحْبِسُ
في جملة الكلام الذي قال :

أَيْنَ الصُّدُودِ وَفَدَاكَ مَا طَالَ أَتَخِيلُ أَنَّ بَعْدَ صُورَةِ الْحَالِ
فَرَجَ لَمْرِي كَرِبَهُ وَأَنَسَ

وأصل الكلمة : تخيل ، بغير همزة ، وكقول مدغليس في مطلع زجل وهو :

مَنْ أَشْنَوْتُ أَكْبَادِي وَأَيْكَتَ أَجْفَانِي
أَللهُ لَا يَنْسَاهَا مَفْدَارُ مَا تَسَالَى

وأصل الكلمة : شئت ، بغير همزة ومثل هذا كثير .

أما انقاس الهمزة فكقول مدغليس في مطلع زجل وهو :

لَسْتُ نَبِيَّ عَرِ ذِي الشَّرِيهِ وَهَيْتَ أَمِيتَ وَالْحَدِ
قَدْ أَعْرَبَ أَتَانِي لَمُومٌ وَدَفَعَنِي جَلْدِي لِلْحَدِ

بريسه . أَمِيتَ والأحد . فحذف الهمزة ، وكقوله في قصيدته الكافية المسطورة :

أَمَّا حَقًّا نَدْرِي مِنْ أَيْنَ مَجِيئِكَ نَسْتَوْفِيكَ أَنْفَاسَ الَّذِي شِعْمُوكَ

وأصل الكلمة : مجيئك . بالنهر ومن جميل الأزجال الذي وقع فيه انقاص الهمزة كما وقع انقصال انواع الغميه بشكل واضح قول أبي عبيد الله محمد بن حنون الحلا القريبي في زجل له مطلعته :

كَمْ بَتَ مُنْكَدٌ مِنْ هَوَاكَ وَهَجْرَانِكَ يَا مَلِيحَ الْفَدِ

يَا مَلِيحَ بَعْنِ سَمَّاكَ أَشْ هَذَا التَّجْنِي

طُولُ مَا نَتَهَيَّ فَرِيكَ نَعْدَ أَنْتَ عَنِي

إِنْ كَانَ الرَّقِيبُ يَلْتَمِحُ لِيكَ قَضِيَّةَ عَنِي

ليس أنا في ذا الجحد عوذ بالقرين يا حبيبي الأخير هو أجود
فقد أسقط الهمزة في موضعين في قوله ، نيك ، بسنى ، نيك ، وفي
، عوذ ، وأصلها ، أعوذ ، ، وما يعرض لهم زيادة الد في الكلمة والنصر
في كلمة أخرى ، فمن الزيادة قول ابن فرمان في رجل له مطلقه :

مررت لي على ذا الشراب ووجدتو أن حلو

تركسوا قوم وآء لا

أنا مدعي الطلا

عمدة الألف في قوله ، آء ، وهو ينج عامي وربما كان شيئاً انقصه
الوزن ، ومن نصر الله أندي يعمس في كلامهم قول ابن فرمان في مطلق
رجل له :

دع ذي الأخبار وخلفها سافه زانت الشح وجات احسدافه
فكقوله ، الشح ، و ، حاب ، من هذا الموضوع :

وما يعرض لهم من هذه الألوان العمة تشديد التحف وتخفيف
التشدد ، فالأول مثل تشديد حروف الجري في مل ، ميه ، و ، عنه ، كقول
ابن فرمان في مطلق رجل له وهو :

ذا السدود نمت منو قد رحلت من أجلسو

فل يا فليبي وش عمت شكو جودوا أو عدو

وكقول مدغلي في مطلق قصيدة :

أنا تايب من هوا يا مسلمين اللزيم بجمل فليبي في يد آمين
والأصل في ، اليد ، عدم التشديد .

أما تخفيف التشدد فهو كثير في أفعالهم ومن ذلك قول ابن فرمان :

أي حشرات في قلب من يهواك إن مضى أو بقي

كان تصدق لو انك أت تلقى عشر ما قد مضى
أنا في حيرة مرة أرجوك ومرة نفسي
ونرى كلما نؤمل فيك إن صدق أو يخيب
فقوله « مرة » الأخيرة بغير تشديد وهو ما يقتضيه أفامة الوزن .
ومن ذلك تحريك الساكن وتكين المتحرك ، ولعل هذا يحدث في فصيح
العربية وذلك ما تقتضيه الضرورة الشعرية .

وقد يشبهون الحركة حتى يتولد المد ، ومن ذلك اشباع الضمة حتى
تصير واوآ كقول مدغليس :

نوفد أنفاسك الذكية شماع في قلبنا عني نستشوق
فالواو في « نستشوق » من اشباع ضمة القاف . ومن ذلك قول
ابن فرمان :

يمشاقوا قلبي وهو ما يعشق ومعني فيه الحود اش يفلق
فالألف في « يمشاقوا » من اشباع فتحة الشين ، وكذلك « معني »
فالألف فيها من الفتحة . ومن اشباع الكسرة حتى تولد الياء قول ابن فرمان :
فالوا عني بأنني عاشق نقتل يصدفوا

يا حيبي لفتيت كثير في الناس بالحكم ينطقوا

هنا شني والبي « يا نور عيني ما تحدثت فيه

ول بالله خطر على بالي لا ولا خضت فيه

انما في الطريق وأنا نمشي كل من نلتقيه

يسدني لي بالسلام ويسألني عندما نلتقوا

ويقول لي فلان بحق الله من صحيح تشقوا

والشاهد المطلوب في كلمة « به » فان الياء نشأت من اشباع الكسرة

في الياء . وكما حصل الانزياح في الحركة حصل عكسه فقد قصرت الواو
في قُلُوبًا ، والأصل ، قلوبًا . كما في قول مدغليس :

نوفد أنفاسه الزكية شماع في قلبا مي ما يستنقوك

وقد يعرض في كلامهم جزء الأفعال وليس من جزم نها كما يعرض
العكس أيضا وهذا هو سبيل الغلبة في كثير من أقطار العربية . كما يعرض
في أرجائهم تذكير المؤنث ونائب المذكر .

ومما تجب الإشارة إليه إقامة الحرف مقام الكلمة فبقيون الكاف
مقام . كافر ، والهاء مقام . خذ ، فمن الأول قول مدغليس :

وكنحلف أن لا نغشق أيديا نولا ما نخشى بشرين الجين

يريد . وكنا نحلف . ، وهذا كثير في أرجالهم

ومن الثاني قول ابن حنون الحلا في زجل له :

قد ضحك ضوء الصباح وانفتح سر النوار

لا زمان غير ذا الزمان اعلاء على الرسول

خُترا ذا المهرجان خُترا جرد القديول

فقوله : . خُترا . بمعنى . خذ ترى . .

وفي هذه الأرجال تتضح العامية بألوانها فقد تغيرت الكلمة الفصيحة
تغيراً اقتضته طبيعة العامية في ميلها إلى اختصار الكلمة . ألا ترى ان . ليس .
صارت . لس . و . الذي . صارت . اللي . و . الساعة . صارت . الما .
كقول ابن فرمان في زجله :

تعرف اسماء (النسا) يقل لك لا ، في الكلام عن الخمر

وهذا نظير ما حدث في اللغات الدارجة في ديار اسرى العربي .

وكانهم اشتروا على الرجال أن يوغل في هذه الألوان العامية فقد

ذكروا ان ابن فرمان امام الزاجلين قد قال في الكلام على عيوب الزجل :

« ومن عيوب الزجل اعراب كلامه سيما ان قصد الاعراب وأحسن ما كان
منه باللغة العامية » (٢٢) وقد قال في خطبة ديوانه : وقد جردت فني من
الاعراب كما يجرد السيف من اعراب ، فمن دخل علي من هذا الباب
فقد أخطأ وما أصاب . »

وبعد فهذه جملة فوائد اقيمتها لتذيل بها هذا الفصل وهي تكشف عن
ألوان من العامية الأندلسية في عصر ملوك الطوائف .

.....
(٢٢) الكتاب العاقل العالمي والمرخص العالمي تصفي الدين الحلبي ، عنى
بتصحيحه وله سلم هونريانخ الالماخي . ص ٦٨ . والأزجال التي ذكرتها
من الكتاب نفسه .

أبراد اللال من انشاء الصوال لابن خاتمة الاندلسي حققه وعلق عليه الدكتور ابراهيم السامرائي

ابن خاتمة الانصاري (*)

هو أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد علي بن محمد ابن خاتمة
الانصاري الاندلسي . طبيب مؤرخ من الادباء البلغاء . من أهل المريسة
(Almería) بالاندلس . تصدر الافراء فيها بالجامع الاعظم . زار غرناطة
مرات . قال لساد الدين بن الخطيب في الاحاطة : . وهو الآن بقيد
الحياة . وذلك ثاني عشر شعبان سنة ٧٧٠ .
وقال ابن الجوزي : . توفي وله ثياب وسهمون سنة . .
وتم نستطع التبت من تاريخ وفاته .
نصائفه :

- ١ - مزية المريسة على غيرها من البلاد الاندلسية
- ٢ - رائق التحلية في وثق التورية
- ٣ - الحق احق بالحق في الحرف بين اسم الجنس وعلم الجنس
- ٤ - تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الواحد
وقد وضعه سنة ٧٤٧ هـ ابان نقسي الطاعون في المريسة وسائر البلدان
وقد سماه الافرنج . الطاعون الاسود . (La Peste Noire)
- ٥ - ابراد اللال من انشاء الصوال

(*) الاحاطة ١١٤/١ . غاية النهاية ٨٧/١ . معجم الاطباء ١١١ .
الاعلام ١٧١/١ . وهدية العارفين ١١٣/١ وشجرة النور ٢٢٩ . وانظر
G.A.I. t II pp. 259

- أدرج علماء اللغة كتب ابن خاتمة هذا ضمن كتب « لحن العامة » .
- وقد اهتم المستشرقون كما اهتم العرب أنفسهم بهذا الضرب من الكتب (**).
- (*) ١ - ظهرت أول قائمة للكتب « لحن العامة » سنة ١٨٧١ .
- وقد صنف هذا الثابت « ثوربيكه Thorbecke » وكان ذلك في مقدمته لكتاب « نرة الخواص في أوهام الخواص » لبحري .
- ٢ - وقد استدرج Goldziher على ما فعله ثوربيكه فنشر ذلك في مجلة جمعية المستشرقين الألمان Z.D.M.G. Bd. 27 سنة ١٨٧٣ ص ١٥٥ وما بعدها .
- ٣ - وقد استدرج المؤلف نفسه في مقال آخر نشره في المجلة المذكورة سنة ١٨٨١ ص ١٤٧-١٥٢ فيه على أن في شرح النووي على مسلم وفي الكشكول للعامل اقتباسات من كتاب « تنقيف اللسان » لابن مكي الصفدي .
- ٤ - وفي عام ١٩٢٤ كتب عيسى اسكندر المعلوف مقالا في « اللهجة العربية العامية » في العدد الأول من مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ص ٣٦٨-٣٥٠ عرض فيه لمؤلفات القدماء التي تبحث في العامي والدخيل والمغرب . ثم عاد فنشر مقالا آخر في العدد الثالث من المجلة المذكورة .
- ٥ - وفي عام ١٩٢٦ نشر عز الدين التنوخى كتاب « نكته اصلاح ما تقلط فيه العامة » للجواليقي بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مجلد ١٤ ص ١٦٢-٢٢٦) وعرض في المقدمة لطائفة من كتب « لحن العامة » .
- ٦ - ثم عقب كوركيس عواد في مقالة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مجلد ١٧ سنة ١٩٤٢) ص ٢٨٢-٢٧٢ فإشار إلى طائفة من كتب لحن العامة وكان عنوان مقاله : « نظائر أخرى لتكملة الجواليقي » .
- ٧ - وجاء عبدالقادر المغربي واستدرج على سابقه فنشر ثوبا آخر في مقالة بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مجلد ٢٥ سنة ١٩٥٠) ص ٢٧١-٢٧٧ عنوانها « كتاب تصحيح التصحيف للصلاح الصفدي » .
- ٨ - وفي عام ١٩٥٢ نشر « حسن حسني عبدالوهاب الصادعي » كتاب « الجبانة في إزالة الرطانة » لأحد علماء المغرب في القرن التاسع الهجري وأخصى ما ألفه علماء المغرب والأندلس في لحن العامة أحد عشر كتابا .
- ٩ - وفي عام ١٩٥٦ نشر المستشرق الإيطالي « امبرتو ريزيتانو Umberto Rizzitano » قائمة بكتب لحن العامة في مقدمة دراسته لكتاب « تنقيف اللسان » لابن مكي الصقلي نشرها في مجلة مركز الدراسات الشرفية الإيطالية .

وكتاب ابن خاتمة هذا يعرض لطائفة من الكلمات مما ورد في النصيح
فانتملها العامة ففهموا من ضبطها أو غيروا من دلالتها * على ان جملة
كبيرة من هذه المواد بقيت في لغة العوام على هيأتها النصيحة *
ولم تعرف الا القليل عما كتب في عامية الأندلس والمغرب على كثرة
المصنفات التي أشارت اليها كتب الفهارس وكتب التراجم ولكنها لم
تصل إلينا *

وقد أشار ابن خاتمة الى أن كتابه كان مما اختصره من كتاب ابن
هشام السبتي في لغة عامة أهل الأندلس *

وابن هشام^(١) هذا هو محمد بن أحمد بن هشام بن ابراهيم بن
خلف اللخمي السبتي وكنيته أبو عبادة ، أديب ولغوي أندلسي *
أخذ عن أبي بكر بن الأعرابي وأبي طاهر السلمي ونقل عنهما ،
ودرس النحو واللغة والأدب * واهتم باللغة اهتماما كبيرا * وصنف كثيرا
من الكتب وهي :

١ - الفصول والجميل وفيه شرح لشواهد الجمل للزجاجي

٢ - كتاب لحن العامة

٣ - شرح نصيح حلب

٤ - شرح مفصورة ابن دريد

٥ - المخل في تقويم اللسان وتطعيم البيان^(٢)

١٠ - استمدرك صديقنا الدكتور رمضان عبدالنواب على قائمة
« زير تانو » وصحيح فيها في كتابه « لحن العامة والتطور اللغوي » ص ٨٢ *
كما نجد عرضا وافيا في هذا الكتاب لقوائم الكتب التي أشرنا اليها وزاد
عليها فوائد ذات قيمة في هذا الموضوع *
استمدرك : فاتنا ان نشير الى ان في فهرس المخطوطات الملكية لخزانة
برلين قائمة بالمصنفات الم (Vol 6 1894) التي جمعها W. Ahlwardt

(١) انظر اتمكلة لابن الأبار ١/ ٣٧٠ وبشيرة الوعاة *

(٢) ما زاده السيوطي على ما ذكره ابن الأبار **

وفي الأسكوريال مخطوطان برقم (٤٦) و (٩٩) لابن هشام في باب
• لحن أحمد • كما في فهرست (دريورغ) •

المخطوطة الأولى رقم (٤٦) وهي تشمل على • كتاب الرد على
الزبيدي • (٣) في • لحن الموام • وقد أشار (دريورغ) أن ابن هشام لا يرد
على الزبيدي وحده بل أنه يرد على ابن مكي^(٤) صاحب • تنقيح اللسان
ونلقيح الجنان •

أما المخطوطة الثانية رقم (٩٩) فإن دريورغ قد أشار إلى أنه تتضمن
مادة المخطوطة الأولى (٤٦) وهذه المخطوطة هي التي أشار إليها السيوطي
وسماها • المدخل في تنويع اللسان وتعليم آيين • •

ومن الغريب أن ابن الأثير لم يشير بشيء إلى هذا الكتاب • ولعل
هذا الكتاب هو كتاب • لحن العامة • الذي أشار إليه ابن الأثير •
وكانت وفاة ابن هشام هذا سنة ٥٦٠ هـ •

ونقد أشار صاحبنا ابن خاتمة إلى ابن هاني السبني^(٥) وهو محمد
بن علي بن هاني المحمدي السبني أبو عداة المتوفى سنة ٧٣٣ هـ • وقد
أشار السيوطي إلى أنه من المتألفات • لحن العامة • •

ولعل هذا الكتاب هو الذي أشار إليه ابن خاتمة وسماه • انشاء
الفضول وإرشاد السوال • واختصره في كتيبه الموسوم به • إيراد اللؤلؤ من
انشاد الفضول • • •

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن النحوي والمغربي الأندلسي • سكن
قرطبة وكان تلميذ أبي علي القالي وقو توفي سنة ٣٧٩ هـ وكان أول من
بحث في • لحن العامة • في الأندلس • انظر بقية الرواة ص ٣٤ وإرشاد
الأريب ٥١٨/٦ •

(٤) أبو حفص عمر بن خلف بن مكي الشافعي المتوفى سنة ٥٠٦ هـ •
انظر انباء الرواة على انباء المنحة ٣٢٩/٢ • بقية الرواة ص ٣٦١ •
(٥) انظر البنية ٨٢ •

عملنا في « أيراد اللؤلؤ »

تدبير المستشرق الفرنسي G.S. Colin هذا الكتاب في مجلته
Hesperis V. 12 1931

وقدم له « وقد وجدت أن تلك النشرة

م تستوفى حقتها من الناحية فنيّة الفوائد للدارسين « ثم أنها حلت من
كثير من التعليقات القيمة فكان ذلك حافزاً على إعادة نشرها وإكمالها بما
يحتاج إليه من ملاحظات ضرورية »

ومن المفيد أن أشير إلى أن تلك النشرة تدرج كل البند في ذلك أنها من
مواد المجلة المشار إليها « والمجلة عزيزة المثل في زيادة المشرقة بل في
وجودها في كثير من بلدان في الشرق العربي »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

ومن « أيراد اللؤلؤ » من أشاد العقول « الذين حصة الأضواء
رحمة الله - أحضر فيه كتاب « أشاد العقول وأرشاد السؤال للإسراء
أبي عبد الله بن هاني الحنفي الذي رتب فيه « نحن بعده « للإسراء المحوي
أبي عبد الله ابن هاني - رحمه الله جميع به - »

أصواع وأصواع وأصاع (على القلب) وأصاع (على النمل) -
نحان في جمع أصاع وهو يدكر ويؤنث ^(١) -
أصاع وأصاع - في كل واحد منهما أصاع بنت : فتح الأول والثالث
وضمهما معاً ، وكسرهما ، وفتح الأول وضم الثالث وكسره ، وضم الأول
وفتح الثالث وكسره ، وكسر الأول وفتح الثالث وضمه ،
وفي « أصاع » لغة عائرة وهي « أصواع » مثل أسلوب والأفصح
(٦) ليس في استعمال العوام لهذا اللفظ ما يعتمد على الفصح
المشهور -

في • الأصبع • كسر الأول وفتح الثالث ، وفي • الأمانة • فتحتها مئة^(٧) .
 اسراقيل - يقال اللام والنون ، وكذلك اسماعيل واسرائيل^(٨) .
 أيتار وآبار (على النقل) وأبوز وبثار وإبار (على القلب) جمع بشر^(٩) .
 اصطل - (باسكان الياء وتخفيف اللام) لموقف الدواب ، ويجمع
 على أصاطب وأصاطيب وحطابل وحطاطيل ، ويصفر على أصيطب
 وصطيطل^(١٠) .

برقع - فيه ثلاث لغات ضم القاف وفتحها وبرفوع بالواو .
 بطة - للذكر والأنثى والمجمع بطة ، وهي الأوزة • والبطة أيضاً
 (٧) ومنل ، أصوخ ، أصبع وائمة فاستعمال العامة لهما جاد على
 الفصحاة .

(٨) جاء في المعرب ص ١٤ : اسماعيل فيه لغتان : اسماعيل ،
 و اسماعين .
 قال الراجز :

قالت جوارى الحى لما جينا هذا ورب البيت اسماعينا
 وأما اسرائيل ففيه لغات قالوا : اسرايل • كما قالوا : ميكال •
 وقالوا : اسرائيل • وقالوا أيضاً : اسرائين • بالنون • قال أمية على
 اسرايل •

لا أرى من يعيننى في حياتى غير نفسى إلا بنى اسرايل
 وقال أعرابى ساد ضيأ فجاء به إلى أهله • وقال :
 يقول أهل السوق لما جينا هذا ورب البيت اسرائينا
 (٩) قال G.S. Colin في تعليقه : تحولت الكلمة إلى • ير • في
 عامية أهل الاندلس كما قالوا لصانع البئر • بيار •
 قلت : وليس في معجمات العربية (إبار) جمع بشر •
 (١٠) جاء في اللسان : قال ابن بري : لم يذكر الجوهري الاصطبل
 لأنه أعجمي • وقد تكلمت به العرب •

قلت : وجمعه في لغة أهل عصرنا اصطبلات على التانيث • وقال
 G.S. Colin في اللاتينية Stabulum وعله اختصر صبال
 وجمعه صبول • وفي اليمن في عصرنا هذا صيل للعلج الذي يلتجئ إليه
 المسافر في الطريق •

- الإيلاء الذي يجعل فيه الزيت وهي لغة شامية عربية صحيحة^(١١) .
- برنامج - (يفتح الميم) كلمة فارسية وهو زعم تسمية مناع التجار
وسلمهم وقد قيل ، برنامج ، بكر الميم والاول أشهر^(١٢) .
- بوفال - يفتح الباء والجمع بوافيل^(١٣) .
- برادة - والجمع براريد عربية قسيحة، ويقال لها القاية أيضا^(١٤) .
- بلورج - للطائر المعروف الآن في الربيع^(١٥) .

ثمان - في عدد المؤنث يقال : ثبات ثبات نصياً وحذفها خفضاً ورفعاً ،
وحكمه حكم المنقوس في كافة أحواله وبحذفها جملة ، والأعراب على التون
وكذلك ثمانى عشرة يقال : ثبات ثبات وحذفها .

ثلاثة الدنانير وأربعة الدراهم - وكذلك إلى العشرة يقال بحذف
الألف واللام من أسماء الأعداد في حلة اضافتها إلى العشر المعرف بالألف
واللام ، وهو المختار عند جميع النحاة كوفهم وبصريتهم . وأجاز الكوفيون
مع ذلك قياساً إليهما فنقول : الثلاثة دنانير والأربعة دراهم^(١٦) .

(١١) كذا في «اللسان» وزاد عليه : إنها أعجمية معربة . وفيه : إن
البطة الدابة بلغة أهل مكة لأنها تعمل على شكل البطة من الحيوان . وأنظر
«العرب» ص ٦٤ .

(١٢) الألفاظ الفارسية المعربة ص ٦٥ وهو تعريب برنامج .

(١٣) جاء في «اللسان» : أنه ضرب من الكيزان .

(١٤) جاء في «اللسان» : قال الأزهري : لا أدري أمن كلام العرب
أم المولعين .

(١٥) قال G.S. Colin من اليونانية ، بلارج ، هو معروف في بلاد
الشمالي الأفريقي Cigogne أنظر W. Marcé: Textes Arabes
de Tanger, p. 235

وهو معروف في إسبانيا باسم Bullaga

(١٦) الذي أجازوه الكوفيون من تعريف العدد دون المعداد هو الضائع
في لغتنا الحديثة . ولا يلجأ إلى الاستنباط الأول نحو ثلاثة الدراهم .

جير وجيار - لغتان بمعنى وهو الذي تلاط به اليونان (١٧) .

جدرى - يقال غصم النجيم وفتح النال وفتحهم معاً .

جسر - المقنطرة ، يقال بفتح النجيم وكسرها .

جزاة الصوف - بكسر النجيم .

جمادى الأولى وجمادى الآخرة - على التأنيث ، وأجاز فطرب (١٨) :

جمادى الأول وجمادى الآخر على التذكير وقول : إذا قلت الأول

والآخر على تذكير المسمى ، وإذا قلت الأولى والآخرة فلي تأنيث جمادى

فالتأنيث محمول على الملقب والتذكير على المسمى .

ذو الحجة - بكسر الحاء خسة وفي المشارق (١٩) : . ذو الحجة

بفتح الحاء ولا يجوز فيه الكسر عند أكثرهم وأجازه بعضهم . على .

قبل أول .

خوخ - بفتح الخاء وانواحدة خوخة وهو المرسك (٢٠) . والخوخة

أيضا الكوة البائدة في الحائط .

(١٧) في معجم ابن الحناء : ان جير كلمة عامية تعني الجبس او

الجبس Chaux والنقطة الغصية حيار لا أن حسدا قد ترك استعماله

لانصرافه الى العامل في الجير G.S. Colin

(١٨) هو ابو علي محمد بن المستنير البصري المعروف بفطرب احد

العلماء باللغة والسحر - المتوفى سنة ٢٠٦ هـ . انظر ترجمته في أخبار

التحويين البصريين للسري ص ٥٩ . نزعة الانبياء لابن الانباري ص ٦٠ .

بقية الوعاة ص ١٠٥ .

(١٩) انظر مشارق الابوار . على صحاح الآثار . المقاضي عيسى

ط - فاس سنة ١٢٢٨ ص ١٨١ .

(٢٠) لعل المرسك من اليونانية او من اللاتينية

خولنجان - باتشباخ الخطاء واوآ ولام مكسورة (٢٢١) .

دفتر (٢٢٢) - بفتح الدال وكسر هـ ونظر بإبدال الدال فاء لغات بمعنى .
ديس (٢٢٣) - لفظ عمي والحرب تسميه الأسل وهو الذي تتخذ منه
الحصن . ووقع في كلام أبي حنيفة ما يقتضي ان الديس عربي .
دائرة (٢٢٤) - بضم الدال وتشديد الراء .

دغوة - منقطة الراء ودغوة ودغاية خمس لغات .
الرخو والرمقل - بغلان بفتح الراء وكسر هـ والكر أفصح .
ربيع الأول وربيع الثاني - يتوهم بهما وقد يحذف لالقاء الساكنين
وبابه الضرورة .
زجاج - مثلث الراء .

زريعه - الحفيف المحب المردوح والجمع زرائع ، وزريعه بكسر
الأول وتشديد النسي والجمع زرايع وليس في الكلام معتل ولا
معتلة بالفتح .

(٢٢١) لم يذكر ، الخولنجان ، في ، المغرب ، ولا في ، شفاء القليل .
ولا في ، كتاب الأعطاف الفارسية المربعة . ، ولعله التحنج وهو شجر
فارسي ينخذ من خشبه الاواني والجمع الخلاج . انظر اللسان «خلنج» .
(٢٢٢) جاء في ، المغرب ، ص ١٤٧ : ان الدفن عربي صحيح لا خلاف
في ذلك . قال ابن الانباري : ولا يعرف له اشتقاق . وانظر شفاء
القليل . اما ، النعتر ، فقد جاء في ، اللسان ، : انه لغة في دفتر ،
حكاه كراع عن النجاشي ، قال ابن سيده : وأراه محميا .
(٢٢٣) لعله من العامية الاندلسية . اما الاسل فقد ذكر ابو حنيفة
، اللسان ، : انه عبدان تنبت طولا دقاقا مستوية لا ورق لها يعمل
منها الحصن .
(٢٢٤) الدائرة والمدرج : ضرب من الثياب التي تلبس ، وقيل جبة
مشفوقة المقدم ، اللسان (درج) .

زَفِيرَف^(٢٥) - أعجمي وهو عند العرب العُتَاب *

زُرْيَابِي - لفول النفلو المملوح منسوب الى زُرْيَابِي غلام اسحاق
الموصلِي وهو أول من اتخذ قسب اليه *

زُرْبِيَّة^(٢٦) - بكسر أوله اللطيفة والجمع زُرَابِي *

طفال^(٢٧) - بكسر الطاء وضمها للطين اليابس الذي يفضل به الشعر ،
وهو الطربون أيضا *

طفل - بكسر الطاء للصبي الصغير والمؤنثة طفلة ، وأما الطفلة بالفتح
فالجارية الناعمة الجسم *

كاغد^(٢٨) - يقال بالذال معجمة ومهملة وبالطاء المعجمة أيضا ، وهذه
عن ثعلب وأبي بكر بن دريد *

كبد وكرش - فيهما ثلاث لغات : فتح الفاء وكسر العين ، وسكون
العين مع كسر الفاء وفتحها ، وكذلك فيما شاكلهما ، فإن كان الثاني حرف
حلق ك (لعب) و (ضحك) جاز أيضا كسر الفاء اتباعا *

كراء - بالمد والقصر لغتان بمعنى ، ومن قصر كتب بالألف لقولهم :

(٢٥) لم يذكر زَفِيرَف في كتب اللغة - وليس في كتب العرب
والدخيل ذكر له ، ولعله مما عربية أو استعجمه عامة أهل الاندلس ،
والذي يدل على هذا تعليق Colin عليه فقال : زَفِيرَف من اللفظة
الدارجة في الشمالى الأفريقى وهو Jujubier ، وفي جامع مفردات
ابن البيطار ١٦٥/٢ ، انه المناب عند أهل الاندلس *

(٢٦) في اللسان : الزُرْبِيَّة الطنفسة وتكسر زايها ونفتح وتنسم
وجمعها زُرَابِي ، وقال الفراء في قوله تعالى ، وزُرَابِي مَبْنُونَةٌ ، الطنافس لها
خمل ، وروى عن المؤرج انه قال في قوله تعالى ، الآية : زُرَابِي النبت
إذا اصفر أو احمر وفيه خضرة *

(٢٧) لم اهتم الى وجود الطفال أو الطربون فيما بين يدي من مظان ،
ولعلهما من عامية الاندلس *

(٢٨) في كتاب اللغات الفارسية العربية ، : انه فارسي محض بمعنى
القرطاس ، ولا وجود له في شفا، الغليل *

• أعط الأجير كبرونه •

كراع - يضم الكاف وهو من الانسان ما دون الركبة ، ومن الدواب

ما دون الكعب •

كيرسة (٢٩) - بكسر الكاف نبات معروف •

كوة - بالفتح والضم والاول أنصح وأنهر •

كبر (٣٠) - بفتح الكاف والباء المخففة نبات معروف •

كرويا (٣١) - قال أبو حنيفة : الكرويا تابل ليس بعربي ، ولا

يُدري أين من أم لا فان مد فهو اثنى •

كدس - يقال يضم الكاف وفتحها والجمع أكدس وهو ما جمع من

طعام أو غيره •

كنبوش (٣٢) - لنقل أعجمي تقوله العامة لما تجعله المرأة على رأسها

تحت مقنعتها من حرير وغيره ، وهو عند العرب الصقاع (٣٣) والفخارة (٣٤)

(٢٩) جاء في جامع مفردات ابن البيطار ٦٣/٤ : انها شجيرة صغيرة

دقيقة الورق والأغصان لها ثمر في غلف •

(٣٠) جاء في العرب : قال أبو بكر : واحسب ان الكبر معرب

واسمه بالعربية الأصنف • قال أحمد محمد شاكر محقق العرب : لم

أجد هنا النص في الجبهرية ، ولكن فيها : ٢٦٠/٣ : الأصنف الشجر

الذي يسمى الكبر وأهل نجد يسمونه الشفلح • وكذا في الجبهرية •

٣٢٩/٣ وفي اللسان : الكبر الأصنف فارسي معرب وهو نبات له

شوك • ونقل ادبي شير ان لفظه في الفارسية كلفظه في العربية • والذي

يترجح عندي انه عربي خالص •

(٣١) في جامع مفردات ابن البيطار ٦٥/٤ : هي القرنبياذ

والقرنفار وهو بزر صغير الحبة معروف عند الناس ••

(٣٢) ليس الكنبوش من مواد العرب ، ولا شفاء القليل ، الا ان

ادبي شير في كتاب الالفاظ الفارسية المعربة قد ذكر انه : البرذعة تجعل

تحت سرج الفرس •

(٣٣) في اللسان الصقاع : خرقه تكون على رأس المرأة توقي

بها الخمار من الدهن ، وربما قيل للبرقع صقاع ، وله معان أخرى •

(٣٤) في اللسان الفخارة : خرقه تكون دون المقنعة توقي بها

المرأة الخمار من الدهن ، ولها معان أخرى •

والوقاية (٣٥) والوقية (٣٦) والشتقة (٣٧) .

كشاجم (٣٨) - يفتح الكاف لقب شاعر جمعت أحرفه من صناعاته
أخذت الكاف من كاتب ، وانشئ من شاعر ، والألف من أديب ، واجيم
من منجم ، وإيم من مفسر . ثم طلب الخطيب بعد ذلك حتى مهر فيه وسائر
أكثر علمه فزاد في لقبه جاء من صيب ، وهدمت على سائر الحروف لغلبة
الطلب عليه ، فقل طكشاجم ، ولكنه لم يسر سير كشاجم .

كوب - بعض الآية وزعم أبو عبيدة أن الكوب من الأباريق ،
الواسع الذي لا حرموم له ، وقيل : بل هو الذي لا عروة له .

كوز - ثلاثة ، إذا كانت عروء والأهوى كوبة .

كيت وكيت - لا يكنى بهما إلا عن الأفعال ، وبيت وبيت لا يكنى
بهما إلا عن الأفعال .

لص - بكسر اللام وضمة . ولصن (٣٩) بكسر اللام وفتحها
أربع لغات .

(٣٥) في : اللسان ، : الوفاء ، : الوقاية ، : الوقاية
والواقية : كل ما وقيت به شيئا .

(٣٦) أرى أن يكون : الوقية ، مصححه من الوقية التي بعد الكلاء
والحفظ إذ ليس في اللغة : الوقية .

(٣٧) في : اللسان ، : الشسفة حرفة تكون على رأس المرأة نقي
به الخمار من الدهن .

(٣٨) هو محمد بن الحسين (أو ابن محمد بن الحسين) بن السندي
بن شاعك أبو الفصح الرملي المعروف بكشاجم شاعر مفسر أديب من كتاب
الأنباء . فارسي الأصل توفي سنة ٣٦٠ هـ . انظر المدارات لشهابنسي
١٦٧-١٧٠ وانظر الاعلام للزركلي ٤٢/٨ .

(٣٩) في اللسان . واللصت لغة في اللص ابتلوا من صاده ماء
وغيروا بناء الكلمة لما حدث فيها من البطل ، وقيل : هي لغة . فقال
المحياني : وهي لغة طرية وبعض الأنصار وجمعه لصوت . وانظر
المعرب ص ٢٢١ .

لَبَان - بضم اللام وهو الكتندر^(٤١) .

مقرول المرأة - مثلت الميم عن المطرز^(٤٢) والكسر أفصحهما .

مائدة ومائدة^(٤٣) - وهي أضعف .

مسجيد^(٤٤) - ويقال : مسيد . حكاية غير واحد والأول أفصح .

منمشى - يقال : كسر امين وهو أفصح وينحيه وهو أضعف .

مرأة وامرأة وامرأة^(٤٥) - ينقل حركة الهمزة للراء وتسهيلها ،

ومرة بالنقل وحذف الهمزة . أربع لغات بمعنى .

متديل - فيه ثلاث لغات : كسر اميم وهي المتصيبة وحكى ابن جني

(٢١) انظر جامع معرديات ابن البيطار ٨٣/٤ .

(٢٢) هو محمد بن عطاء الله بن أبي هاشم أبو عمر المطبوع

الجاوردي . المعروف بفلام تعني لغة التلقة صاحب التصانيف الكثيرة

المؤلف سنة ٣٤٥ هـ انظر في انباء الرواة ١٧١/٣ . نزعة الألسنة

ص ١٩٠ . بغيه الزعماء ٦٩ .

(٢٣) في : سماء العيش ، ص ٢٥٥ . ميدة لغة في المائدة .

(٢٤) قال G.S. Colin : لم يكن مسجد معروفًا في الأندلسية

والصيغة الوحيدة التي كانت معروفة هي مراد Mazad ، غير أن اللهجات

المغربية اتخذته تعرف : مسيد ، Masid ، جامع ، مسائد ، ومعناه

المدرس القرآنية الملحقة بالمسجد الجامع . وكذلك كلمة : جامع . سمين

على التبعين كما في W. Marçais, Texte Arabes de Tanger p. 52

وليس من السهل أن تعرف التاريخ الذي تحول فيه مساجد إلى

مساجد . والياء يدل من الجب . ومنها أحد التكنية الإسلامية

Mesqida—Mezqita والاصطلاح Meschita والجريدة la-Mezqida

وفي اللهجة الأندلسية تحولت مسجد إلى مسيد . مسيد لم يأت مراد .

ومن المفيد أن نشير إلى أن مسيد كانت معروفة في لغة صعيدية الإسلامية .

(٢٥) هذه اللغة لم ترد في الكتب المطبوعة . وهذا يعني أن الكلمة

ثلاث لغات منها (مرة) وهي التي بقيت في أكثر الألسن العربية الدارجة

وفي هذه اللغة ورد قول الراجز :

تقول عرسي وهي لي في عومرة يش أمروا والتي يش المرو

فتحتها ، والثالثة مبدل واشتقاقه من النذل وهو الجذب^(٢٥) . ويقال له أيضا المشوش .

ملاك التزويج وإملاكه - لغتان بمعنى ، فأما ملاك الأمر فيقال بكسر الميم وفتحها .

معدة ومعدة - لغتان بمعنى ككلمة وكلمة .

مرزقوش ومرزجوش ومرزنجوش - ثلاث لغات بمعنى المنقَر^(٢٦) .

مجرة - فيها خمس لغات فتح الميم والياء ، وكسر الميم وفتح الباء ، وفتح الميم وضم الباء ، وحابورة ، ومجرة بشديد الياء . ملك اليمين - مثلت الميم .

مقبض السكين وغيرها - بفتح الميم وكسر الباء ، وكسر الميم وفتح الباء ، وبفتحهما ثلاث لغات بمعنى وو ما قبضت عليه منه . مخدة - بكسر الميم .

(٢٥) وفي « اللسان » : قالوا واشتقاقه من النذل أي الوسخ .
(٢٦) في « اللسان » : قال أبو الهيثم : مرزقوش معرب معناه
الثلاث الاذن ، وفي « الغاموس » : ان المرزقوش معرب « مرزقوش » وان
المرزجوش معرب « مرزقوش » وفي « المعرب » ص ٣٠٩ : وليس المرزجوش
والمرزقوش من كلام العرب ، إنما هي بالفارسية « مرزقوش » (بضم الميم
والدال) أي ميت الاذن . وقد استعملوه . قال ابن مقبل :

يعنون بالمرزقوش الورد ضاحية على صعايب ماء الضالة اللجن
نعتة بالورد لأن المرزجوش اذا بلخ أحمرت أوراقه . والمرزقوش
أيضا الزعفران . وقال صاحب « المعيار » : « مرزن » بالفارسية الفار
و « كوش » الاذن ، مسمى لانه شبيه باذن الفار . وقال ادنى شير :
المرزنجوش : من الرياحين دقيق الورد يزهر أبيض عطري تعريب
« مرزن كوش » ومعناه آذان الفار .

وعنقر صحف ، المطبوع ، إلى ، عنقر . وفي « مفردات ابن البيطار » إلى
عنقر والصحيح ما أثبتناه . وفي « اللسان » : قال أبو حنيفة : ولا يكون
الا ببلاد العرب . وانظر وصفه في « المختار » ص ٣٣٩ .

منجم (*) - مثل منجل للذي يندق به الوند وغيره .

مقلين (**) - يكر الميم واللام لبعض الطيور ويكنى بأبي الدانير .

مرد^(١٧) - لفعل مولد يقال بكر الراء وفتحها وميمه مفتوحة ،

مرد يترد ويشرد . فلي الكسر يقال : بالكسر ، وعلى الغم يقال :
بالفتح .

مسلخ - يفتح الميم لموضع من الحمام تنزل فيه الثياب . فام المسلخ
بكرها فاثوب الذي يسلخ كالثوب : وهو اثوب الذي يلي الجسد ،
واليفضل : وهو اثوب الذي تفضل به المرأة .

مالتخونا^(١٨) - بنون ساكنة بعد اللام لداء معروف .

منجب بنسه - يفتح الحيم للمتكبر من العجب وهو الكبر .

مشق - يفتح الميم وكسر الشين للذي تصطك ألبسة حتى

تسحب^(١٩) والفعل منه : مشق يمشق مشقاً فهو مشق .

مبضأة^(٢٠) بكر الميم والهمز للمبوضأ وهو حيث يتوضأ والجمع

المواضيء والياء فيها منقبة عن واو تكونها وانكسار ما قبلها .

موسيق^(٢١) - ياء بعد السين .

ا. ورد^(٢٢) - بالمد وقد يقال : ماورد . على مة من يقول : ما .

(٢٣) وفي اللهجة المغربية : عيجم .

(٢٤) وفي اللهجة المغربية مفين . وفي الجزائر : مرقومة .

(٢٥) لا وجود له في المعجمات ولا في كتب اللغة الأخرى .

(٢٦) لم أجده في سائر كتب العربيات والدخيل . وهو داء السرداء

المعروف بين الناس بالمأخوليا .

(٢٧) كذا في : النسان ، وهو الصواب أما في المطبوع بعد تصحيف

الى : تنسحجا .

(٢٨) ذكر الخفاجي في : شفاء القليل ص ٢٥٧ : ان العامة تقول

مبضأة .

(٢٩) وقد تفصر فيقال : موسيقي . وقد تكون بالياء موسيقي .

(٣٠) أنظر جامع مفردات ابن البيطار ، ١٣٦/٥ .

بالقصر .

مثير (٥٣) - بكر الميم والهمزة مسلة الحديد ، فما الذي تحبس فيه الأبر فتيانه حائر .

موسوس - بكر الواو الثانية للذي غلبت الوسوسة وهي حديث النفس .

مفرق - للذي أمه كريمة وأبوه خسيس وهو المذراع أيضا ، وإنما سُمي المذراع للرقعتين في ذراع البغل وإنما صارت فيه من أجل الحمار .

النون

نعم (٥٤) - بضم النونين وفتحهما لريحانة طيبة الريح . قال الزبيدي (٥٥) : والضم أعجب إلي وأفصح .

ند (٥٦) - بفتح النون وكسرها لضرب من الطيب .

نية (٥٧) - نقال بتخفيفها وتشديدتها .

(٥٣) جاء في اللسان : والاهرة مسلة الحديد والجمع أبر وأبار . قال القطامي :

وقول المراء ينفذ بعد حين إما أن لا تجاوزها الأبار

أما المأبر لما تحبس فيه الأبر فهو مقيس لم يذكره كتب اللغة .

(٥٤) في اللسان : النعم (بضم النونين وفتحهما) والنمعاغ : بقله . والعامة تقول : نعمع (بفتحهما) . وفي الصحاح : ونعمع مفسور من نماع ولم ينسبه إلى العامة .

(٥٥) هو أبو بكر محمد بن حسن بن مفرح الزبيدي المتوفى ٢٧٩هـ . انظر مقدمة ، لحن العوام ، ص ٨٨-٩٢ . وقول الزبيدي المنسار إليه في لحن العوام ص ٨٨ : وقد روى بعض اللغويين ، نعمع ، بالفتح والاول ، أي بالضم ، أفصح وأعرف .

وجاء في ، تاج العروس ، : أما النعمع فأحسبه عربيا .

(٥٦) في اللسان : الند ضرب من الطيب يدخل به . قال ابن دريد : لا أحسب الند عربيا صحيحا .

(٥٧) لم اهتم إلى وجه التخفيف في كتب اللغة ونعله من لحن العوام .

نُتَوَّر (٥٨) - يفتح النون والفاء ، ويُلوغر باللام لتَوَّر أصفر يَبُت
بِالْفُذَر •

نِفس (٥٩) - يكسر النون وفتحها للمداد •

نُؤَة (٦٠) - يكسر النون وضمها لثان •

نَحْوِي (٦١) - يأسكان الماء وفتحها منسوب إلى النحر ، وقد أجمع
نحاة الكوفة وطائفة من نحاة البصرة على جواز فتح عين فعل إذا كان حلقياً •
نُحْرَة - مثل توهمة ذباب أخضر أزرق يدخل في أنوف الذباب •

نُفْثَة - يضم النونين اللحمة المتدلية على أعلى الحلق •

نُفَاخَة - يفتح النون وهي الحجا والواحدة حِجَاة (٦٢) وهي النفائع
التي تطفو على الماء ، وهي الحباب أيضا والواحدة حِبَابَة •

المصاد

مُتَنَف - يكسر الصاد وفتحها للنوع •

مُتَوِّر - يفتح الصاد والنون لضرب من الشجر معروف •

مُتَوَّر - يكسر الصاد لمشي الخالي ويكون للواحد والجمع •

(٥٨) ذكر الجعاجي في شعاع الخليل ص ٢٦٧ : انه اسم فارسي ...
وقد تلاعبوا به فخنقوه وقاتلوا سوفر • وذكره أدب شجر ص ١٥٥ •

(٥٩) في اللسان : النفس الذي يكتب به بالكسر • ولعل النفس
يفتح النون المشار إليه من لحن العامة •

(٦٠) وكذا التيسوان والتيسوان (بالكسر والضم) (اللسان) •

(٦١) أقول : ان فتح عين الفعل اذا كان حلقياً غالباً في العربية
وليس مسألة جواز • ولا يدخل في هذا «نحو» • والذي أراه ان الفتح في
حاء «نحو» من باب لحن العوام •

(٦٢) في اللسان : والحجاة نفخاة ناء من قَطَر أو غيره • وقد
ضبطت النفخة بضم النون وتشديد الفاء وهذا يعني ان «النفخة» يفتح
النون المشار إليها من لحن العوام •

مَبَّ (٦٣) - لغة عجمية تقولها العامة زجراً للهر إذا أبسده ، وانما
تقول له العرب : إخساً وكذلك للكلب .

صِراح - بكسر الصاد مصدر صارحت بالأمر تقول : فعلت ذلك
صِراحاً فأما الصُّراح بانغمس بالخالص من كل شيء .
سَفَلِيَّة - يفتح الصاد والقاف تجزيرة معروفة .

الضاد

ضحية - فيها أربع لغات : أضحية (بضم الهجزة) وهي العليا ،
واضحية (بكسرها) ، وأضحاة ، وضحية وهي أضعها .
صفة الوادي - بكسر الضاد وضمها لجانبه .

المين

عَزَبَ (٦٤) (يفتح المين والزاي) للذكر والأنثى وهو مصدر وصف
به لا بتنى ولا يجمع ولا يؤنث .
عجزت عن الشيء - (يفتح الجيم وقد تكسر) إذا لم تستطع ، فإن
استطعت قلت : كسلت عنه .
غارية - (بتثنية الياء) والتخفيف فيها لغة قليلة ، وقالوا أيضاً
• عادة • مثل غارذ •

عجوز وعجوزة - لغتان بمعنى والأولى أفصح .

عَزَفَ - لفظ أعجمي قوله العامة لورق الدوم (٦٥) وهو عند
العرب الخوص والواحدة خمسة ، والخوص أيضاً ورق النخل وما شاكله .

(٦٣) يبدو أن مَبَّ كلمة أندلسية ما زال المغاربة يستعملونها
زجراً للقط • وهي في الإسبانية adez لزجر الكلب والقط .
(٦٤) جاء في اللسان : رجل عزب لا أهل له • وامرأة عزبة وعزوب
لا زوج لها •

(٦٥) في اللسان : قال أبو منصور : الدوم شجر يشبه النخل
إلا أنه يثمر المفل • وله ليف وخوص مثل خوص النخل •

الفاء

- فِيدَنْثَر وفَرَنْد^(٦٦) - لفتان بمعنى ، وفي الصحاح إفرند (بالهمز) وهي طرائق السيف .
 فقار القلهر - يفتح الفاء والواحدة فقارة وكذلك ذو الفقار سبب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .
 فسطان^(٦٧) - اسم أعجمي تقوله العامة لبعض النياب الرومية .
 فقنوص^(٦٨) - يفتح الفاء .

القاف

- قَنْفَد - بالذال المعجمة وعينه تضم وتفتح ويقال له أيضا قَنْفَط وقَنْفَط^(٦٩) .
 قراميد^(٧٠) لأجر مطبوخ فارسي معرَّب والواحد قيريد . فلما القرميد فلما طلي به الحائط من جص أو جِيار^(٧١) أو غيرهما .
 قَط - والآنثى قطة ، ويقال له أيضا الهر والسنثور والقنطوس^(٧٢) والضيون .

- (٦٦) الفرند والامريد لفتان أما العندر فهو على القلب ولم يرد في كتب اللغة وأكبر الظن أنه من الكلام العامي . فالمسألة بظهور كثيرا من الكلم النصيح .
 (٦٧) الفسطان من العامية الاندلسية وهو من الكلمة الرومانية فستان (٦٨) في اللسان ان القنوص هو البطيخ . وما زالت الكلمة معروفة في الشمالي الاقربى لمدل على البقطين الاقربى .
 (٦٩) لعل القنط (يضم القاف والفاء) وفتحهما من العامية الاندلسية . وفي اللهجات المغربية الحديثة نرى : قَنْفُود ، أو : قَنْفُوط .
 (٧٠) في : العرب . ص ٢٥٤ قال ابن دريد : القرميد قالوا : صو الأجر بالرومية أو شيء يشبهه .
 (٧١) جيار الصاروج وهو اذا خلط الرماد بالثورة . أنظر اللسان .
 (٧٢) لعل القنطوس من العامية الاندلسية والذي يحمل على هذا ان الكلمة ما زالت معروفة في بلاد الشمالي الاقربى . وهي في اللاتينية Catus والضيون السنثور المذكور .

قَبِيط (٧٢) - وَقَبِيطِي وَقَبِيطَاء (بالمد والتخفيف) لضرب من
الحلواء وهو الناطف .

قِنَب (٧٢) - يقال بكسر القاف وضمها وهو قِنَب وقِنَم .
فماري - بكسر القاف وفتحها للمود السوب الى مكان بالهند يقال
له قِمار وقِمار .

قيردان - بفتح الراء وضمها وكذلك في النسب اليه وأصله فارسي .
قِلَّة النجيل وقِنْتَه - أعلاء والقِلَّة الحجرة العظيمة .
قطن - بنون مخففة للمذي تسميه العامة شاء بلوط . فأما القسطل
باللام فالخيبار .

قَبَاب (٧٥) - لفظ عامي يطلقونه على ما يصنع من الخشب على هيئة
النحل . وإنما القَبَاب عند العرب الرجل الكثير الكلام . والقَبَاب أيضا
صوب أنياب الفحل .

قَارِب (٧٦) - (بكسر الراء) لضرب من السفن .
قرنان (٧٧) - (بفتح القاف) الديوث لأنه يقرن بأهله غيره .
فُرُق (٧٨) - لفظ أعجمي والعرب تسميه النمل .

(٧٣) هو حلوى من السمس والفسل يعرف قبيطي في مقلية . أما
في المغرب قَبِيط .

(٧٤) من المفيد أن نقول انه في اللاتينية Canabis
(٧٥) في اللسان : القَبَاب النمل المتخذة من خشب بلغة اهل اليمن .
وكذلك للرجل الكثير الكلام وله معان أخرى في كتب اللغة .
(٧٦) من المفيد ان نشير الى انه في اليونانية واللاتينية Carabis
(٧٧) جاء في شعراء الفليل ، ص ٢١٣ : قرنان يوزن سكران عامية
مولدة . وفي اللهجة الاندلسية : قران . وما زال العراقيون يستعملون
في المعنى نفسه ، أبو قرون . أي ذو القرون .

(٧٨) ما تزال الكلمة معروفة في اللهجات المغربية وموريتانيا ومالطة
وهي رومانية الأصل . وجاء في زجل لابن فرمان (انظر الشفاء ص ١٥٤)
بعثت قرقي المفراق يصلحو
وقد تعذر غيراط من النمن

تعليق G.S. Colin

قَمَقَمٌ (٧٩) - (بضم القافين) لانه من تحاس وهو في الرومية .
 قَدَس - (بفتح القاف والذال) والجمع أقداس وقُدوس لكبران
 الدولاب وهي العمار (٨٠) .
 قَفَقَفَ من البرد وتَقَفَفَ وقَرَقَفَ بمعنى ، والقَفَقَفَ والقَرَقَفَ
 الرعدة .

السين

سَفَرِي - متوع من الرمان [منسوب] الى سَفَر بن عبدالله وكان
 من رجال عبدالرحمان الداخل الى الاندلس الأموي . وكان عبدالرحمن
 قد وجه هدية الى أخيه بالشام من الاندلس فوجهت له هي أيضا من طرائف
 الشام وفواكهه ، فكان فيما وجهته رمان شامي فلم يصل الى الاندلس الا
 وقد فسد ، فأعطى عبدالرحمن رجاله من تلك الهدية وقسم عليهم من ذلك
 الرمان ، فأخذ سَفَر بن عبدالله وغرسه فبث فأخذ الناس من عنده وزرعوه
 ونسبوه اليه فقالوا سَفَرِي .

سَفِيان (٨١) - (مثلت السين) والضم أنصح ، والفتح أضف .
 سوار (بكسر السين وضمها) وأسوار - ثلاث لغات بمعنى .
 سداد - (بفتح السين) القصد والصواب ، فأما سيداد الثغر والقارورة
 وهو ما يند به النبي فيالكسر .
 وقولهم : سداد من عوز ومن عيش ، لا تُسَدُّ به الخلقة تكسر

(٧٩) في اللهجات المغربية : قَمَقَم .
 (٨٠) والماتر بهذا المعنى لم تعرف في اللغة الفصحى ولا في لهجات
 الاندلس ولعلها «المصامير» جمع عصور وهو دلو الدولاب كما قال ابن
 الاعرابي . وقال الليث : المصامير دلاء المنجنون . وهي عصامير جمع
 عصور بالضاد المعجمة (اللسان) .
 (٨١) جاء في الاشتقاق ص ١٦٦ : (سفيان) فعيلان بضم السين
 وكسرهما واشتقاقه من الساقى وهو ما سقطه الريح .

فيه ونفتح لأنه آخذ بطرفين من معنيين : سداد الثغر وسداد الرأي ،
ولكونه الى معنى سداد الثغر أقرب كان الكسر أقصَح .

سلة وسل^(٨٢) - لوعاء كالجؤنة .

سرعان الناس^(٨٣) - يقال يفتح السين والراء ، وسكون الراء والسين
مفتوحة ومضمومة .

ساف^(٨٤) - لفظ عامي يطلقونه على طائر تسميه العرب الباشق
بكر السين المعجمة وفتحها .

سردين^(٨٥) - بكر السين وبفتح السين ولس عربي .

ساية^(٨٦) - للبحر ونحوه من الدواب التي يربط بها الرشاء ليخرج
الضرب من البحر ساية . فأما الآلة فهي الدولاب يسم اندال وفتحها ،
والعمود القائم في الوسط المنحون ، والكيزان يقال لها العمائر^(٨٧) والأقداس
واحدها قدس والبئر التي يستقي منها تسمى السنوية .

(٨٢) عبارة اللسان : لوعاء كالجؤنة المطيعة . وقال ابن دريد :
لا احسب السلة عربية . ولم ترد في كتب العرب . والجؤنة سائلة
مستديرة مقشاة أدما .

(٨٣) في . اللسان . سرعان الناس وسرعانهم (يفتحهما ثم يسكون
الراء) أو انهم المستبقون الى الامر . ولا وجه لضم السين الا ان يحمل
على لحن العامة .

(٨٤) الساف في الكلام الفصيح لصف الحجارة في الجدار . يقال :
ساف من البناء وسافان وثلاثة أسف .

(٨٥) ويقال : سردين بالبدال المهمل . وهذا يدل على تقدم الكلمة
في الاستعمال .

(٨٦) هي الناقة التي يستقي عليها أو البئر . وفيل : الغرب
وأداته . (اللسان) .

(٨٧) لم يرد هذا المعنى في كلمة ، عبارة ، في كتب اللغة . وأكبر
الظن أنها من مصطلحات الكيزاني في لغة أهل الاندلس . ولعلها المعاصير .
انظر مادة قدس ، التي تقدمت في . القاف .

سبينية^(٨٨) - (يفتح السين والياء) لضرب من الثياب ، ومنهم من يهزها .
 سرقة ابطون - ما تبقى بعد اقطع فان لم تقطع فهي السر والسرار
 أيضا بالفتح .
 سلومي - (يفتح السين) بعض الكلاب منسوب الى سلوق موضع
 باليمن نسب اليه الكلاب واندروع .
 سحنون - (يفتح السين) ويقتضها ، اسم طائر حديد ، لقب
 به أبو سعيد عبد السلام^(٨٩) حذو ذهنه في المائل .

السين

سوزن - (يضم السين) وشيز^(٩٠) لغة فيه .
 شطرنج^(٩١) - ومن جود اشتقاقه من المشاطرة فبده بالسين المجمة .
 ومن جود اشتقاقه اسطير فبده بالسين المهملة . وحكى ابن جني : ان
 الصواب كسر السين ليكون على باب جرد حل .
 (٨٨) جاء في اللسان : السبينية ضرب من السياب تتخذ من مشافة
 الكتان الغلط ما يكون . وقيل : منسوبة الى موضع بتاحية المغرب يقال له
 سبجن . ومنهم من يهزها فيقول السبينية . قال ابن سيده : وبالجملة
 فاني لا احسبها عربية . وما زالت عند المقاربة معروفة ، سبينية ، بكسر
 السين وسكون الياء لفظاء الرأس .
 (٨٩) هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون
 قاض ، فقيه انتهت اليه رئاسة العلم بالمغرب وقد توفي سنة ٢٤٠ هـ .
 انظر معجم الايمان ٤٩/٢ .
 (٩٠) الشيبين من البرز بكسر السين عبر مهموز . عن ابي حنيفة :
 هي الحبسة السوداء . قال : وهو فارسي الاصل . قال : والفرس
 يسمونه الشونيز يضم السين . وفي المطبوعة قد صحفت الى « شينير » .
 انظر اللسان .
 (٩١) جاء في : المغرب ، ص ٢٠٩ : الشطرنج : فارسي معرب .
 وبعضهم بكسر سينه . جاء في : اللسان . : وكسر السين فيه اجود
 ليكون من باب جرد حل . وقال في : القاموس . : والسين لغة فيه .

شحاذ^(٩٢) - للسائل يأخذ من الناس اليسير ويشحنهم كما يشحن
 المسن الحديدية ويأخذ منها شيا فشيئا .
 ناشية - لفظة أعجمية وهي عند العرب القنسوة^(٩٣) .
 شهر كذا - الشهور كلها بأسمائها دون إضافة إلى شهر ، إلا ثلاثة
 فإنه يقال فيها شهر كذا وهي : شهر رمضان وشهرا ربيع ، وقد استعملا
 بغير إضافة والأول أشهر .

الهاء

هراق - لفظة عامية يطلقونها على القارورة التي يبول فيها العليل
 وإنما يقال لها ميوالة بكسر الميم .
 هات^(٩١) - أصلها هات ، المأخوذ من هاتى ، يؤتى ، بمعنى
 أعطى فقلت الهزة هاء كما قلت في أرفق قبل : هرفت ، وتصريفها
 تصريف هات في الأقران والتثنية والجمع .
 هيدورة^(٩٤) - لفظة أعجمية والعرب تسميها المسلاخ .

(٩٢) جاء في « شفاء الغليل » ص ١٦١ : شحات للسائل وسماوا
 شحانة بالمثلثة وصوابه شحاذ وشحاذة حين شحذ السيف صقله .
 (٩٣) في « شفاء الغليل » ص ١٦٥ : الشاش هو معروف يلف على
 الرأس وبعد ألف يسمى عباعة وهو مولد منقول من اللغة الهندية .
 وما زالت الشاشية معروفة في أقاليم المغرب العربي لضرب من القلائس
 مصنوعة من الشاش .

(٩٤) لا اظن أن هات ، أصلها آت ، من آتى ، بمعنى أعطى
 بل الوجه عندى أن هذه لفة وتلك لفة - ومن المؤكد أن الذي يقول هات
 لا يقول آت . والهمزة في أول الفعل تقابل الهاء في أول الفعل ومنه :
 هرق ، وأرق ، وهلا وآلا ومثله الزيادة بالهمزة والهاء نحو : هراق
 وأراق .

(٩٥) لم أجدها في كتب اللغة ولعلها كلمة مغربية قديمة ، والذي
 يحمل على هذا أنها ما زالت معروفة في المغرب يعنى جلد الفقم المدبوغ مع
 أبقا ، صوفه ليستخدم منه سجادة .

الواو

وصم - (يفتح المضاد) لكل شيء . وفيت به اللحم من الأرض من خشية أو حيوان أو غير ذلك .
 واد - لكل بطن مطئن من الأرض ، وربما استقر فيه ماء وانجمع أودية على غير قياس وأوداء وأودية . قال أبو الفتح : ولم يأت في كلامهم فاعل يجمع على أقلية غير حرفين خاصة : وادٍ وأودية ، وجائر وأجوزة للجذع ينسب إليه البيت^(٩٦) .

الياء

وادي يلبان - لموضع قريب من سبنة . ويلبان هو صاحب سبنة ومنتجة الرومي الذي صالح موسى بن نصير .
 يوسف - مثلث السين بالواو ويهزء عوضها . ست لغات بمعنى والضم مع الواو أقصحتها .
 يونس - فيه ست لغات كذلك .
 يثق^(٩٧) - لفظلة عامية يطلقونها على الذي يعتقد به اللبن والعرب تسميه الإلفحة بكسر الهزء والحاء مخففة ومشددة .
 يمنة ويسرة - يفتح أولهما وإسكان ثانيهما .

(٩٦) الجائر من البيت : الخشبة التي تحبل خشب البيت ، والجمع أجوزة وجوزان وجوائر عن السيرافي ، والاولى نادرة ، ونظيره واد وأودية . (اللسان) .
 وقد جدد في لغة هذا العصر ناد وأندية .
 (٩٧) أهلها من عامية أهل الاندلس .

مصادر التحقيق

- ١ - الاحاطة في اخبار غرناطة لابن الخطيب . جزءان منه طبعوا في مصر ١٣١٩هـ .
- ٢ - ارشاد الارب الى معرفة الادب (معجم الادباء) لياقوت . طبعة مرجليوت مصر ١٩٠٧ - ١٩٢٥ .
- ٣ - الاعلام لخير الدين الزركلي . الطبعة الثانية مصر ١٩٥٩ .
- ٤ - انباء الرواة في انباء النحاة للمقطبي . طبع مصر ١٩٥٠ - ١٩٥٥ .
- ٥ - بغية الوعاة للسيوطي طبعة بالافيسيت بدار المعرفة بيروت .
- ٦ - تاج العروس لجمال الدين الزبيدي . طبع مصر ١٣٠٦-١٣٠٧ .
- ٧ - تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري . طبع مصر ١٩٥٦ .
- ٨ - تكملة اصلاح ما تفلط فيه العامة للجواليقي . طبع المجمع العلمي العربي بدمشق .
- ٩ - التكملة لكتاب الصلة لابن الابار . طبع جزءان في مجريد ١٨٨٦م والثالث في الجزائر ١٩١٩ م .
- ١٠ - الجمانه في ازالة الرطانه لبعض علماء القرن التاسع الهجري . طبع المعهد الفرنسي للآثار في القاهرة ١٩٥٣ .
- ١١ - جوهرة اللغة لابن دريد . طبع في حيدر آباد ١٣٤٤-١٣٥١هـ .
- ١٢ - اندبارات المشايخي . طبع في بغداد الطبعة الثانية ١٩٦٠ .
- ١٣ - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لجمال الدين محمد بن محمد مخلوف . طبع مصر ١٣٤٩هـ .
- ١٤ - شفاء الغليل لمخفاجي . طبع مصر ١٩٥٢ .
- ١٥ - غاية النهاية في طبقات الفراء لشمس الدين بن الجزري . طبع مصر ١٣٥١هـ .
- ١٦ - القاموس المحيط للفيروز آبادي . طبع مصر ١٩١٣ .
- ١٧ - كتاب الالفاظ الفارسية العربية . لادبي شير . طبع بيروت ١٩٠٨ .
- ١٨ - لحن العامة والتطور اللغوي للدكتور رمضان عبدالنواب . طبع مصر ١٩٦٧م .
- ١٩ - لحن العوام للزبيدي طبع مصر ١٩٦٤م .
- ٢٠ - لسان العرب لابن منظور . طبع بيروت .

- ٢١- مشارق الانوار على مصباح الآثار للقاضي عياض ، طبع فاس
سنة ١٣٢٨هـ .
- ٢٢- المعتمد في الادوية المفردة للملك المظفر الاشرف يوسف بن عمر
القساني ملك اليمن ، طبع مصر ١٣٢٧هـ .
- ٢٣- المعرب للجواليقي ، طبع مصر ١٣٦١هـ .
- ٢٤- معيار اللغة لميرزا محمد علي بن محمد صادق الشيرازي ، طبع حجر
طهران ١٣١١هـ .
- ٢٥- نزهة الالباء في طبقات الادباء لابن الانباري ، طبع بغداد سنة ١٩٥٩ .
- ٢٦- هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي ، طبع استانبول
١٩٥١ - ١٩٥٥ .



فهرس بمواد الكتاب

الصفحة	
١	١ - من الادب التونسي
٣	اللون التقليدي المحافظ
٣٢	الجديد في الادب التونسي (أبو القاسم الشابي)
٤٢	العربية التونسية
٦٠	٢ - الافليمية والنقد الادبي
٧٦	٣ - قطوف من تونس
٨٦	٤ - علم اللغة بين علماء العربية وابن خلدون
٩٢	٥ - امارة لشعر وأمير للشعراء
١٠٠	٦ - عرض في التعليم التونسي بين القديم والجديد
	٧ - رسالة في المسرة والسمار وأحكامه
١١٩	لابي العباس الابياتي التونسي
	٨ - من كتاب المسائل والاجوبة
١٤٠	لعبداه بن محمد بن السيد البطلوسي
١٩٠	٩ - في اللهجات المغربية والاندرلسية
٢٠٩	١٠ - ايراد اللآل من انشاد الخوال لابن خاتمة الاندرلسي

جدول التصويبات

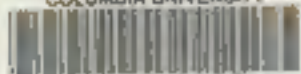
الخطأ	الصواب	الصفحة	الطر
السمار	السمار	١١٩	١
البطيوسي	البطيوسي	١٤٠	١
الصوال	الفوال	٢٠٩	١



شعن النسخة ٢٠٠٠ قلم

المؤسسة العامة للحفظ والارشاد
مكتبة الجمهورية العامة

COLUMBIA UNIVERSITY



0026812495

956
Ir27

36

JAN 24 1974

